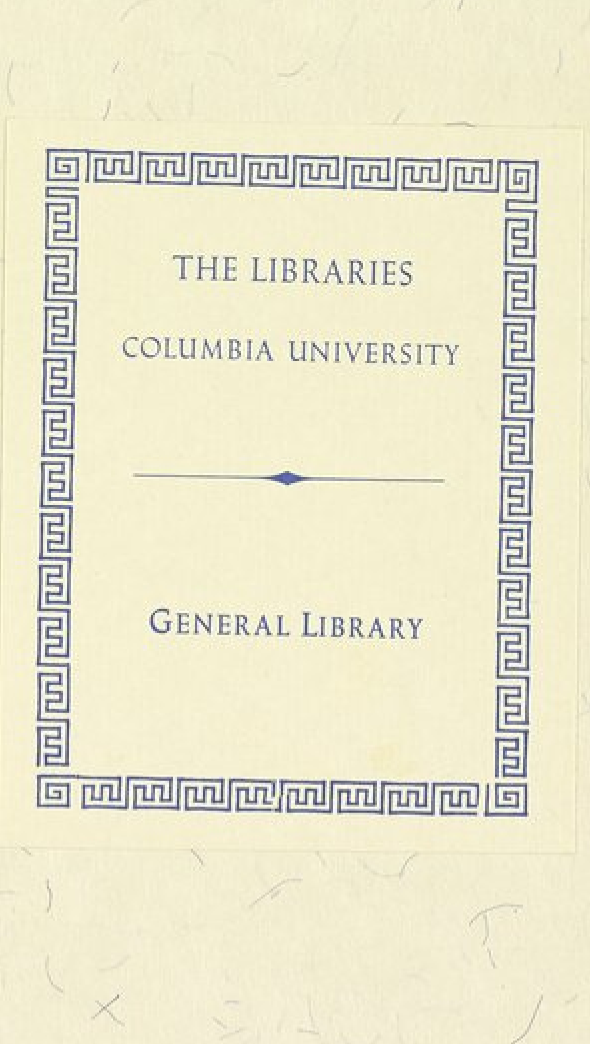
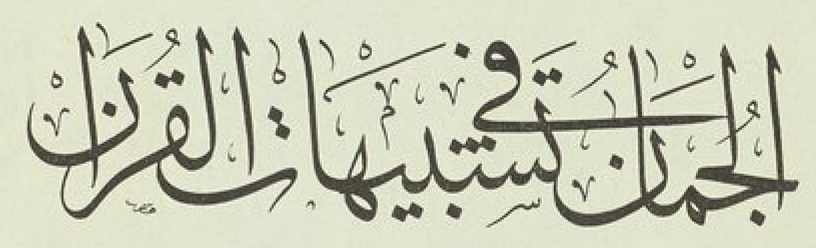

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY
GENERAL LIBRARY

الجمان في تشبيهات القرآن

وزارة الثقافة والارشاد
مديرية الثقافة العامة

سلسلة كتب التراث
٧



ابن ناقيا البغدادي
٤١٠ - ٤٨٥ هـ

تحقيق

الدكتور أحمد مطلوب — الدكتورة خديجة الحديثي

دار الجمهورية ـ بغداد

١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

١

عرف العرب كثيرا من ألوان الخيال ، ولكنهم لم يهتموا به ، ولم يقسموه هذا التقسيم الذي تعارف عليه النقاد حديثا ، ووقفوا عندما يمكن أن يكون الخيال تداعي معان فحصروا دراسته في أبواب المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة والكناية ، وهي مبنية على تداعي المعاني « لان الصلة في المجاز المرسل غير المشابهة ، ولكن هناك صلة اخرى تجمع بينهما كالصلة بين السبب والمسبب ، والمكان والحال فيه ، والجار ومجاوره ، والجزء والكل ، بما يندرج تحت قانون تداعي المعاني »[١] .

وهذه الفنون ليست غاية في ذاتها ، وانما هي غاية لمعان تمثلها ، معان تصور انطباعات روح الكون في خيال الاديب ، ولكل أديب انطباعاته ، ولكل أديب استعاراته وتشبيهاته ومجازاته ، بحيث نستطيع أن نقول : انها صوره ، صور نفسه وما انعكس عليها من روح الوجود .

ودراستهم لهذه الموضوعات لا تكاد تخرج عن الجملة أو الجملتين ، وليتهم اهتموا بالقطعة الادبية والعمل الفني الكامل .

وشغل القدماء بهذه الفنون وعرفوا أساليبها ، وكان اهتمامهم منصبا على التشبيه في أول الامر ، لانه أقرب الى الواقع الحسي وأقرب الى طبيعة الشعر في العصر الجاهلي وصدر الاسلام ، حتى أن الدكتور عبدالعزيز الاهواني اعتبره في كثير من الحالات مظهرا من مظاهر البدائية في التفكير والسذاجة الأولية في التعبير[٢] .

---

(١) أسس النقد الادبي عند العرب ص ٤٧٣ .

(٢) ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر ص ١٢٨ .

واتبهوا الى روعة التشبيه وجماله قبل أن يلتفتوا الى روعة الاستعارة وسحرها ، ولعل ما كتبه المبرد عن التشبيه خير دليل على اهتمامهم بهذا اللون من أساليب التعبير • وقد قسمه الى أربعة أضرب : تشبيه مفرط ، وتشبيه مصيب ، وتشبيه مقارب ، وتشبيه بعيد[1] • وانتبه الى تشبيه صورة بصورة في قول مجنون بني عامر :

كأن القلبَ ليلة قيل يُغدى
بليلى العامريةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عزَّها شَركٌ فباتَتْ
تُعالجه وقد علقَ الجناحُ
لها فرخان قد غلقا بوكرٍ
فعشُّهما تصفّقه الرياحُ
فلا بالليل نالَتْ ما تُرجي
ولا بالصبح كان لها براحُ

لقد أحس المبرد بما في هذا التشبيه من روعة وجمال ، وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار من الاصابة في التشبيه[2] •

والتشبيه من أقدم المصطلحات التي ظهرت ، ولكن معناه لم يكن محددا فقد كان يدل عند القدماء على الربط بين الشيئين باداة • ولعل الجاحظ أول من تنبه الى أدواته كالكاف وكأنَّ ومثل[3] •

وفي معاجم اللغة : الشِّبْه والشَّبَهُ والشَّبيه : المِثْل ، والجمع : أشباه • وأشبه الشيءُ الشيءَ : ماثله • وفي المثل : « مَنْ أشبهَ أباه فما ظلم » •••

(١) الكامل ج٣ ص ٨٥٣ وما بعدها •
(٢) الكامل ج٢ ص ٧٤٧ •
(٣) ينظر الحيوان ج٣ ص٢٥ ، ٢٥٣ ، ٣٥٤ • وج٦ ص١٨٥ ، ٣٤٨ ، ٣٩٥ •

وأشْبَهْتُ فلاناً وشابَهْتُه واشتَبه عليّ وتشابه الشيئان واشتبها : أشبه كل واحدٍ منهما صاحبه . وفي التنزيل : « مُشْتَبِهاً وغيرَ متشابه » . وشبهه إياه وشبهه به : مثلـه . والمشتبهات من الأمور : المشكلات . والمتشابهات : المتماثلات . وتشبّه فلان بكذا . والتشبيه : التمثيل . »[1]

ويلاحظ أن أصحاب اللغة لا يفرقون بين التشبيه والتمثيل ، وهو ما ذهب اليه الزمخشري وضياء الدين بن الاثير .

وكان أقدم تعريف منطقي للتشبيه ما ذكره قدامة بن جعفر ، يقول : « التشبيه يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ويوصف بها ، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منها بصفتها »[2] .

ويقول الرماني عنه : « التشبيه : هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حسٍ أو عقل »[3] . ونقل البافلاني هذا التعريف عنه[4] .

وجرى البلاغيون في تحديد التشبيه على هذا النحو حتى ظهر السكاكي (٦٢٦هـ) فكان مصطلح التشبيه عنده يدل على مشاركة شيء لشيء آخر في أمر . وقد استطاع الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) ملخص القسم الثالث من « مفتاح العلوم » للسكاكي ، أن يضبط التشبيه ضبطاً أدق من غيره ، يقول : « التشبيه : الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى »[5] .

والتشبيه باب واسع ، وهو أكثر الفنون البلاغية دوراناً في الأساليب العربية ، وكان من أوائل الموضوعات التي بحثت وأهتم بها النقاد والبلاغيون فدار في كتبهم المختلفة ، وألفت كتب خاصة به ككتاب « التشبيهات »[6] لابن

---

(١) لسان العرب (شبه) .
(٢) نقد الشعر ص ١٠٨ .
(٣) رسالة النكت ـ ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٧٤ .
(٤) اعجاز القرآن ص ٣٩٩ .
(٥) الايضاح ص ١٥١ وينظر بحث التشبيه في كتاب « القزويني وشروح التلخيص » للدكتور أحمد مطلوب .
(٦) طبع في مطبعة جامعة كمبردج سنة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م ، بتحقيق محمد عبدالمعين خان .

أبي عون (٣٢٢هـ) ، وكتاب « التشبيهات من أشعار أهل الاندلس »[١] للشيخ أبي عبدالله محمد بن الكتاني الطبيب ، وكتاب « التشبيهات من أشعار أهل الاندلس »[٢] لأبي الحسن علي بن محمد بن أبي الحسين الكاتب ، وكتاب « حلية اللسان وبغيـة الانسان في الاوصاف والتشبيهات والاشعار السائرات »[٣] لابي عامر السالمي محمد بن أحمد بن عامر ، وكتـاب « الجمان في تشبيهات القرآن » لابن ناقيـا البغدادي ، وهو الكتاب الذي نخرجه اليوم .

٢

ومؤلف كتاب « الجمان في تشبيهات القرآن » هو الرئيس أبو القاسم عبدالله بن محمد بن الحسين بن ناقيا بن داود بن محمد بن يعقوب بن أبي الفتح الحنفي المعروف بالبندار الشاعر البغدادي[٤] .

وقيل : هو عبدالباقي ، والى ذلك ذهب كثيرون ممن ترجموا له في كتبهم[٥] . ولكن اسمه في الغالب « عبدالله » ، وهو ما نراه مكتوبا في

---

(١) طبع في بيروت عام ١٩٦٦ ، بتحقيق الدكتور احسان عباس .

(٢) ينظر كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ص١٢ .

(٣) ينظر المصدر نفسه ص ١٣ .

(٤) لسان الميزان ج٣ ص ٣٨٤ ، انباه الرواة ج٢ ص ١٣٣ ، وفيات الاعيان ج٢ ص ٢٨٤ ، معجم الادباء ج٥ ص ١٦٥ ، ذيل تأريخ بغـداد (الورقة ٩٨) ، الوافي بالوفيات (الورقـة ٨٩) ، الجواهر المضية ج١ ص ٢٨٣ ، ميزان الاعتدال هامش ص ٥٣٣ ج٢ ، بغية الوعاة ج٢ ص٦٧ ، الاعلام ج٤ ص ٢٦٧ ، هدية العارفين ج١ ص ٤٥٣ ، كشف الظنون ج١ ص ٥٩٤ ، وص ٧٦٩ ، وج٢ ص ١٢٧٣ ، وص ١٨١٧ ، تصدير كتاب الاغاني ج١ ص ٣٥ .

(٥) وفيات الاعيان ج٢ ص ٢٨٤ ، هدية العارفين ج١ ص ٤٥٣ ، كشف الظنون ج١ ص ٥٩٤ ، المنتظم ج٩ ص ٦٨ ، لسان الميـزان ج٣ ص ٣٨٤ ، تأريخ الادب العربي لبروكلمان ج١ ص ٤٨٦ (الملحق بالالمانية)، ميزان الاعتدال ج٢ ص٩١ ، البداية والنهـاية ج١٢ ص١٤١ ، تاريخ ابن الاثير ج١ ص ٨١ ، بغية الوعاة ج٢ ص ٦٧ ، تأريخ الاسلام للذهبي ج٧ ورقة ١٣٨ ، ذيل تاريخ بغداد (الورقة ٩٨) ، الوافي بالوفيات (الورقة ١٢٠) الجواهر المضية ج١ ص ٢٨٣ ، طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة ص ٣٤٩ ، العسجد المسبوك ج١ (الورقة ٣٨) .

الصفحة الاولى من كتابه الجمان ، وفي مقدمته حيث يقول : « قال عبدالله بن محمد بن ناقيا بن داود .... » . وما نراه في أول مقاماته حيث يقول : « قال الأستاذ الفاضل أبو القاسم عبدالله بن محمد بن ناقيا بن داود .... » .

ويؤيد ذلك ما ذكره بعضهم كابن النجار الذي يقول : « الحنفي المعروف بالبندار الشاعر . هكذا رأيت اسمه بخط يده ورأيت بخط عبدالوهاب الانماطي اسمه عبدالباقي . قال : والصحيح ما كتبه بخطه »[1] .

وقد أدى هذا الاختلاف في اسمه الى أن يترجم له بعضهم مرتين : فيمن اسمه « عبدالله » تارة ، وفيمن اسمه « عبدالباقي » تارة أخرى .

ولد في منتصف ذي القعدة سنة عشر وأربعمائة (١٠٢٠م) ، وفي انباه الرواة : « سئل عن مولده فقال : في النصف من ذي القعدة سنة عشر وأربعمائة »[2] . ولم يشذ أحد ممن ترجم له عن هذا التاريخ .[3]

وابن ناقيا من أهل الحريم الطاهري ، وهي محلة ببغداد منسوبة الى طاهر بن الحسين ، وكان يسكن شارع دارالرقيق من دربالعوج[4] . وفي الجواهر المضية انه من أهل شارع دارالرقيق، وهو في الحريم الطاهري[5] .

وابن ناقيا أديب ، شاعر ، لغوي ، وكان فاضلا له ترسل وشعر وأدب ومقامات وتصنيفات في الأدب[6] . وهو كما يقول العماد الاصفهاني : « من شعراء الدولة القائمية والمقتدرية ، من أهل الحريم الطاهري ببغداد .

---

(١) ينظر ميزان الاعتدال ج٢ ص ٥٣٣ (الهامش) ، لسان الميزان ج٣ ص ٣٨٤ ، الجواهر المضية ج١ ص ٢٨٣ ، الوافي بالوفيات (الورقة ٨٩) .

(٢) انباه الرواة ج٢ ص ١٥٦ .

(٣) ينظر وفيات الاعيان ج٢ ص ٢٨٥ ، هدية العارفين ج١ ص٤٥٣ ، المنتظم ج٩ ص ٦٨ ، البداية والنهاية ج١٢ ص ١٤١ ، بغية الوعاة ج٢ ص ٦٧ ، الجواهر المضية ج١ ص ٢٨٤ ، والاعلام ج٤ ص ٢٦٧ .

(٤) انباه الرواة ج٢ ص ١٥٦ .

(٥) الجواهر المضية ج١ ص ٢٨٣ .

(٦) انباه الرواة ج٢ ص ١٣٣ .

شاعر مجيد ، وفاضل مفيد ، ما على نظمه الرائق ونثره الفائق مريد • وله مقامات أدبية معروفة بين أهل الأدب ، وهو رقيق الشعر ، سليم المذهب »[1] •

وتتضح ثقافته فيما وصل الينا من آثاره كمقاماته وكتاب « الجمان في تشبيهات القرآن » • ومن ينظر في هذين الكتابين ولا سيما الأخير يحس احساسا عظيما بأن هذا الرجل كان على اطلاع واسع وكان ذا ثقافة متشعبة المنازع ، متعددة الألوان • ويبدو من الروايات التي ذكرها في « الجمان » انه تتلمذ ـ أول ما تتلمذ ـ على أبيه الذي كان يروي الشعر وينقل الأخبار ، فهو كثيرا ما يذكر : « حدثني أبي » أو « أنشدني أبي » وغير ذلك من العبارات التي تدل دلالة واضحة على أن أباه كان ممن لهم مشاركة في العلم والأدب •

وقد سمع ابن ناقيا من أبي القاسم علي بن محمد التنوخي ، وأبي الحسين بن أحمد بن النقور والعشاري وابن المقتدر ، وعبدالرحمن بن عبيدالله المخرمي • وروى عن جماعة من الشعراء كأبي الخطاب محمد بن علي الجبلي ، وابي القاسم عبدالواحد بن محمد المطرز ، وابي الحسن محمد بن محمد بن محمد البصري ، وروى مصنفاته ومنثوره ونظمه وشيئاً من حديثه[2] •

وروى عنه عبدالوهاب الأنماطي ومحمد بن ناصر وشجاع بن فارس الذهلي ، وأبو غالب الديلي ، وأبو علي بن المهتدي ، وابن السمرقندي[3] •

وكان ابن ناقيا يذهب الى رأي الاوائل ، وله مقالة في التعطيل • وكان مطعونا في دينه وعقيدته ، كثير الهزل والمجون • وكان يقول : « في السماء نهر من خمر ، ونهر من لبن ، ونهر من عسل لا ينقط منه

---

(١) خريدة القصر ج٣ (مخطوطة المجمع العلمي العراقي) •

(٢) تاريخ الاسلام ج٧ (الورقة ١٣٨) ، المنتظم ج٩ ص ٦٨ ، لسان الميزان ج٣ ص ٣٨٥ ، الوافي بالوفيات (الورقة ١٢٠) ، الجواهر المضية ج١ ص ٢٨٣ ، وطبقات النحاة واللغويين لابن شهبة ص٣٥٠ •

(٣) تنظر المصادر السابقة •

شيء ، وينقط هذا الذي يخرب البيوت ، ويهـــدم السقوف . » وقال ابن الانماطي عنه : « ما كان يصلي »[١] .

وما رواه القدماء عنه في هذا الشأن أمر عجيب ، فكيف يذهب هـذا المذهب من كان رجلا عالما فاضلا ، له في دراسة القرآن جولات وفي تفسيره صولات . ولا يمكن أن يؤلف كتاب « الجمان » الا رجل ذو خلق عظيم ، يتصف بالعفة ، ويشتهر بالتقى والصلاح . ولعل ابن ناقيا كان ـ كما وصفه المؤرخون ـ قبل أن تمضي به الحياة ، يوم كان شاعراً غراً ينظم الشعر الرقيق ويبث لواعج فؤاده ، وينشر صـباباته بين أصـدقائه في المجالس . فقد كان « شاعراً مجوداً ، عذب الألفاظ ، مليح المعاني . وكان حسن المعرفة بالأدب ، ظريفا من محاسن الناس »[٢] . ولعل هذه الصفات والخـلال الرقيقة والظرف العجيب كانت مدعاة لاتهامه بما أتهم ، والطعن فيه . ومن يدري فلعل الأيام تكشف الكثير من حياته الخاصة ، وتلقي ضوءاً على ما غمض منها ليأخذ الرجل نصيبه من أقلام الباحثين والدارسين .

وكانت بين ابن ناقيا وابن الشبل منـافرة ومباعدة شـائعة ظاهرة . قال أبو الحسن علي بن أحمد الدهان : أنشدته يوما لابن الشبل :

وما أَسْجَدَ اللهُ الملائكَ كلَّهم
لآدمَ إلاّ انَّ في نَسْلِهِ مثلي

ولو انَّ ابليساً درى خَرَّ ساجداً
لآدمَ من قبل الملائك من أجْلي

فيا رب ابراهيم لم أوت فضله
ولا فضل موسى والنبي على الرسلِ

(١) ينظر وفيات الاعيان ج٢ ص ٢٨٥ ، المنتظم ج٩ ص٦٨ ، لسان الميزان ج٣ ص ٣٨٥ ، انباه الرواة ج٢ ص ١٥٦ ، البداية والنهاية ج١٢ ص ١٤١ ، تأريخ ابن الاثير ج١٠ ص٨١ ، تأريخ الاسلام ج٧ (الورقة١٣٨)، طبقات النحاة واللغويين ص ٣٤٩ ، الوافي بالوفيات (الورقة ١٢٠) ، بغية الوعاة ج٢ ص ٦٧ .

(٢) الجواهر المضية ج١ ص ٢٨٣ .

فَلِمْ لي وَحْدي أَلْفُ فرعونَ في الورى
ولي ألفُ نمـرودٍ وأَلْفُ أبي جَهْـلِ

فلما سمعها قال : اشهد بين يدي الله انه ما أخرج آدم من الجنة ، إلا انه كان في ظهره . ثم قال : امضِ اليه ، فانشده :

فكـونك في الظهـر من آدمٍ
بشـؤمك أهبطـه إذْ عصـى
ولـو كـان آدم ذا خبـرةٍ
بانـك من نسـله لاختْصـى

وقيل له : ألم تكن قرَأْتَ على الشيخ ابن الشبل ؟ قال : بلى ، وإلا من أين أكتسبت هذه البلادة التي فيّ .

فبلغ ذلك ابن الشبل فقال :

فقل ما شئت إنّ الحِلْمَ رأيي
وشأني الخير إنْ حاولْتَ شرّا
فأنت أقـلُّ أنْ تلقى بـذمٍ
مجاهـرة وأن تُغتـاب سـرّا(١)

ولعل سلوكه هذا مع شيوخه وأساتذته أثار عليه البغضاء ، فوصف بما ذكره القدماء .

وكانت وفاته ليلة الأحد رابع المحرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة (١٠٩٢م) ، ودفن بباب الشام ببغداد .

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن الدهان المرتب بجامع المنصور : دخلت على الشيخ أبي القاسم بن ناقيا بعد موته لاغسله ، فوجدت يده اليسرى مضمومة ، فاجتهدت حتى فتحتها وفيها كتابة بعضها على بعض فتمهلت حتى قرأتها ، فاذا فيها مكتوب :

---

(١) الوافي بالوفيات (الورقة ١٢٠) .

نزلتُ بجـارٍ لا يخيّبُ ضيفَه

أرجّي نجاتي من عـــذابِ جهنـمِ

وإنّي على خَوْفٍ من الله واثقٌ

بانعامِه ، واللهُ أكْرَمُ منْعِمِ[1]

وكان ابن ناقيا ـ رحمه الله ـ ظريفاً ، مليحَ العبارة ، جيّدَ الشعر • وقد جاء في ترجمة أبي علي بن سليمان الأديب البغدادي : « ومن مليح ما اسمعنيه انه قال : سألْنَا أبا القاسم بن ناقيا البغدادي عن المتنبي وابن نباتة والرضي فقال : إنّ مثلهم عندي مثل رجل بنى أبنيةً شاهقةً وقصوراً عالية ، وهو المتنبي ، فجاء آخر وضرب حولها سرادقات وخيماً ، وهو ابن نباتة ، ثم جاء الرضي ينزل تارة عند هذا وتارة عند ذاك »[2] •

أما شعره ، فهو كما قال القفطي عنه : « شاعر مجود ، رقيق الشعر ، جواد الخاطر والطبع »[3] ، وكما قال العماد الاصفهاني : « من شعراء الدولة القائمية والمقتدرية ، شاعر مجيد ، وفاضل مفيد ، ما على نظمه الرائق ونثره الفائق مزيد • وله مقامات أدبية معروفة بين أهل الأدب ، وهو رقيق الشعر ، سليم المذهب »[4] •

ويروي المؤرخون أنّ له ديوانَ شعر كبير ، ولكنّ هذا الديوان لم يصل الينا ، وكل ما وصل مقطعات وأبيات لا ترسم صورة واضحة لشاعرية ابن ناقيا الذي قيـل عنـه : إنه « شاعر مجيد » وانه « رقيق الشعر » •

---

(١) وفيات الاعيان ج٢ ص ٢٨٥ ، المنتظم ج٩ ص٦٩ ، لسان الميزان ج٣ ص ٣٨٥ ، انباه الرواة ج٢ ص ١٣٣ و ص ١٥٧ ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٤١ ، تاريخ ابن الاثير ج ١٠ ص ٨١ ، تاريخ الاسلام ج ٧ (الورقة ١٣٨) ، ذيل تأريخ بغـداد (الورقة ٩٨) ، الجواهر المضية ج١ ص ٢٨٤ ، طبقات النحاة واللغويين ص ٣٥٠ ، بغية الوعاة ج٢ ص٦٧ •

(٢) معجم الادباء ج١٣ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ •

(٣) انباه الرواة ج٢ ص ١٥٦ •

(٤) خريدة القصر ج٣ •

ومهما يكن من شيء فنحن نذكر هنا ما وقعت عليه أيدينا ، ولعل الأيام تكشف عن ديوانه الكبير لينتفع به الدارسون •

ومن شعره ما ذكره العماد الاصفهاني ، قال : أنشدنا محمد بن ناصر إجازة ، قال أنشدنا ابن ناقيا لنفسه :

أترى حال ذلك الحبُّ بغضاً
وذوى غُصْنُه وقد كان غضّا
أترى كان ذلك الوصلُ زوراً
فانتهى بي الى الصدود وأفضى
قل لمن ضيَّعَ الودادَ وأغرى
بالتجني ورام للعهد نَقْضا
قَدْ جَعَلْنا الودادَ حَتْماً علينا
ورأينا الوفاءَ بالعَهْدِ فَرْضا

قال : وأنشدنا لنفسه :

إنْ كان كافورُ النجا ... رب ذُرّ في مسك الذوائبْ
فالليلُ أحْسَنُ ما يكو ... نُ إذا تبرقَعَ بالكواكبْ

وقوله :

أما ترى السُحْبَ أبْدَتْ ... غلائلَ الأرض خُضْرا
قد أظْهَرَ اللهُ فيها ... زهر الكواكب زهرا
مثل اليواقيت راقت ... زُرْقاً وحُمْراً وصُفْرا
وكالخرائِد أبْدتْ ... فرعاً وخَداً وثَغْرا

وقوله :

فلا تغترِرْ بالبشر من وجْهِ حاسِدٍ
برز ابتسام الثغر غَطَّى لظى الحقْدِ

فانّ مشوب السم ـ لا شك ـ قاتلٌ
وإنْ هو أخفتْ طعْمَه لَذّةُ الشهْدِ

وقوله في الالغاز بالنار :

وآكلةٍ بغـير فَم وجَـوْفٍ
لهـا الحيـوانُ قـوتٌ والنَّبَاتْ
تصرّفُ ألْسُناً من غير نطقٍ
سـوى لغـةٍ تخالفها لغاتْ
فمـا أكلت بـه تحيا وتطغى
فانْ تَشْرَبْ يُعاجِلْها المماتْ

وقوله في الليل والنهار (لغز) :

ما أسودُ في حضنـه أبيـض | وابيضُ في حُضنـه أسـود ؟
ما افترقا قَطُ ولا استجمعـا | كلاهما من ضِدّه يولـد
عمَـره بالعـدل ميزانـه | رجحان ذا من نقص ذا يوجد

وقوله في الحجر والمقدحة :

وما ذكَرٌ أنثـاه من غير جنسـه | وجنساً سوى جنسيهما يلد الذكـر
وليـدهما بالقمط يحيـا ، وعمره | اذا لم يقمط خطفة اللمح بالبصر

وقوله في الشمعة :

وهيف بالوصـائف مخطفـات | يلاحظها الدجى من خلف سِتْرِ
يصوغُ لهـا التبسّمْ من دموع | على ذَهَبِ النحور عقـود درٍّ
يريك خوافقَ العَذَباتِ منهـا | عقيقـاً أثمرتـه غصـون تِبْرِ
طوينَ ذوائباً لليـلِ سـوداً | بنشـر ذوائبٍ لليلِ حُمْرِ

وقوله في السمكة :

ومخصورة الجسم في جَوْشَن ... اهلتُه سُنْدُسٌ أخْضَرُ
طويلةُ عمر اذا خُدِّرتْ ... وإنْ أبرزَتْ عمرها أقصرُ
بقدٍّ ولما تقم قامة ... وسعيٍ بلا قَدَمٍ تخطرُ
اذا جُليت بين خطّابها ... وأبصر عذرتَها المبصرُ
وأغلت ملاحتُها مهرَها ... ومثل المليحةِ قَدْ يمهرُ
تُقمّطُ كالطفلِ منكوسةً ... الى جاحمٍ قَعْرُهُ سعَّرُ
فامّا تضمخ كافورة ... أو المسك عن جنبها يَقْطُرُ
وإما تفضض منها الاهـا ... ب ، ومن فوقه ذَهَبٌ أصْفَرُ
واما صفائح مثل اللجينِ ... عقيق على جسمها أحْمَرُ
فتلك من الله للشاكرين ... رزقٌ يدوم لمن يَشْكُرُ(١)

ومن شعره :

أخلايَ ماصاحبْتُ في العيشِ لذةً ... ولا زال من قلبي حنينُ التذكُّرِ
ولا طاب لي طعم الرقاد ولا اجتلت ... لحاظيَ مذ فارقْتُم حُسن منظرِ
ولا عبثَتْ كفي بكأسِ مُدامةٍ ... يطوف بها ساقٍ ولا جسِّ مِزهرِ(٢)

ورثى أبا اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزابادي الملقب جمال الدين بقوله :

أجرى المدامعَ بالدمِ المهراقِ
خطبٌ أقام قيامة الآماقِ
ما لليالي لا تؤلف شملها
بعد ابن بجدتها أبي اسحاقِ

---

(١) خريدة القصر ج٣ (مخطوطة المجمع العلمي العراقي) .
(٢) انباه الرواة ج٢ ص ١٣٣ ، ذيل تأريخ بغداد (الورقة ٩٨) ، وفيات الاعيان ٢ج ص ٢٨٤ ، بغية الوعاة ٢ج ص ٦٧ .

إنْ قيل: مات،فلم يَمُتْ مَنْ ذكرُه
حيٌّ على مرِّ الليالي باقي[1]

ومن محاسن شعره قوله في الشمعة :

مساعدة لي ما تملُّ وقد حلت
بأحوالها في الليل حالي أجمعا
سهاداً ووجداً واصطباراً وحرقةً
ولوناً وسقماً وانتصاباً وأدمعا[2]

وقال في بعض الرؤساء ، وقد افتصد فكتبهما اليه :

جعل الله ذو المواهب عقبا
ك من الفصْدِ صحةً وسلامه
قل ليمناك كيف شئت استهلي
لا عدمت الندى ، فأنت غمامه[3]

ومن شعره :

خلعْتُ التصابي واستراحَ عذولي
وصار سبيلَ الناسكين سبيلي
فيا رُبَّ لَهْوٍ قد شَهِدْتُ وفتيةٍ
صحبتهم صِرْفاً بكأسِ شمولِ
وقد يرد الحاناتِ زقي مقدّماً
ويُكْرَمُ دون الطارقين رسولي

---

(١) وفيات الاعيان ج١ ص١١ ، الوافي بالوفيات ج٥ (ورقة ٥٤) مصورة المكتبة المركزية بجامعة بغداد .
(٢) لسان الميزان ج٣ ص ٣٨٥ .
(٣) وفيات الاعيان ج٢ ص ٢٨٤ .

وخمّـــارة لاذتْ برحلي تكــرماً

فــكان مبيتي عنـــدها ومقيــلي

أظـلّ اذا فار الهجـير ببيتهـا

وصحبي في ظلٍّ هنـاكَ ظليـلِ

نُدير أباريقَ الشمول وللـدجى

نجومٌ عـلى الآفاق غـير أفولِ

فيُغْنين عن ضوءِ المصابيح أكؤساً

قناديلهـا تذكي بغـير فتيـلِ

ومحسـنة إمّا اذا شئتُ غـردتْ

فبـين خفيف تـارةٍ وثقيـلِ

أرى الذِكر بعـد المال يخلد باقياً

ولم أرَ ذِكْـراً صالحاً لبخيـلِ (١)

وجاء في ترجمة علي بن فضـال بن علي بن غـالب بن جابر بن عبدالرحمن : « قال السلفي : قال الرئيس أبو المظفر الأبيوردي : أنشدني أبو القاسم بن ناقيا في ابن فضّال المجاشعي المغربي ، قال : ودخلت دار العلم ببغداد وهو يدرس شيئا من النحو في يوم باردٍ فقلت :

اليومُ يـومٌ قارسٌ باردٌ كأنه نحوُ ابنِ فَضّـالِ

لا تقـرأ النحوَ ولا شعرَه فيعتري الفـالج في الحالِ (٢)

ومن شعره وهو مريض :

نَمْضي كما مضت القبـائلُ قبْلنا

لسنا بأولِ مَنْ دعـاه الـداعي

---

(١) انباه الرواة ج٢ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) معجم الادباء ج١٤ ص٩٨ .

تبقى النجوم دوائراً أفلاكها
والأرض فيها كلَّ يوم ناعِ
وزخارف الدنيا يجوز خداعها
أبداً على الأبصار والأسماع[1]

وقال ابن الفوطي في ترجمة الأمير أبي الحارث مُهارش بن علي بن المجلي العقيلي : « ومدحه أبو القاسم بن ناقيا بقصيدة غراء منها :

أسفر الحق عن ضلال بهيم
وقضى السيفُ دَيْنَ كل غريم

منها :

أصبح الدهر منك في حلل السَّعْـ
ـدِ ، وعهد الأيام غير ذميم
فخر الملكُ بالأمير فما يعر
بُ إلاَّ عن رأيه المستقيم
وأنارت برأيه دولة القائم
بعد الظنون والترجيم
أنت جليتهنَّ يا ابن المجلّي
كُرُباً آذنَتْ بأمرٍ جسيم[2]

وآخر ما قاله ابن ناقيا :

نزلت بجارٍ لا يُخيِّبُ ضيفه
أرجي نجاتي من عذابِ جَهَنَّمِ

(١) الوافي بالوفيات (الورقة ١٢٠) ، الجواهر المضية ج١ ص ٢٨٤ .
(٢) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، الجزء الرابع - القسم الثالث ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .

وإني عـلى خوفٍ من اللهِ واثـق
بانعـامه ، واللهُ أكـرمُ مُنْعِمِ (١)

٣

أما كتب ابن ناقيا فقد ذكر المؤرخون ان له ديوان شعر كبيرا ، ولكنه لم يصل الينا ، وقد استطعنا بعد التنقير الطويل أن نجمع المقطعات والأبيات التي مر ذكرها • وكتب بخطه كتباً كثيرة في الأدب(٢) • أما كتبه التي ذكرتها المصادر فهي :

١ ـ كتاب ملح الممالحة ، وقد ذكر ياقوت في ترجمة أحمد بن يوسف بن صبيح المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٤هـ نموذجا منه • يقول : « حدث أبو القاسم عبدالله بن محمد بن ناقيا الكاتب في ملح الممالحة قال : ولما خرج عبدالله بن طاهر من بغداد الى خراسان قال لابنه محمد : ان عاشرت أحداً بمدينة السلام فعليك بأحمد بن يوسف الكاتب فان له مروءة • فما عرّج محمد حين انصرف من توديع أبيه على شيء حتى هجم على أحمد بن يوسف في داره ، فأطال عنده ، ففطن له أحمد ، فقال : يا جارية غدينا • فأحضرت طبقاً وأرغفة نقية ، وقدّمت ألواناً يسيرة وحلاوة ، وأُعقب ذلك بأنواع من الأشربة في زجاج فاخر وآلةٍ حسنةٍ • وقال : يتناول الأمير من ايها شاء • ثم قال له : ان رأى الأمير أنْ يشرف عبده ويجيئه في غد فانعمْ بذلك • فنهض وهو متعجب من وصف أبيه له وأراد فضيحته فلم يترك قائداً جليلاً ولا رجلا مذكورا من أصحابه الا عرّفهم

(١) انباه الرواة ج٢ ص ١٥٧ ، وفيات الاعيان ج٢ ص ٢٨٥ ، المنتظم ج٩ ص ٦٩ ، لسان الميزان ج٣ ص ٣٨٥ ، البداية والنهاية ج ١٢ ص١٤١ ، تاريخ ابن الاثير ج١٠ ص ٨١ ، الوافي بالوفيات (الورقة ١٢٠) ، الجواهر المضية ج١ ص ٢٨٤ ، طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة ص ٣٥٠ ، بغية الوعاة ج٢ ص ٦٧ •

(٢) انباه الرواة ج٢ ص ١٥٦ •

انه في دعوة أحمد بن يوسف ، وأمرهم بالغدو معه ، فلما أصبحوا قصدوا دار أحمد بن يوسف وقد أخذ أهبته ، وأظهر مروءته ، فرأى محمد من النضائد والفرش والستور والغلمان والوصائف ما أدهشه . ونصب ثلثمائة مائدة وقد حُفَّت بثلثمائة وصيفة ، ونقـل الى كل مائـدة ثلثمائـة لون من صحاف الذهب والفضة ومثارد الصين ، فلما رفعت الموائد قـال ابن طاهر : هل أكل من بالباب ؟ فنظروا فاذا جميع من بالباب قد نصبت لهم الموائد ، فأكلوا . فقال : شتان بين يوميك يا أبا الحسن . فقال : أيها الأمير ذلك قوتي ، وهذه مروءتي »[1] .

٢ ـ شرح كتاب الفصيح لثعلب . قال ابن ناقيا في اوله : « هذا كتاب أمللناه (أمليناه) في شرح كتاب الفصيح وايضاحه . وقد أكثر الناس الكلام فيه ونسبه قوم الى ابن الاعرابي ، وذكر بعضهم انه رآه بخط الخراز يرويه عنه . قال : لما صنف يعقوب ابن السكيت كتاب « الاصلاح » استعاره أبو العباس ثعلب ، فنظر فيه ، فلما أظهر كتابه « الفصيح » قال يعقوب : جدع كتابي ، جدع الله انفه »[2] .

٣ ـ مختصر الأغاني : واختصر كتاب الأغاني لابي الفرج الاصفهاني في مجلد واحد[3] .

٤ ـ ديوان رسائل[4] .

٥ ـ أغاني المحدثين[5] . وسماه العمري « المحدث في الاغاني » يقول : « ومنهم اسرائيل العوّاد ذكره ابن ناقيا في غير موضع من كتابه

---

(١) معجم الادباء ج٥ ص ١٦٥ـ١٦٦ .

(٢) كشف الظنون ج٢ ص ١٢٧٣ .

(٣) وفيات الاعيان ج٢ ص ٢٨٤ ، طبقات ابن قاضى شهبة ص٣٤٩، بغية الوعاة ج٢ ص٦٧ ، تصدير كتاب الاغاني ج١ ص ٣٥ ، كشف الظنون ج١ ص١٢٩ ، وتنظر مقالة الدكتور مصطفى جواد في مجلة الاستاذ (المجلد العاشر ١٣٨١ـ١٩٦٢) ص٢٥ .

(٤) وفيات الاعيان ج٢ ص ٢٨٤ ، بغية الوعاة ج٢ ص ٦٧ .

(٥) الوافي بالوفيات (الورقة ١٢٠) .

المسمى بالمحدث في الاغاني »[1] .

٦ ـ ملح الكتاب[2] . وسماه القرشي : « ملح الكتابة في الرسائل »[3] . ولعله ديوان رسائله .

٧ ـ مقامات أدبية :

لابن ناقيا مقامات ثمان وسمها باسم مستعار على عادة الشعراء في تشبيب الشاعر ، والحكماء في وضع الحكمة على ألسنة البهائم . طبعت ضمن مجموعة في مطبعة أحمد كامل سلطان بايزيد في استانبول[4] سنة ١٣٣١هـ . وفي هذه المجموعة مقامات الحنفي أبي العلاء أحمد بن أبي بكر بن أحمد الرازي ، وضعها على لسان أبي عمرو التوخي والفارس ابن بسام المصري ، خدمة للصدر الأجل الأوحد الأكمل الأفضل الأمجد محيي الدين عز الاسلام ، أقضى القضاة ، رئيس الحكام ، أبي حامد محمد ابن محمد بن القاسم الشهرزوري . وهي من الصفحة الاولى الى الصفحة ١١٥ .

ومقامة شرف الدين أبي الثناء محمود بن عمر الانطاكي . وهي من الصفحة ١١٦ الى الصفحة ١٢٢ .

والمقامة المولوية الصاحبية الصفوية . وهي من الصفحة ١٥٣ الى الصفحة ١٩٨ .

والمقامة الدجيلية لعثمان أفندي العمري الموصلي . وهي من الصفحة ١٩٩ الى الصفحة ٢٨٥ .

---

(١) مسالك الابصار في ممالك الامصار (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس) نقلا عن مقال الدكتور مصطفى جواد المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد السادس) ص ١٢٢ .

(٢) الوافي بالوفيات (الورقة ١٢٠) .

(٣) الجواهر المضية ج١ ص ٢٨٤ .

(٤) ذكر الدكتور مصطفى جواد في مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد السادس ص ١٢٢) ان بعض المستشرقين طبعها في اوربة .

ومقامة لشهاب الدين أحمد بن أبي البركات السويدي • وهي من الصفحة ٢٨٦ الى الصفحة ٣١٠ •

والمقامة الزرعية للسيد نصرالله الحسيني • وهي من الصفحة ٣١١ الى الصفحة ٣٢٧ •

ومقامة للسيد حسن بن السيد محمد أمين الحسيني الحائري • من الصفحة ٣٢٧ الى الصفحة ٣٣٤ •

وكتاب في أسامي الذئب للعلامة الحسن بن محمد الصغاني • وهو من الصفحة ٣٣٥ الى الصفحة ٣٣٨ •

والمقامة الدرية للسيد عمر بن ابراهيم بن الحسين الرسعني • وهي من الصفحة ٣٣٩ الى الصفحة ٣٤٧ •

اما مقامات ابن ناقيا فهي من الصفحة ١٢٣ الى الصفحة ١٥٢ ، وأولها : « قال الاستاذ الفاضل أبو القاسم عبدالله بن محمد بن ناقيا بن داود : هذه حكايات أحسَنّا العبارة فيها ، وهذبنا ألفاظها ومعانيها ، وجلوناها في حلى البلاغة على سامعها وراويها • وقد سلك بعض المتقدمين هذا المذهب في مثلها رياضة للخاطر ، وتحديا للقريحة ، غير نائل[1] جفيرها[2] للمرمى ، ولا رائداً لسوامها[3] عند أحد مرعى • وانما وسمتها باسم مستعار على عادة الشعراء في تشبيب القاصد[4] ، والحكماء في وضع الحكمة على ألسنة البهائم • وليس ذلك بمحظور ، وانما هو تصرُّف في العبارة وراحة من تعب الجد الى ملح البلاغة • وقد قال بعضهم : جد الأدب وهزله معاً جد • وكان ابن عباس ـ رحمه الله ـ اذا أكثر من الجد قال : « حَمِّضوا » • يريد الاخذ في طرف الأحاديث كما تتمرأ الابل بالحمض اذا بشمت الكلأ • وقد ورد من أمثال العرب ما يستحيل

(١) نثل الكنانة : استخرج نبلها فنثرها •
(٢) الجفير : الكنانة •
(٣) السوام : الابل الراعية •
(٤) القاصد : الشاعر الذي يقول القصائد •

في الحقيقة على ما استعمل له ، ولا يسمى ذلك كذباً . وقالوا على نسان ولد العتب يخاطب أباه :

قد هدموا بيتك لا أبا لكا وزعموا انك لا أخا لكا
وأنا أمشي الدألا حوالكا

أنشد ذلك محمد بن يزيد في كتاب الكامل ، وهو من نفيس الكتب يرويه أصحاب الحديث .

ونحن فلم نبلغ فيما أوردناه في هذه المقامات الى هذا الحد ، وان كنا قد مزجنا فيها اللعب بالجد ، ونعوذ بالله مما أسخطه من خطل القول ، ونرغب اليه في تغمدنا بالتجاوز والعفو . انه ولي الرغبة اليه ان شاء الله »[1] .

وتأتي بعد هذه المقدمة « المقامة النباشية » وهي المقامة الثانية (ص ١٢٤ - ١٢٨) .

والمقامة الثالثة (١٢٨ - ١٣٢) .

والمقامة الرابعة (١٣٢ - ١٣٦) .

والمقامة الخامسة (١٣٦ - ١٣٨) .

والمقامة السادسة (١٣٩ - ١٤٣) .

والمقامة الثامنة (١٤٤ - ١٤٧) .

والمقامة التاسعة (١٤٨ - ١٥٣) .

ويلاحظ ان المقامة الاولى والمقامة السابعة سقطتا من المطبوع .

وتنتهي كل مقامة من مقامات ابن ناقيا بتفسير بعض الألفاظ الغريبة الواردة فيها الى جانب ما أضافه الناشر في الهامش ، حيث فسر بعض الألفاظ الغريبة . ولا تجد مثل هذا في المقامات المطبوعة مع مقاماته ويبدو انه هو الذي وضع تفسير تلك الألفاظ في نهاية كل مقامة ، كعادته في كتابه « الجمان في تشبيهات القرآن » .

---

(١) مقامات ابن ناقيا ص١٢٣-١٢٤ .

ولكي نعطي صورة واضحة لاسلوب ابن ناقيا في مقاماته ننقل المقامة النباشية وهي :

« حدثني بعض الفتاك قال : خرجت في السلاح الشاك ، وقد نشر الظلام سربه ، وقضى النهار نحبه ، والخِلَّةَ[1] داعية الى السَّلَة[2] ، فاندمقت[3] في بعض الطرق متعرضا أبناء اللَّمق[4] حتى اذا حدى الدجى قلاصه[5] ، واستلم الجو دلاصه[6] ، توجست[7] يميناً فتواريت[8] منه كمينا ، واذا شخص قد ظهر لم ينتظم مثله سلك النظر ولا وقع لي انه من البشر مشتملا[9] ضافي[10] الوبر ، يتطاير من فمه شواظ الشرر ، تارة يثب بأجمعه كالشيطان ، وتارة يعسل[11] بأربعه كالسرحان ، منطرفاً كفين من الحديد وقعهما تحلة القسم[12] على الصعيد[13] فخنست له حتى أصحر[14] ، وتبعته على الأثر واذا به قد اقتحم منازل أهل البلى وسكان الثرى[15] ، ولا يرقب فيه ذمة ولا يرحم لهم رِمة[16] ، فجعل يطأ الاجداث ويخترقها ويستافها[17] وينتشفها[18] حتى وقع على ضالته ، وأدرك دفين ليلته ،

(١) الخلة : الغمد ·
(٢) السلة : استلال السيف ·
(٣) اندمقت : دخلت مفاجأة ·
(٤) اللمق : اللقم اي وسط الطريق ·
(٥) جمع : قلوص ·
(٦) الدلاص في الاصل : البراق ، وهنا تباشير الصباح ·
(٧) توجست : احسست ·
(٨) استترت ·
(٩) مشتملا : متلففا ·
(١٠) ضافي : سابغ ·
(١١) يعسل : يسرع ·
(١٢) كناية عن سرعة الشيء وخفة لبثه ·
(١٣) الصعيد : الارض ·
(١٤) أصحر : برز الى الصحراء ·
(١٥) الثرى : الارض ·
(١٦) الرمة : العظام البالية ·
(١٧ و ١٨) كلاهما بمعنى اشتم ·

فرأيت منه العجب العجاب في سَفْيِ[١] تلك الاحجار والتراب ، حتى وصل الى البائس في ذلك القعر الدامس ، فجبذه من ضريحه ونبذه على صفيحه ، فسلب أكفانه وحطم ارانه[٢] ثم عاد ... وتناول حجرا ...[٣] وهال عليه ذلك التراب والأحجار وولى حتى دخل الجدار فاذا بحركة العسس[٤] والطوّاف فعدل الى مئذنة فأناف[٥] ثم رفع عقيرته[٦] فذكر وخوّف ، ووعظ واستعطف ، ووصف الدنيا وزوالها ، والقيامة وأهوالها ، والنار وعذابها ، والجنة واكوابها . فسمعت بكاء القوم وكأني أرى ذلك في النوم ، وقد هزني فعاله وهالني احتياله . كل ذلك وأنا معه لأعلمَ مستقره ومستودعه ، فلما انحدر من قلة المسجد فصِحْتُ اليه وهو ينشد :

ما ينقص الكامل من كماله ما جرَّ من نفع الى عياله

ثم أتبعه متمثلاً بقول الأول :

ذلك خير من التأبط في شق الشمال الحقين والقمعا[٧]

فانخرطت[٨] معه في سلك الطريق ، وقارنته كالرفيق ، وقلت : يا عبدالله ، لقد رأيت منك العجب وأنت بهذا الادب . فقال : لم يَخْفَ عليَّ فضولك منذ الليلة ، فما عليك من ذي العَيْلة[٩] . كل امرئٍ في شأنه ساع ، فاستر يستر الله عليك ، ولا تكرن ما رأيت فانها الغنيمة الباردة وسيان من

---

(١) سفي : حمل .
(٢) ارانه : تابوته .
(٣) ها هنا كلمتان لا تقرأ مثل : كرسبه ورسبه .
(٤) جمع العاس ، وهم الشرط .
(٥) اناف : ارتفع .
(٦) رفع عقيرته : رفع صوته .
(٧) القمع : آلة توضع على فم الاناء ليصب فيه اللبن وغيره .
(٨) فانخرطت : انتظمت وسلكت .
(٩) العيلة : الفقر .

عرض مستقفيا[1] أو خرج مختفيا[2] . وقد قال صاحب الشريعة : « اطلبوا الرزق في خبايا الأرض » . فقلت : ويحك ، يعني في استخراج النبات لا في نبش الأموال . فقال : لستَ بالتأويل أولى مني أنا اليشكري ذو[3] سمعت به . ثم انفصل وهو يقول :

أنا ابن عم الليل وابن خاله اذا دجا دخلت في سرباله

ماذا يريني الليل من أهواله لست كمن يجزع من خياله

تفسير ألفاظ من هذه المقامة :

اللمق : محاج الطرق ، وهو من المقلوب ، يقال : لمقه ولقمه .

تحلة القسم : من كلامهم الجاري مجرى المثل اذا أرادوا سرعة الشيء وخفة لبثه شبهوه بتحليل القسم . وقال الشاعر ، وهو عبدة بن الطبيب وذكر ثوراً :

تخفي التراب بأظلاف ثمانية كأنما وقعها بالأرض تحليل

يقول . هو سريع خفيف بقوائمه لا يثبت على الأرض الا كتحليل اليمين . وقال ابن احمر وذكر الريح :

اذا عصبت رسماً فليس بدائمي به وتد الا تحلة مقسم

وقال ذو الرمة :

طوى طية فوق الكرى جفن عينه على رهبات من جنان المحاذر

قليلاً كتحليل الالى ثم قلصت به شيمة روعاء تقليص طائر

الالى : جمع ألوة ، وهي اليمين .

الاران : التابوت .

المختفي : النباش ، من قولهم : خفي ، بمعنى أظهر . وقرأ بعضهم :

---

(١) المستقفي : هو ضارب قفا الناس بالعصا ، يعني شرطيا .
(٢) مختفيا : نباشا .
(٣) ذو : الذي .

« إنَّ الساعةَ آتيةٌ أكاد أَخفيها » ـ بفتح الهمزة ـ أي : أظهرها ، فسمي بذلك لانه يخرج الأكفان من القبر ويظهرها • قال امرؤ القيس يذكر الفرس :

خفاهنَّ من أنفاقهن كأنما   خفاهنَّ وَدْقٌ من سحابٍ مركبِ

أي : أظهرهن •

ذو : بمعنى الذي في قوله : « ذو سمعت » • قال الشاعر :

فانَّ الماء ماء أبي وجدي   وبئري ذو حفرت وذو طويت

هذا نموذج من مقامات ابن ناقيا وتفسير غريبها ، وهو يعطي فكرة واضحة عن اسلوبه الأدبي ومقدرته اللغوية التي اشتهر بها ، فقيل فيه « الأديب الشاعر ، اللغوي المترسل »[1] •

٨ ـ الجمان في تشبيهات القرآن وسنتحدث عنه بالتفصيل •

هذه هي الكتب التي عثرنا عليها في كتب الأدب والتأريخ ، ويبدو انها بعضُ ما خلفه ابن ناقيا ، لانه ـ كما قالوا ـ « له مصنفات في كل فن ومقامات أدبية ، وكان حسن المعرفة بالأدب ظريفا من محاسن الناس »[2] •

ولا يعقل أن يكون ما ذكرناه كل ما ألفه ابن ناقيا طوال حياته المديدة ، وهو ذو النشاط الجم والعلم الغزير •

٤

أثَّر القرآن الكريم تأثيراً عظيماً في نشأة البلاغة وتطورها ، وكان محفزاً مهماً للاتجاه نحو تدوين اصولها وقواعدها • وكان من أقدم الكتب التي عنيت بدراسة اسلوب القران « مجاز القرآن » لأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٨هـ) ، وقد ألفه من أجل مسألة بلاغية تتصل بالتشبيه وكون المشبه به معلوما أو مجهولا في قول امريء القيس :

---

(١) وفيات الاعيان ج٢ ص٢٨٤ ، انباه الرواة ج٢ ص ١٣٣ •
(٢) الجواهر المضية ج١ ص٢٨٣ •

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زُرْقٌ كأنياب أغوالِ

وهذا الكتاب ليس كتاباً بلاغياً بالمعنى الواضح ، فلم يكن مفهوم البلاغة ومصطلحاتها محدداً يومذاك ، وانما ألفه أبو عبيدة ليفسر ما في الآيات الكريمة من غريب ، ويبين وجوه نظم القرآن التي يوجد مثلها في كلام العرب • ولم يكن « المجاز » عنده كما فهمه البلاغيون فيما بعد ، وانما هو ما يعبر به عن الآية •

وقد أشار القدماء الى هذا المعنى ، وإنْ ظن غَيْرَه بعضُ المحدثين ، يقول تقي‌الدين بن تيمية (٧٢٨هـ) • « وأول من عُرف انه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ، ولكن لم يَعْنِ بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة ، وانما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية »(١) •

ومع ذلك ، ففي كتاب أبي عبيدة كثير من مسائل البلاغة كالتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والتقديم والتأخير ، والايجاز ، والالتفات ، والاستفهام وخروجه الى التقرير والتحقيق ، وخروج الخبر مخرج الاستفهام •

ومنهج المؤلف في بحث هذه المسائل منهج اللغويين الذين لم يتأثروا بعلماء الكلام ، واستعمال أقيستهم العقلية كثيراً ، فهو يذكر الآية ويفسرها مستعيناً بما يحفظ من غريب اللغة ، متخذاً من ذلك شواهد على صحة فهمه وبصره بأساليب البلغاء العرب •

ورتب أبو عبيدة كتابه « مجاز القرآن » حسب ترتيب سور القرآن وآياته ، وهو يشبه في ذلك المفسرين الذين ساروا على هذه الطريقة في تفاسيرهم •

يقول في سورة البقرة : « الم » سكنت الألف واللام والميم ؛ لانه هجاء ، ولا يدخل في حروف الهجاء إعراب ، قال أبو النجم العجلي :

---

(١) كتاب الايمان ص ٣٥ •

أقبلْتُ من عند زيادٍ كالخَرِف   أَجُرُّ رِجليَّ بخطٍ مختلف

كأنما تكتبان لام ألف

فجزمه لانه هجاء ، ومعنى « الم » افتتاح مبتدأ كلام شعار للسُورة . « ذلك الكتاب » معناه : هذا القرآن ، وقد تخاطب العربُ الشاهدَ فتظهر له مخاطبة الغائب »(١) .

ويمضي أبو عبيدة في كتابه على هذا المنهج ، مستعملا في تفسيره للآيات مثل قوله : « مجازه كذا » و « تفسيره كذا » و « معناه كذا » و « غريبه » و « تقديره » و « تأويله » .

وألّف الشاعر العباسي أبو الحسن محمد بن أبي الحسين المعروف بالشريف الرضي (٤٠٦هـ) كتابين ، بيّنَ فيهما ما في القرآن وأحاديث الرسول محمد (ص) من مجازات . وهذان الكتابان هما : « المجازات النبوية » ، و « تلخيص البيان في مجازات القرآن » .

والشريف الرضي في كتابه الأخير يسير على المنهج الذي رأيناه عند أبي عبيدة ، فهو يأخذ القرآن سورة سورة ثم يتحدث عما في الآيات من معانٍ مجازية والتفاتات بلاغية بديعة .

يقول : « ومن السورة التي تذكر فيها البقرة قوله ـ سبحانه ـ : « خَتَمَ اللهُ على قلوبهم وعلى سَمْعِهم » . وهذه استعارة ؛ لان الختم الحقيقي لا يتأتى في القلوب ، وانما المعنى انه تعالى وسم قلوبهم بسمة تفرق بها الملائكة بين الكافر والمؤمن ، والمصر والمقلع ، فيذمون العاصي لمعصيته ويمدحون الطائع لطاعته . ولهذا المعنى قال تعالى في صفة المؤمنين : « اولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » ...

ومن ذلك قوله تعالى في هذه السورة : « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يَعْقِلون » . وقد علمنا ضرورة انه لا صمم ولا بكم ولا عمىً على

---

(١) مجاز القرآن ج١ ص٢٨ .

الحقيقة ، ولكنهم لما لم يعملوا هذه الآلات في مذاهب الاستدلال بها كانوا كمن فقد أعيانها ورمى بالآفات فيها ، وكذلك قوله تعالى : « وطبع الله على قلوبهم » ؛ لأنّ الطبع من الطابع ، والختم من الخاتم ، وهما بمعنى واحد ، وانما فعل سبحانه ذلك عقوبة لهم على كفرهم »[١] .

* * *

وألّف ابن ناقيا البغدادي (٤٨٥هـ) كتاب « الجمان في تشبيهات القرآن » وهو أول كتاب يبحث في تشبيهات كتاب الله العزيز . وقد ذكرته جميع الكتب التي ترجمت لابن ناقيا ، وقال عنه الزركشي : « وقد صنف فيه[٢] أبو القاسم بن البندار كتاب « الجمان في تشبيهات القرآن »[٣] ، وقال جلال الدين السيوطي : « وقد أفرد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم بن البندار البغدادي في كتاب سماه « الجمان »[٤] .

وقال المؤلف نفسه عنه : « هذا ما أدى اليه الوسع من تاليف هذا الكتاب مع دثور الحفظ وتقسم الفكر وكلال الخاطر وعدم الروية لمقارعة صروف الزمان ومنازعة خطوب الايام . وإنْ كنا غير مسبوقين الى اذاعة سره وافتضاض عذره واجتناء ثمره على كثرة ما ألّف السلف من الكتب في أنواع علوم القرآن . ولم يفرد لهذا النوع كتابا ، ولم يفتحوا الى القول فيه بابا . ورغبتنا الى الله ـ عز وجل ـ مصروفة في الفوز لديه والزلفى عنده ، والصلاة على سيدنا محمد وآله ، وهو ولي الرغبة اليه بمنه وكرمه ورأفته ورحمته ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

وقد سار ابن ناقيا في هذا الكتاب على المنهج الذي رأيناه عند أبي عبيدة والشريف الرضي ، فهو يبحث في التشبيه حسب ترتيب السور القرآنية وآياتها ، فيقف عند كل آية فيها هذا الفن البلاغي مفسراً وموضحاً التشبيه ، ومقارنا ، ومستشهداً بأشعار العرب .

---

(١) تلخيص البيان في مجازات القران ص ٣ـ٤ .
(٢) أي : في التشبيه .
(٣) البرهان ج٣ ص٤١٤ .
(٤) الاتقان ج٢ ص٤٢ .

يقول في مطلع كتابه : « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما . قال عبدالله بن محمد بن ناقيا بن داود :

التشبيهات نوع مستحسن من أنواع البلاغة ، وقد ورد في كتاب الله تعالى ما نحن ذاكروه في هـــذا الكتاب ، وذاهبون الى ايضـاح معانيه ، والتنبيه على مكان الفضيلة فيه » .

وتحدث في هذه المقدمة عن كيفيـــة التشبيه ، وذكر أَنَّ الشيء يُشبَّه بالشيء تارةً في صورته وشكله ، وتارة في حركته وفعله ، وتارة في لونه ونجره ، وتارة في سوسه وطبعه .

وذكر ان للتشبيه أدوات منها : الكاف ، وكأنّ ، ومثـل ، وشبيه ، ونحو ذلك ، وربما استغني عن هذه الأدوات بالمصدر ، نحو : « خرج خروج القدح » و « طلع طلوع النجم » و « مرق مروق السهم » .

وقرر أَنَّ مثل هذا لا يكثر في التنزيل ، وانما عامة التشبيهات هناك مقرونة بالأدوات .

وبعد أن انتهى من هذه المقـــدمة القصيرة بدأ الكلام على تشبيهات القرآن ، وأول سورة تحدث عنها ، سورة « البقرة » . يقول في قولـــه تعـــالى : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلـــك ، فهي كالحجارة أو أشـــد قسوة »[1] . معنى « قست » : غلظت ويبست وعبست ، فكأن القسوة في القلوب ذهاب اللين منـــه والرحمة والخشوع والرقة . ومعنى قوله : « بعد ذلك » يريد من بعد احياء الميت لكم بعضو من أعضاء البقرة . أي : هذه آية عظيمة كان يجب على مَنْ شاهدها فشاهد بمشاهدتها من قدرة الله تعالى ما يزيل كل شك أن يلين قلبه ويخضع » .

ويمضي في الحديث عن تشبيهات القرآن الكريم بهذا الاسلوب ، مستشهداً بكلام العرب : نثره وشعره ، ولا سيما أشعار الجاهليين ولـكنه

---

(١) سورة البقرة ، الاية ٧٤ .

لا يقف عندهم بل يستشهد بأشعار الاسلاميين والعباسيين كأبي نواس وابن المعتز وغيرهما من الشعراء الذين رفعوا لواء التجديد في العصر العباسي .

ويبدو من الأمثلة والشواهد الكثيرة والمعلومات الغزيرة التي نثرها ابن ناقيا في هذا الكتاب ، انه على حظ عظيم من الثقافة ، وانه متمرس في البحث والتأليف ، متبحر في اللغة . ويبدو صفاء طبعه ورقة شاعريته واحساسه العميق وتذوقه ، في الأشعار التي اختارها لتكون شواهد وأدلة على ما تحدث عنه . ولا غرو في ذلك وهو الشاعر الرقيق ، والكاتب المجيد الذي كتب في مختلف الفنون ، ونظم في شتى الأغراض الشعرية .

ولو قارنا كتاب ابن ناقيا بالكتب التي ألفت في التشبيهات ترجحت كفته وكان في أعلى مرتبة وصل اليها المؤلفون يومذاك .

لقد ألف ابن أبي عون[1] (٣٢٢هـ) كتاب « التشبيهات » ، ووضع الشيخ أبو عبدالله محمد بن الكتاني الطبيب[2] كتاب « التشبيهات من أشعار أهل الاندلس » . ولكن هذين المؤلفين لم يقدرا أن يحلقا كما حلق ابن ناقيا ، ولم يستطيعا أن يُضيفا على التشبيهات التي اختاراها روحاً جديدةً تشد القاريء اليها ، وتقدم له معلومات مفيدة كما فعل ابن ناقيا .

يقول ابن أبي عون في مقدمة كتابه : « زادك الله في الأدب رغبة وللعلوم محبة ، ووفقك للحجة ودلك على المحجة ، وأعانك على طلبك بالرشد وأظفرك بالغرض عند الفحص . سألتني ــ أعزك الله ــ أنْ أثبت لك أبياتاً من تشبيهات الشعراء الواقعة وبدائعهم فيها الطريفة . وقد تقدم الناس ــ أعزك الله ــ في اختيار الشعر وتمييزه ، غير انهم لم يصنفوه أبواباً وذلك ان الشعر مقسوم على ثلاثة أنحاء : منه المثل السائر ... ومنه الاستعارة الغريبة ... ومنه التشبيه النادر ...

(١) تنظر ترجمته في معجم الادباء ج١ ص٢٣٤ وما بعدها .

(٢) تنظر ترجمته في مقدمة كتاب التشبيهات من أشعار أهل الاندلس ص٧ وما بعدها .

وما خرج من هذه الأقسام الثلاثة فكلام وسط أو دون لا طائل فيه ولا فائدة معه .

ورأيت أجل هذه الانحاء وأصعبها على صانعها التشبيه ، وذلك انه لا يقع الا لمن طال تأمله ، ولطف حسه ، وميز بين الأشياء بلطيف فكره . وأنا اثبت لك في هذا الكتاب أبياتا من التشبيه مختارة ، وأتخلل المعـاني المختلفة ، والتشبيهات المتداولة الى الأبيات الطريفة النادرة ، وأقتصر على جملة يكون لك فيها حظ ومتعة وتأدب ورياضة ، وأتجنب الاطالة التي يتلقاها الملالة ، واتبع ذلك بكتاب في الأمثال وكتاب في الاستعارة . ونبتدي على اسم الله بتشبيهات خالق الاشياء ـ جل وعز ـ في كتابه انه كان أكمل شاهد وأوضح حجة »[1] .

ثم يذكر أمثلة قليلة من الآيات الكريمة من غير أن يشرحها او يعلق عليها ، ويذكر بعد ذلك ان العرب تشبه بـ « كأن » و بـ « كمن » وبالكاف وبـ «مثل» وبـ «كما» وبـ «كمثل» و «كأمثال» و «تخال» و «تظن» و «تكاد» وما أشبهها ، وباضمار أحد هذه الحروف اذا لم يتسع للشاعر اقامة الوزن باظهـــاره .

ويبدأ بذكر الأبواب من غير مقارنة أو تحليل ، ومن الأبواب التي ذكرها : باب في الثريا ، باب في وضوح الصبح ، باب في الحرباء ، باب في المصلوب ، باب في الفرس ، باب في الطرد والظفر ، وغيرها من الأبواب الـكثيرة .

أما ابن الكتاني الطبيب فلم يذكر مثل هذه المقدمة في كتابه ، وانما بدأ بتشبيهات أهل الاندلس ، وأولهـــا : باب من التشبيهات في السمـاء والنجوم والقمرين ، وباب في انبلاج الصبح ، وباب في الريح ، وباب في البرق والرعد ، وغيرها .

وابن الطبيب يتفق في هذا المنهج مع ابن أبي عون ، ولعله ســـار على خطاه .

---

(1) كتاب التشبيهات ص ١ـ٢ .

ولو نظرنا في هذين الكتابين لرأينا البون شاسعاً بين ابن ناقيا وابن أبي عون وابن الطبيب ، فالأول يتحدث عن تشبيهات القرآن حسب السور والآيات ، شارحاً وموضحا ومقارنا ، ومبديا رأيه في كثير من القضايا ، بينما يذكر الآخران تشبيهات كلام العرب من غير تحليل أو تفسير أو مقارنة • ومن هنا تظهر بوضوح قيمة كتاب « الجمان في تشبيهات القرآن » في الدراسات القرآنية والبلاغية ، وتبدو أهمية عمل ابن ناقيا في هذه الدراسة الطريفة التي لم يسبق اليها ، وان كان غيره قد تحدث عن مجازات القرآن بصورة عامة كأبي عبيدة والشريف الرضي •

وكتاب « الجمان » بعد هذا مصدر مهم في دراسة تفسير القرآن والبلاغة العربية والأدب الرفيع ، ومادة طريفة يقرأها الانسان فيحس بجو روحي تضفيه آيات الكتاب الحكيم ، ويشعر انه في رحاب أدب خالد وقف يتحدى الزمن بكل شمم واباء • ولعل هذا الكتاب يكون منطلقا لدراسات قرآنية جديدة ، وبحوث بلاغية طريفة ، ولعلنا نسعى الى ذلك في يوم من الأيام •

* * *

أما مخطوطة الكتاب فمنه نسخة فريدة في مكتبة الاسكوريال ، كتبت في القرن السابع بخط نسخ مشكول جميل • وقرئت على محمد بن أبي الوفا بن أحمد الموصلي المعروف بابن القبيصي ، في مدينة حصن زياد سنة ٦٢٥هـ • وكتبت هذه النسخة لخزانة الملك العادل أبي الفتح ملكشاه بن سلجوق بن محمود بن ملكشاه ، وكانت في خزانة السلطان عبدالله زيدان السعدي بالمغرب[١] •

وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة مصورة عنها[٢] ،

---

(١) هذا ما جاء في المخطوطة •

(٢) ينظر فهرس المخطوطات المصورة (معهد احياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية) ص٤٠٨ •

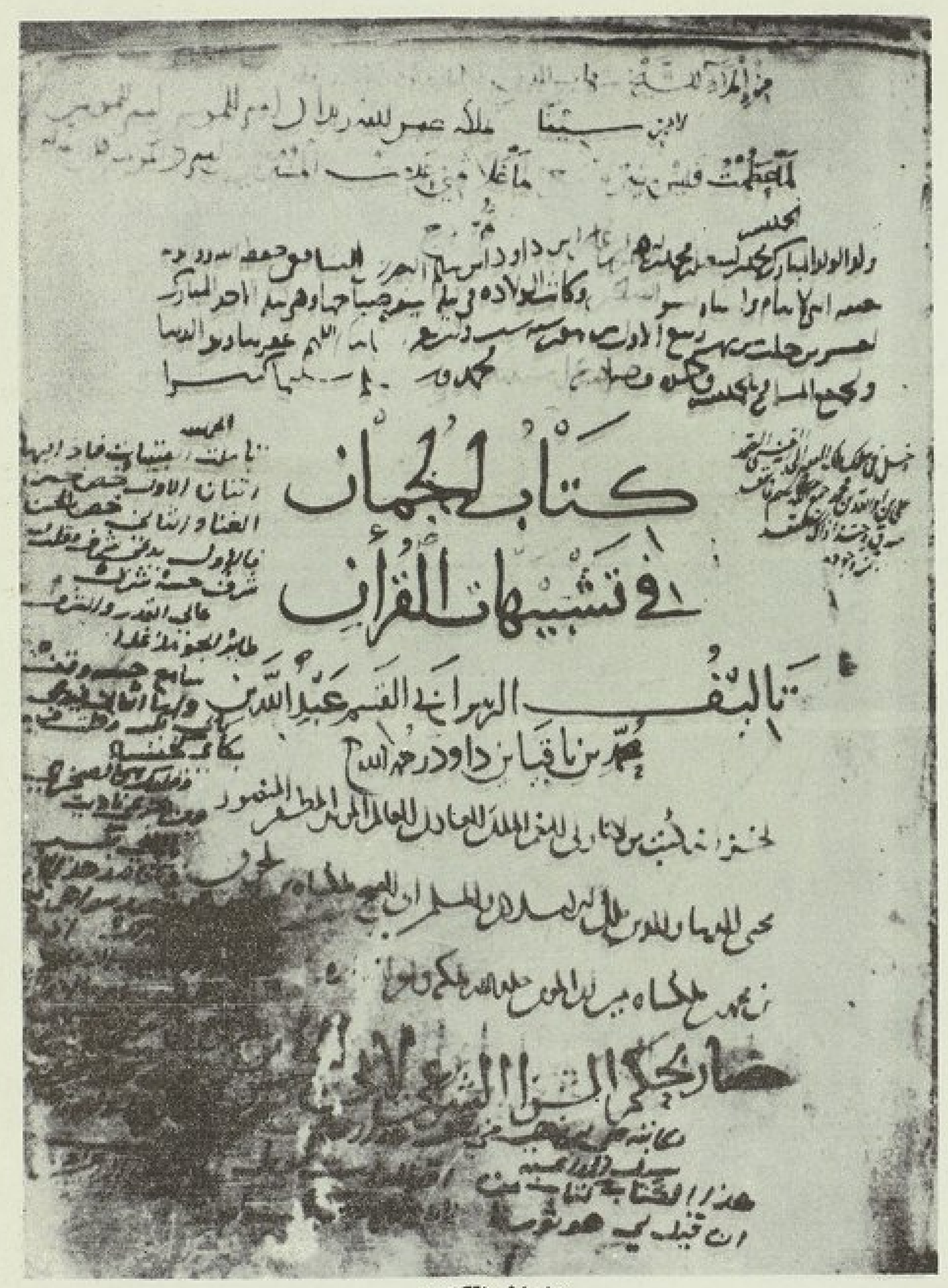
وقد تفضل المعهد مشكورا فصورها لنا ، وكان للاستاذ الباحث محمد رشاد عبدالمطلب يد بيضاء في هذا العمل الجليل ، فجزاه الله خيرا .

هذه نظرة عابرة ألقيناها على ابن ناقيا البغدادي وكتابه « الجمان في تشبيهات القرآن » ولعل فيها ما يوضح حياة هذا الرجل الذي اتهم بالمجون، ويعطي فكرة عن كتبه ولا سيما كتابه « الجمان » .

والله نسأل أن يوفقنا لما فيه خدمة تراث العرب والمسلمين .

الدكتور احمد مطلوب
استاذ مساعد في كليـة الآداب
ورئيس قسم الصحافة فيها

بغداد - ٢٤ تموز ١٩٦٧



كتاب الجمان

في تشبيهات القرآن

تأليف ... أبي القسم عبد الله بن

محمد بن ناقيا بن داود رحمه الله

عنوان الكتاب

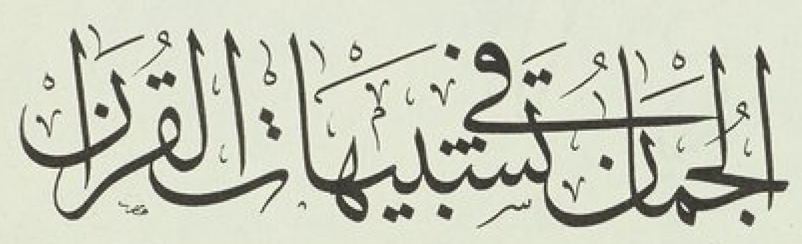
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل
له عوجا قيما وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وسلم تسليما قال عبد الله ابن محمد ابن
ناقيا ابن داود التشبيهات نوع مستحسن
من انواع البلاغة وقد ورد منه في كتاب
الله تعالى ما يعجز ذاكروه في هذا الكتاب
وذاهبون الى ايضاح معانيه والتنبيه على
مكان الفضيلة فيه ونقول في كيفيته

الصفحة الاولى من الكتاب

صروف الزمان ومنازعة خطوب الأيام
وإن كنا غير مسبوقين إلى إذاعة سره وإقصار
عذره واخترنا ثمره على كثرة ما ألف السلف
من الكتب في أنواع علوم القرآن ولم يفرد لهذا
النوع كتاباً ولم ينحو إلى القول فيه باباً ورغبتنا إلى
الله عز وجل مصروفة في الفوز لديه والزلفى
عنده والصلوة على سيدنا محمد وآله وهو ولي
الرغبة إليه بمنه وكرمه ورأفته ورحمته
وحسبنا الله ونعم الوكيل

الصفحة الاخيرة من الكتاب



ابن ناقيا البغدادي

٤١٠ - ٤٨٥هـ

تحقيق

الدكتور أحمد مطلوب — الدكتورة خديجة الحديثي

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمدُ لله الذي أنْزَلَ على عَبْدِهِ الكتابَ ولم يَجْعَل له عِوَجاً • قيماً »(١) • وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما •

قال عبدالله بن محمد بن ناقيا بن داود :

التشبيهات نوع مُسْتَحْسَنٌ من أنواع البلاغة ، وقد وَرَدَ منه في كتاب الله تعالى ما نحن ذاكروه في هذا الكتاب ، وذاهبون الى ايضاح معانيه والتنبيه على مكان الفضيلة فيه • ونقول في كيفية التشبيه : [١] إنَّ الشيءَ يُشَبَّهُ بالشيء تارةً في صورته وشكله ، وتارةً في حركته وفعله ، وتارةً في لونه ونَجْرِهِ(٢) ، وتارةً في سُوسِهِ(٣) وطبعه • وكلٌّ منهما متحدٌ بذاته ، واقع من بعض جهاته ، ولذلك يصح تشبيه الجسم بالجسم ، والعَرَض بالجسم ، والجسم بالعَرَض ،والعَرَض بالعَرَض •

وللتشبيه أدوات منها : الكاف ، وكأنَّ ، ومثل ، وشبيه ، ونحو ذلك • وربما اسْتُغني عن هذه الأدوات بالمصدر نحو : « خرجَ خروجَ

(١) سورة الكهف ، الآيتان ١ ، ٢ •

(٢) النجر : الاصل كالنجار ، ومنه المثل : « كل نجار ابل نجارها » أي : فيه كل لون من الاخلاق ولا يثبت على رأي •

(٣) السوس – بالضم – : الطبيعة والاصل •

القِدْحِ »[1] ، و « طلَعَ طلوعَ النجمِ » ، و « مَرَقَ مروقَ السَّهْمِ »[2]. [٢]

ولا يكثر مثل هذا في التنزيل ، وانما عامة التشبيهات هناك مقرونة بالأدوات . ونسأل الله العصمة من الزلل ، والسلامة في القول والعمل .

(١) القدح ــ بالكسر ــ : السهم قبل أن يُراش وينصل ، ج : أقداح ، وأقدح ، وأقاديح .

(٢) يقول ابن الاثير في المثل السائر ج ١ ص ٣٩٥ : « واعلم ان محاسن التشبيه أن يجيء مصدريا كقولنا : « أقدم اقدام الاسد » و « فاض فيض البحر » ، وهو أحسن ما استعمل في باب التشبيه » .

سورة البقرة

قوله ـ عزوجل ـ : « ثُمَّ قَسَتْ قلوبُكم مِنْ بَعْدِ ذلكَ ، فهي كالحجارةِ أو أشَدُّ قَسْوَةً »[1] .

معنى : « قست » ، أي : غلُظت ويبست وعبست ، فكأنَّ القَسْوة في القلب ذهاب اللين منه والرحمة والخشوع والرقة .[2] [٣]

ومعنى قوله : « بعد ذلك » يريد : من بعد احياء الميت لكم بعضو من أعضاء البقرة . أي : هذه آية عظيمة كان يجب على من شاهدها فشاهد بمشاهدتها من قدرة الله ـ تعالى ـ ما يزيل كل شك أن يلين قلبه ويخضع . والخطاب ها هنا بـ « ذلك » للجماعة ، ولم يقل : « ذلكم » ؛ لأن الجماعة تؤدي الى لفظ الجميع والفريق . فالخطاب في لفظ واحد ومعنى جماعة .

ويجوز في قوله : « فهي كالحجارة » اسكان الهاء ؛ لأن الفاء مع «هي» جعلت الكلمة بمنزلة «فَخِذ » ، فحذف منها الكسرة استثقالاً .[٤]

وروى بعضهم جواز اسكانها واسكان الياء معها وانكر ذلك قوم[3] .

وكذلك « هو ربكم » ، قالوا لأن كل مضمر حركته اذا أنفرد ـ الفتحُ نحو : « أنا ربكم » . فكما لا تسكن نون « أنا » لا تسكن هذه الواو .

---

(١) وتكملتها : « وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعملون » . سورة البقرة ، الآية ٧٤ .

(٢) يقول الزمخشري في الكشاف ج ١ ص ١١٥ : « وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار ، وان المواعظ لا تؤثر فيها » .

(٣) ينظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٢١٧ .

ومَن قرأ : « أشدُ قسوة » رفع باضمار « هي » ، كأنه قال : « أو هي أشدُ قسوةً » . ومَن نصب فهو خفض في الاصل بمعنى الكاف ، ولكنه على وزن « أفعَل » لا ينصرف للصفة ووزن الفعل ، ففُتح وهو في موضع جــر .

وانما شبَّه الله ـ عزوجل ـ قلوبهم في القسـوة بالحجارة [٥] لأن الحجارة هي غاية في المثل ، ولذلك قال الفرزدق[١] : [من البسيط]

أمـا العـدو فانـا لا نلـين لـه
حتى يلينَ لضرسِ الماضغِ الحجر[٢]

وقال الآخر : [من البسيط]

ما أطيبَ العيشَ لو أن الفتى حجـرٌ
تنبـو الحوادثُ عنه غير مكلومِ

وقال عمرو بن مِلقط الطائي[٣] : [من مجزوء الكامل]

مَن مُبلغٌ عَمراً بـان المـرءَ لـم يُخلـقْ صبـاره
وحـوادث الأيـام لا تَبْـقى لهـا الا الحجـاره[٤]

---

(١) هو همام بن غالب بن صعصعة من دارم ، ولد في البصرة ونشأ في باديتها . والفرزدق ثالث الثلاثة الشعراء المقدمين في العصر الاموي ، وهم : الاخطل والفرزدق وجرير . توفي سنة ١١٤ هـ . (تنظر ترجمته في الشعر والشعراء ج١ ص ٣٨١) .

(٢) البيت من مقطوعة أولها :

يختلف الناس ما لم تجتمع لهم ولا اختلاف اذا ما أجمعت مضر

(ينظر ديوانه ج١ ص ٢٠٠) .

(٣) هو عمرو بن نعامة بن غياث بن ملقط . (معجم الشعراء ص ٥٧) .

(٤) الصبارة : الحجارة ، وقطعة من حديد أو حجارة . ويثلث . وفي معجم الشعراء ص ٥٨ : لا يبقى . والبيتان من ثلاثة أبيات آخرها :

فاقتـل زرارة لا أرى في القوم أوفى من زراره

قالها يحض عمرو بن هند على زرارة بن عدس بن عبدالله بن دارم .

وقال تعالى في صفة جهنم : « وقودُها الناسُ والحجارة »[1] ، [٦] فحذر منها باعلامه انها تأكل الحجارة •

وقال أبو ذؤيب الهذلي[2] يصف شدة ما نزل به من المصيبة بما مثله لصبره وتجلده : [من الكامل]

حتى كأني للحوادث مَرْوَةٌ

بصفا المشرَّقِ كُلَّ يوم تُقرع[3]

ومن هذا الباب قول عقبة الأسدي : [من الوافر]

معاويَ اننا بَشَرٌ فأسْجِحْ

فلسنا بالجبالِ ولا الحديدِ

أكلتم أرضَنا فجرزتموها

فهل من قائمٍ أو من حَصيدِ ؟

وقال ذو الرمة[4] في تغزله : [من البسيط]

يقول بالزُّرقِ صحبي اذْ وَقَفتُ بهم

في دارِ ميَّةَ أَسْتَسْقي لها المطرا

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٤ •

(٢) هو خويلد بن خالد ، جاهلي اسلامي ، كان راوية لساعدة بن جؤية الهذلي ، وخرج مع عبدالله بن الزبير في مغزى نحو المغرب فمات • (الشعر والشعراء ج ٢ ص ٥٤٧) •

(٣) المروة : حجر أبيض براق تقتدح منه النار ، ويقال لمن كثرت مصائبه : قرعت مروته • المشرق : مسجد الخيف بمنى ، وانما خصه لكثرة مرور الناس به ، فهم يقرعون حجارته بمرورهم • وروى أبو عبيدة : « المشقر » ـ بتقديم القاف ـ وهو سوق بالطائف • (ديوان الهذليين ج١ ص ٣) • والبيت من قصيدته التي مطلعها :

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

(٤) هو غيلان بن عقبة ، أحد عشاق العرب المشهورين ، وصاحبته مية • (تنظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ٢ ص ٤٣٧) •

[٧]

لو كان قَلبُكَ من صخرٍ لصدَّعه
هيجُ الديارِ لكَ الاحزانَ والذِّكرا[١]

وقال الأعشى[٢] : [من الطويل]

فان يُمسِ عندي الشَّيبُ والسُّقْمُ والعشى
فقد بِنَّ مني والسِّلامُ تفلَّقُ
بأشْجَعَ أخّاذٍ على الدَّهرِ حُكْمَه
فمن أيِّ ما تجني الحوادثُ أفْرَقُ[٣]

وقال العذري[٤] مشيراً الى ما يعانيه من عظم كلفه وشدة غرامه وشغفه: [من الطويل]

ولو أن ما بي بالحصا فلق الحصا
وبالريح لم يُسمَع لَهُنَّ هُبوبُ[٥]

وقد أكثر المحدثون في تغزلهم من تشبيه قلب المحبوب بالحجر، كقول سلم بن عمرو بن عطاء[٦] : [٨]

يلينُ مَن لا أريدُ رِقتَهُ
وقلبُ مَنْ أشتهيه كالحجر

---

(١) استسقي : أقول لها سقاك الله . (ديوان ذي الرمة ص ١٨٤) .

(٢) هو ميمون بن قيس ويكنى أبا بصير ، كان يفد على ملوك فارس ، وهو رابع الشعراء المتقدمين . (الشعر والشعراء ج ١ ص ١٧٨) .

(٣) السلام : جمع سلمة ، وهي الحجارة . (ينظر ديوان الاعشى ص ٢١٧) .

(٤) هو مجنون ليلى ، قيس بن الملوح .

(٥) كذا في الاصل ، وفي ديوان مجنون ليلى ص ٣٣ : فلو .

(٦) هو سلم بن عمرو الخاسر المتوفى سنة ١٨٦ هـ (طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٩) .

وقال ابن أبي أمية ـ أيضا ـ يصف محبوباً : [من السريع]

أطرافُه تُعقَدُ مِن لينهِ
وقلبُهُ كالحجرِ القاسي

وقال الحكمي[1] : [من المتقارب]

فيا ليتَ شعري أمِنْ صخرةٍ
فؤادُك هذا الذي لا يلين[2]

والمعنى ملحوظ من قول كثير[3] : [من الطويل]

كأني أُنادي صَخْرةً حين أعْرَضَتْ
من الصُمِ لو تمشي بها العُصمُ زلَتِ[4]

وقال الآخر : [من الطويل]

ولو أن ما أشكو اليكم شكوتُهُ
الى جبلٍ لارْفَضَ أو لتصدَعا

[٩] وتوخى الآخر المبالغة في وصف الغلظة ونفي الرحمة بفي الجارحة المقرونة بذلك ، وأحسن في تعليل المعنى بقوله : [من الكامل]

ما أنْ لها لَبِدٌ ترقُ لَه
شهدَتْ بذاك لطافةُ الكَشْحِ

(١) هو أبو نواس الحسن بن هانيء ولد بالأهواز سنة ١٣٩هـ ، ومات ببغداد سنة ١٩٥هـ (ينظر طبقات ابن المعتز ص ١٩٣) .

(٢) ينظر ديوان أبي نواس ص٢٩٢ .

(٣) هو كثير بن عبدالرحمن أحد عشاق العرب ، وصاحبته عزه واليها ينسب . (الشعر والشعراء ج ١ ص ٤١٠) .

(٤) كذا في الاصل وديوان كثير ج١ ص٤٣ والامالي ج٢ ص١٠٤ ، أما في الشعر والشعراء ج ١ ص ٤٢٢ : تمشي بها العيس .

فأما من قصد محض التشبيه في هذا الباب ، واعتمد في أخذه على لفظ الكتاب ، فانه وقف دون استيفاء المعنى بمثل قوله ـ تعالى ـ : « أو أشَـدُّ قسوةً » وما يتبع هذا القول من الدلالة عليه ، والحجة فيه ، والتعليل له • وكذلك كل ما ينقله الشعراء وغيرهم من أرباب البلاغة الى [١٠] كلامهم من معاني القرآن لا يبلغون شأوه ، ولا يدركون مناله اعجازاً واعوازاً واباءاً وامتناعا •

وبيّـنَ ـ جلّ اسمه ـ كيف كانت قلوبهم أشد قسوة من الحجارة، فقال : « وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهارُ ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء »[١] • يعني العيون التي لا تكون أنهارا • وقد اقتفى ذلك بعض المولدين ، فقال وذكر الشباب وبكاءه عليه : [من الطويل]

فلا تلحيا انْ فاضَ دمْعٌ لفقْـدهِ
فَقَلّ لـه بَحْرٌ من الدمعِ يَثْمدُ
ولا تعجبا للجَلدِ يبكي فربّمـا
تقطر عن عيْنٍ من الماء جَلْمَدُ[٢]

[١١] وقال ـ أيضا ـ متغزلا : [من مجزوء الرمل]

يا شبيهَ البـدرِ في الحُسْـ ن وفي بعـد المنـال
جُدْ فقد تنفجـر الصَخْـ ـرةُ بالمـاء الـزلال[٣]

ومعنى التنزيل بعد أتم وأعم وأوفى وأعلى بقوله ـ تعالى ـ : « وان منها لَـمَا يَـهْبطُ من خَشيةِ الله »[٤] نحو الجبل الذي تجلى الله له حين كلم

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٧٤ •
(٢) لحاه يلحوه : شتمه أو لامه • ثمد يثمد الماء : قل • الجلمد : الصخر •
(٣) قال أبو بكر الخالدي :
يا شبيه البدر حسنا وضيـاءاً ومنـالا
(٤) سورة البقرة ، الآية ٧٤ •

موسى – عليه السلام – وقال قوم : انه أثر الصَّنْعَة التي تدل على أنها مخلوقة والمختار غير هذا ؛ لأن أثر الصَّنْعَة بيِّنٌ في جميعها وانما الهابط منها مجعول فيه التميز ، كما قال – سبحانه –[1] : « لو أنزَلْنا [١٢] هذا القرآنَ على جَبَلٍ لرأيْتَهُ خاشعاً مُتَصَدِّعاً من خَشْيَةِ اللهِ »[2] • ودخول « أو » ها هنا لغير معنى الشك ، ولكنها « أو » التي تأتي بالاباحة ، تقول : « جالس الحَسَنَ أو ابن سيرين » • المعنى : هما أهلٌ للمجالسة ، فان جالست أحدهما فأنت مصيب ، وان جالستهما معاً فأنت مصيب[3] •

فالتأويل : أعلموا أن قلوب هؤلاء ان شبهتم قسوتها بالحجارة ، فانتم مصيبون أو بما هو أشد فانتم مصيبون • فلا يصلح أن تكون « أو » ها هنا بمعنى الواو ، وكذلك قوله –تعالى– : «مَثَلُهم كمثلِ الذي [١٣] استوقد ناراً [فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يُبصرون • صمٌ بكمٌ عُميٌ فهم لا يَرْجِعونَ •][4] أو كصيِّبٍ »[5] •

يعني : المنافقين • أي : ان مثلتموهم بالمستوقد فذلك مثلهم ، وان مثلتموهم بالصيِّب فهو لهم مثلٌ ، أو مثلتموهم بهما جميعا فهما مثلاهم ،

---

(١) في الاصل : شيخنا سبحانه • وقد خط على كلمة : شيخنا •

(٢) سورة الحشر ، الآية ٢١ •

(٣) قال ابن هشام في مغني اللبيب ج١ ص٦٠ ، وهو يتحدث عن معاني « أو » : « والرابع : الاباحة ، وهي الواقعة بعد الطلب وقبل ما يجوز فيه الجمع ، نحو : « جالس العلماء أو الزهاد » و « تعلم الفقه أو النحو » • واذا دخلت « لا » الناهية امتنع فعل الجميع نحو « ولا تطع منهم آثماً أو كفورا » اذ المعنى لا تطع أحدهما فايهما فعله فهو أحدهما • وتلخيصه انها تدخل للنهي عما كان مباحا ، وكذا حكم النهي الداخل على التخيير وفاقا للسيرافي • وذكر ابن مالك ان أكثر ورود (أو) للاباحة في التشبيه نحو : « فهي كالحجارة أو أشد قسوة » •

(٤) لم يذكر المؤلف هذه الآيات •

(٥) سورة البقرة ، الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ • والآية الاخيرة هي : « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ، والله محيط بالكافرين » •

فالتمثيل مباح لكم فيهم . وهذا التشبيه للمنافقين في تجملهم بظاهر الاسلام وحقنهم دماءهم بما أظهروا . فمثل ما تجملوا به من الاسلام كالنار التي يستضيء بها المستوقد .

وقوله ـ تعالى ـ : « ذَهَبَ اللهُ بنورِهم »(١) .

معناه : اطلاع الله المؤمنين على أمرهم ، فقد ذهب منهم نور الاسلام بما أظهر الله من كفرهم . ويجوز [١٤] أن يكون « ذهب الله بنورهم في الآخرة » . أي : عذبهم فلا نور لهم على الحقيقة ، لأن الله قد جعل للمؤمنين نوراً في الآخرة ، وسلب الكافرين ذلك النور بدليل قوله : « انظرونا نَقتَبِس من نورِكم ، قيل ارجِعوا وراءكم فالتمسوا نوراً »(٢) .

قوله « أو كصيِّب » . الصيب : المطر ، قال الشاعر : [من الطويل]

كأنَّهُمْ صابَتْ عليهم سحابةٌ
صواعقها لطيرهن دبيبُ(٣)

والمعنى : « أو كأصحاب صيّب » ، فجعل دين الاسلام مثلاً [١٥] لهم فيما ينالهم فيه من الشدائد والخوف ، وجعل ما يستضيئون به من البرق مثلا لما يستضيئون به من الاسلام ، وما ينالهم من الخوف في البرق بمنزلةِ

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧ .

(٢) سورة الحديد الآية ١٣ . وهي : « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ، انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ، فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » .

(٣) في اللسان (صوب) : « وقوله تعالى : « أوكصيب من السماء » قال أبو اسحاق : الصيب هنا المطر . وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين ، كأن المعنى : أو كأصحاب صيب ، فجعل دين الاسلام مثلا لهم فيما ينالهم فيه من الخوف والشدائد ، وجعل ما يستضيئون به من البرق مثلا لما يستضيئون به من الاسلام وما ينالهم من الخوف في البرق بمنزلة ما يخافونه من القتل . قال : والدليل على ذلك قوله تعالى : « يحسبون كل صيحة عليهم » وكل نازل من علو الى سفل فقد صاب يصوب ، وأنشد :

كأنهم صابت عليهم سحابة ... صواعقها لطيرهن دبيب

ما يخافونه من القتل[1] . والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ : « يَحسبونَ كل صَيحةٍ عليهم »[2] .

قوله : « يَخْطَفُ أبْصارهم »[3] . يقال خطف يَخْطَفُ » ، وللقراء فيه لغات . يروى عن الحسن بكسر الخاء والطاء ، وعن غيره بفتح الياء والخاء وكسر الطاء ، ويروى أيضا ـ بكسر الياء والخاء والطاء ، ويروى لغة أخرى وهو اسكان الخاء والطاء ، وهذا غير سائغ [١٦] في النطق لامتناع الساكنين من الاجتماع[4] . فأما بعد «يَخْطِفُ » فالجيد : « يَخِطِّفُ » و « يَخَطِّفُ » والأصل : « يختطِفُ » فادغمت التاء في الطاء والقيت على الخاء فتحة التاء[5] .

ومن قال : « يَخِطِّفُ » ـ بكسر الخاء ـ فلسكونها وسكون الطاء الاولى . وزعم بعضهم أن الكسر لالتقاء الساكنين ها هنا خطأ ، وأنه يلزم من قال هذا أن يقول في « يَعَضُّ » : «يَعِضُّ » وفي : « يمُدُّ » : « يمِدُّ »[6] .

---

(١) ذكر ابن منظور هذه العبارة في (صوب) وقد تقدم ذكرها في الهامش السابق .

(٢) سورة المنافقون ، الآية ٤ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٠ .

(٤) في اللسان (خطف) : « خطفه ـ بالكسر ـ يخطفه خطفا ـ بالفتح ـ وهي اللغة الجيدة . وفيه لغة أخرى حكاها الاخفش : خطف ـ بالفتح ـ يخطف ـ بالكسر ـ وهي قليلة رديئة لا تكاد تعرف . وقرأ بها يونس في قوله تعالى : « يخطف أبصارهم » . وأكثر القراء قرأوا يخطف ـ بالفتح ـ قال الازهرى : وهي القراءة الجيدة » .

(٥) في اللسان (خطف) : « فمن قرأ : يخطف ، فالاصل : يختطف ، فادغمت التاء في الطاء والقيت فتحة التاء على الخاء » .

(٦) قال الفراء في معاني القرآن ج١ ص١٧ : « والقراء تقرأ : « يخطّف أبصارهم » بنصب الياء والخاء والتشديد . وبعضهم ينصب الياء ويخفض الخاء ويشدد الطاء فيقول : «يَخِطِّفُ » . وبعضهم يكسر الياء والخاء ويشدد فيقول : « يِخِطِّفُ » وبعض من قراء أهل المدينة يسكن الخاء والطاء فيجمع بين ساكنين فيقول : « يَخْطّفُ » . فاما من قال : « يَخَطِّفُ » فانه نقل اعراب التاء المدغمة الى الخاء اذ كانت منجزمة . =

فالجواب : انَّ هذا غير لازم ؛ لانه لو كسرها هنا لالتبس ما أصله : « يَفْعِلُ » بما أصله : « يَفْعُلُ » . و « يختطف » ليس أصله غير هذا فلا يكون مرة على « يَفْتَعِلُ » ومرة على [١٧] « يَفْتِعِلُ » . فيكسر لالتقاء الساكنين في موضع غير ملتبس ، فامتنع في الملتبس من الكسرة لالتقاء الساكنين وألزم حركة الحرف الذي ادغم لتدل الحركة عليه .

ومعنى : « خطف » و « اختطف » : أخذ بسرعة[١] .

وقوله ـ تعالى ـ : كُلَّما أضاء لهم مَشَوا فيه ، واذا أظْلَمَ عليهم قاموا »[٢] .

يقال : أضاء يُضيء ، وضاء يَضُوء . ويقال : أظْلم وظَلَم ، و « أَظلم » المختار .

ونظر أعرابي الى هذا المعنى من قوله تعالى فقال : [من الطويل]

وليلٍ بهيمٍ كُلَّما قُلت غَورتْ
كواكبُه عادَتْ فما تَتَزيَلُ[٣]

[١٨]

به الرَّكْبُ إمَّا أوْمَضَ البَرقُ يَمَّموا
وإنْ لم يَلُحْ فالقومُ بالسير جُهَّلُ

وبين هذا ولفظ التنزيل من التفاوت ما هو ظاهر ظهوراً شديداً لا يخفى على ذي لب إذا أسهمهما نظره وعاطاهما تأمله .

= واما من كسر الخاء فانه طلب كسرة الألف التي في «اختطف» و «الاختطاف» وقد قال فيه بعض النحويين : انما كسرت الخاء لانها سكنت واسكنت التاء بعدها فالتقى ساكنان فخفضت الاول ، كما قال : « اضربِ الرجل » فخفضت الباء لاستقبالها اللام .

وليس الذي قالوا بشيء ؛ لان ذلك لو كان كما قالوا لقالت العرب في « يَمُدُّ » : يمِدُّ ، لان الميم كانت ساكنة وسكنت الاولى من الدالين ، ولقالوا : في « يعض » : « يَعِضُّ » .

(١) في اللسان (خطف) : « الخطف : الاخذ في سرعة واستلاب » .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٠ .

(٣) كذا في الاصل ، أما في نهاية الارب ج٤ ص ٩٩ : عادت لناتتذيل .

وأخذ المعنى أبو نواس فنحله ووصف الخمر فقال وأطال ، وإنْ كان محسنا : [من الطويل] :

وسيارةٍ ضَلَّتْ عن القَصْدِ بَعْدَ ما
تَرادَفَهمْ جُنْحٌ من الليلِ مُظْلِمُ[1]

فلاحت لهم منّا على البُعْدِ قهوةٌ
كأنَّ سناها ضوءُ نارٍ تَضَرَّمُ

إذا ما حسوناها أقاموا مكانَهم
وإنْ مُزجت حَثُّوا الركابَ ويمَّموا[2]

وكرر المعنى فقال : [من المنسرح] [١٩]

فَعلتْ في البَيتِ اذ مُزِجَتَ
مِثْلَ فِعْلِ الصُّبحِ في الظُّلَمِ[3]

(١) كذا في الاصل ونهاية الارب ج٤ ص٩٩ ، أما في ديوان أبي نواس ص٤٥ : افق من الليل ٠

(٢) سيارة قافلة ٠ القصد : استقامة الطريق ٠ ترادفهم : جعلهم رديفا له ، ويريد : انهم ركبوا الظلام ٠ سناها : ضوءها ٠ تضرم : تتقد ٠ حسوناها : شربناها ٠ حثوا الركاب : حرضوها على السير السريع ٠ الركاب : الابل ٠ يمموا : قصدوا وساروا ٠

وفي نهاية الارب ج٤ ص٩٩ : « قال الحسين بن الضحاك : كنت مع أبي نواس بمكة عام حج فسمع صبيا يقرأ : « يكاد البرق يخطف أبصارهم، كلما أضاء لهم مشوا فيه ، واذا اظلم عليهم قاموا » ٠ فقال أبو نواس : في مثل هذا يجيء للخمر صفة حسنة ففكر ساعة ثم أنشدني: وسيارة ٠٠٠٠ قال : فحدث بهذا الحديث محمد بن الحسين فقال : لا ، وكرامة ما سرقه من القرآن ولكن من قول الشاعر :

وليلٍ بهيم كلما قلت غورت كواكبه ، عادت لنا تتذيل
به الركب إما أومض البرق يمموا وإن لم يلح فالقوم بالسير جهل

(٣) كذا في الاصل وديوان أبي نواس ص ٤١ ، ويروى : فعلت في القوم ٠

فاهْتَـدى سـاري الظـلامِ بهـا
كاهْتـداءِ السَّـفْرِ بالعَلَـمِ[1]

قوله ـ عز وجل ـ : «ولو شاءَ اللهُ لذهَبَ بسمعِهِم وأبصارِهِم»[2] وهو يريد : اسماعهم ؛ لأن أسمع في معنى المصدر ، فوحد . ويجوز أن يكون لمّا أضاف السمع اليهم على معنى اسماعهم . قال الشاعر : [من الطويل]

بهـا جِيَفُ القتـلى فأما عظامُها
فبيضٌ ، وأمـا جلـدُها فصليبُ

وقال الفراء[3] : « كمثل الذي استوقد ناراً » : انما ضرب المثل للفعل، لا لأعيان القوم ، وانما هو مثل للنفاق [٢٠] فقال : « مَثَلُهم كمَثَل الذي استوقد ناراً » ولم يقل : « الذين استوقدوا » . وهو كقوله ـ تعالى ـ : « تدورُ أعيُنهم كالذي يُغْشَى عليه من الموت »[4] .

وقوله : « ما خلقكم ولا بعثكم الاّ كنفسٍ واحدةٍ[5] .

المعنى : « كبعث نفسٍ واحدةٍ »[6] .

---

(١) السفر : المسافرون . العلم : شيء ينصب على الطريق يهتدي به المسافرون .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٠ .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن زياد المتوفى سنة ٢٠٧ هـ (ينظر نزهة الالباء ص ٦٥) .

(٤) سورة الاحزاب ، الآية ١٩ .

(٥) سورة لقمان ، الآية ٢٨ .

(٦) قال الفراء في معاني القرآن ج١ ص١٥ : « فانما ضرب المثل ـ والله اعلم ـ للفعل لا لاعيان الرجال ، وانما هو مثل للنفاق فقال : « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا » ولم يقل « الذين ستوقدوا » . وهو كما قال الله : « تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت » وقوله : « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » . فالمعنى ـ والله أعلم ـ : الا كبعث نفس واحدة . ولو كان التشبيه للرجال لكان مجموعا كما قال : « كأنهم خشب مسندة » . أراد : القيم والاجسام. وقال : « كأنهم أعجاز نخل خاوية »فكان مجموعا اذا أراد تشبيه أعيان الرجال ، فأجر الكلام على هذا » .

وانما قال الله : « بنورهم » ، ذهب الى المنافقين ، فجمع لذلك.

وقيل : معنى « الذي » الجمع ، فوحّده أولاً للفظه ، وجمع بَعْدُ لمعناه. وقال تعالى : « والذي جاءَ بالصِّدقِ وصَدَّقَ به »[1]. ثم قال : « اولئك هم المتقون ».

وقيل في قول الشاعر : [من الطويل]

فانَّ الذي حانت بفلْجٍ دماؤهم
هُمُ القومُ كُلُّ القَوْمِ يا أمَّ خالدِ[2]

[٢١] انه أفرد ، والمراد به الكثرة ليس لأن النون حذفت كما حذفت من قوله : [من الكامل]

أبني كُليبٍ انَّ عَمَّيَّ اللّذا
قتلا الملوكَ وفَكّكا الأغْلالا[3]

وقد ورد في القرآن لفظ التشبيه لغير تشبيه كقوله ـ تعالى ـ في هذه السورة : « أو كالذي مر على قرية »[4].. وانما ذلك معطوف على معنى الكلام الاول في قوله تعالى ـ : « ألَمْ تَرَ الى الذي حاجَّ ابراهيمَ في

---

(١) سورة الزمر ، الآية ٣٣ .

(٢) البيت للاشهب بن رميلة وهو شاعر مخضرم ، اسلم ولم تعرف له صحبة ولا اجتماع بالنبي (ص) . (ينظر اللسان ومعجم البلدان (فلج) وفي اللسان (فلج) : « قال ابن بري : (النحويون يستشهدون بهذا البيت على حذف النون من الذين لضرورة الشعر ، والاصل فيه : « وان الذين ».

وفي البيان والتبيين ج ٤ ص ٥٥ : وان الألى حانت .. والنحويون يروون البيت كما رواه ابن ناقيا يجعلونه شاهدا لمجيء « الذي » بمعنى « الذين » مخففة عنها .

فلج : اسم بلدة (معجم البلدان) .

(٣) البيت للاخطل (ديوانه ص ٤٤) . أراد : اللذان ، فحذف النون . وأحد عميه أبو حنش قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل المرار يوم الكلاب الاول .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٥٩ .

ربه »[1] ؛ لأنه في التقدير : « أرأيت كالذي حاجّ ابراهيم في ربه » أو « كالذي مرّ على قرية » . وموضع الكاف نصب بـ « ترى » . فهذا [٢٢] ونحوه لم نقصد ذكره في هذا الكتاب[2] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٨ .

(٢) تأتي الكاف في القرآن أحيانا لا لهذا التشبيه الفني الخالص ، بل لايقاع التساوي بين أمرين . وقد تأتي وسيلة للايضاح وتقوم هي وما بعدها مقام المثال للقاعدة . (ينظر من بلاغة القرآن ص ٢١١ - ٢١٢) .

سورة آل عمران

قوله ـ عزوجل : ـ « كَدَأْبِ آلِ فرعونَ والذين مِنْ قَبْلهم ، كذَّبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم ، والله شديدُ العقابِ »[1] .

الدأب : العادة وملازمة الطريقة. يقال: «دَأَبَ يدأَبُ دأباً ودُؤوبا وهو دائب بفعل كذا » . أي : يجري فيه على عادته وملازمته[2] .

قال خداشُ بن زهير العامري[3] : [من الطويل] .

وما زالَ ذاكَ الدَّأْبُ حتى تخاذلت

هـــوازن وارفضَّت سـليمْ وعامِرُ

[٢٣]

ومنه قوله : « تَزرعونَ سَبعَ سنين دَأَبا »[4] ، يعني : جداً في الزراعة وملازمة لها . ونصب « دأَبا بتقدير : « تدأبون دأبا » يدل عليه « تزرعون » . وموضع الكاف في « كدأب » رفع لانه خبر ابتداء ، كما انَّ موضع « خَلْفَك » في قولك : « زيدٌ خَلفكَ » رفع بانه خبر ابتداء وانتصب

(١) سورة آل عمران ، الآية ١١ .

(٢) في اللسان (دأب) : « قال الزجاج : في قوله تعالى : « كدأب آل فرعون » أي : كشأن آل فرعون ، وكأمر آل فرعون . كذا قال أهل اللغة . قال الازهري : والقول عندي فيه ـ والله أعلم ـ ان « دأب » مهنا اجتهادهم في كفرهم وتظاهرهم على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتظاهر آل فرعون على موسى ـ عليه السلام ـ » .

(٣) هو خداش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة ، من شعراء قيس المجيدين في الجاهلية (الشعر والشعراء ج ٢ ص ٥٤٠).

(٤) سورة يوسف ، الآية ٤٧ .

بالاستقرار • ولا يصلح أن يكون الكاف في موضع نصب بـ « كفروا » لانَّ « كفروا » في صلة « الذين » لا يصلح أن يكون « إنَّ الذينَ كفروا ككفر آل فرعون » ؛ لانَّ الكاف خارجة من الصلة فلا يعمل فيها ما يعمل في الصلة •

ومعنى : « آل فرعون » [٢٤] أي : اتباعه فيما دعا اليه من ربوبيته ، فهم آله ؛ لانَّ مرجع أمرهم اليه بالنسب • فكل من كان يرجع أمر القوم اليه بالنسب فهم آله في حق كان أو باطل • والفرق بين الآل والأصحاب ، انَّ الآل يرجعون بالنسب الأوكد الأقرب ، وأمَّا الأصحاب فمن الصحبة كالأصحاب في السفر وفي طلب العلم وغيره • وقد كثر في الموافقة على المذهب كقولهم : « أصحاب مالك» وغيره ، ولا يوصفون بأنهم آل مالك • وإنما قيل : « آل فرعون » لانهم رجعوا اليه في اتباعه على عادته • والآية تضمن التشبيه [٢٥] لحال المشركين في اجتهادهم في كفرهم وتظاهرهم على النبي – صلى الله عليه [وسلم] – والتكذيب بآيات الله – عزوجل – بحال « آل فرعون » في تظاهرهم على موسى – عليه السلام – ، وتكذيبهم بآيات الله التي جاء بها •

ونظير لفظ هذا التشبيه قول امريء القيس[٥] ووصف الديار وما عاناه من الترسم لها ، والتذكر بها – وقول الله – جَلَّ اسمه – أكرم ، وأعظم ، وأفصح ، وأوضح ، وأبين ، وأحسن – : [من الطويل]

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيَّهم
يقولون : لا تَهْلِكْ أسىً وتجملِ[٦]

---

(٥) هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي الشاعر الجاهلي الكبير (ينظر الشعر والشعراء ج١ ص٥٠) •

(٦) المطي : الابل والواحدة مطية ، وانتصب بقوله : « وقوفا » •

وإنَّ شفائي عَبْرَةٌ لو سَفحْتُها

فهل عند رسمٍ دارس من مُعولِ (٧)

[٢٦]

كَدَأبِكَ من أُمِّ الحُويرث قَبْلَها

وجارتها أُمِّ الرَّبابِ بمأسلِ (٨)

يقول : لقيت من هذه الديار كما لقيت من أهلها . أي : عادتك العناء بها والبكاء فيها كعادتك في العناء قبلها بهوى ساكنيها .

ويقال : « ما زال ذلك دأبه ودينه وديدنه وشأنه وعادته » .

وقال الله ـ تعالى ـ في سورة أخرى : « كَدَأْبِ آلِ فرعونَ والذينَ مِنْ قَبْلِهم كفروا بآيات اللهِ فأَخَذَهم الله بذنوبِهم إنَّ اللهَ قويُّ شديد العقاب . وذلك بانَّ اللهَ لم يكُ مُغيراً نعمةً أنْعمها على قوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم وأنَّ اللهَ سميعٌ عليم . [٢٧] كدَأْبِ آلِ فرعونَ والذين مِنْ قَبْلِهم كَذَّبوا بآياتِ رَبهم فأهلكناهم بذنوبهم ، وأَغْرقنا آلَ فرعونَ ، وكلٌّ كانوا ظالمين (٩) » .

تكرير قوله ـ تعالى ـ ههنا : « كدأب آل فرعون » انما هو تصريف للقول بالذم بما كانوا عليه من قبيح الفعل ، ولانّه على نوعين مختلفين من العقاب . وإنّما صار التكذيب بآيات الله من أعظم الاجرام ؛ لانّه من أبعدها

---

(٧) كذا في الاصل ، أما في ديوان امريء القيس ص ٨ :

وانَّ شفائي عبرة ان سفحتها

وهل عند رسم دارس من معول

المعول : من العويل والبكاء .

(٨) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٩ : كدينك . والدين : الدأب ، وهو العادة . أي : لقيت من هذه ما كنت تلقى من أم الحويرث ، وهي هر أخت الحارث بن حصين بن ضمضم . مأسل : موضع .

(٩) سورة الانفال ، الآيات ٥٢ ـ ٥٤ .

من[10] الصواب لما يتبعه من تضييع حقوق الله ـ تعـالى ـ فيما يلزم من طاعته التي لا تصح إلاّ بآياته التي جاءت بها رُسُله [٢٨] ٠

والتكذيب نسبة الخبر الى الكذب ، فالمكذب بالحق مذموم ، والمكذب بالباطل من أجل انه باطل قد ظهر أمره محمود ، فانْ قيل : لم وَجَب من تكذيبهم بآيات الله ـ عز وجل ـ تعجيل عقوبتهم ولم يجب في غيرهم ؟ قيل : لانّه لما لم يكن فيهم من يُفلح ، وكان في تعجيل عقوبتهم زجر لغيرهم يصلح به ، وجب تعجيلها لهم ٠

---

(١٠) في الاصل : على ٠

سورة الانعام

قوله ـ عز وجل ـ : « قُلْ أَنَدْعو من دون الله ما لا يَنْفعُنا [٢٩] ولا يَضُرُّنا ، ونُرَدُّ على أعقابنا بَعْدَ إذْ هدانا اللهُ ، كالذي استهوته الشياطينُ في الأرْضِ حَيْرانَ ، له أصْحابٌ يَدْعُونَه الى الهُدى ائْتِنا ، قُلْ : إنَّ هُدَى الله هو الهُدَى ، وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ لرب العالمين »[١] .

نبَّه الله نبيه على حجته على مشركي قومه من عَبَدَةِ الأوثان بقوله : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والانداد ، الآمرين لك باتباع دينهم وعبادة آلهتهم : أندعو من دون الله حجراً أو خشباً لا يقدر على نفعنا ولا ضُرِّنا ، ونَدَعُ عبادةَ مَنْ بيده النفع والضر [٣٠] والحياة والموت ؟ فلا شَكَّ إنْ كنتم تعقلون وتميِّزون بين الخير والشر انكم تعلمون أنَّ خدمة مَنْ يُرجى نفعه ويُرهب ضره أحق وأولى كما قال الله ـ تعالى ـ : « ضَلَّ مَنْ تدعونَ إلاَّ إياه »[٢] .

قوله : « و نُرَدُّ على أعقابنا » أي : أدبارِنا لم نظفر بحجة فيكون مثلنا في ذلك مثل الذي استهوته الشياطين . والاستهواء : الدعاء الى الهوى . وقيل للضال : « يَهْوي » لانه بمنزلة من يمضي من جهة السِفْل ، كما يقال : « أمْرُهُ في سَفَال » .

---

(١) سورة الانعام ، الآية ٧١ .

(٢) سورة الاسراء ، الآية ٦٧ ، وهي : « واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم ، وكان الانسان كفورا » .

قوله : « حيرانَ » منصوب على الحال ، أي : كالذي استهوته في حال حيرته • [٣١] وهذا مثل ضربه الله ـ تعالى ـ لمن كفر بعد إيمانه ، واتبع الشياطين من أهل الشرك بالله وأصحابه الذين كانوا في حال إسلامه ، المقيمون على الدين الحق يدعونه الى الهدى الذي هم عليه • يقولون له : « ائتنا » وهو يأبى ذلك ويتبع داعي الشيطان ويعبد الآلهة والأوثان •

فوجه التشبيه في المثل ان حال الصائر الى الضلال بكفره بعد الدعاء الى الهدى بايمانه كحال الصائر الى الضلال بسلوكه غير المحجة في طريقه بعد الدعاء الى الهدى بلزوم المحجة التي [٣٢] تؤدي الى نجاحه •

قال ابن عباس(٣) ـ رحمه الله ـ : هذا مثل ضربه الله ـ تعالى ـ للالهة ومَنْ يدعو اليها •

والدعاة : الذين يدعون الى الله كمثل رجل ضَلَّ عن الطريق تائهاً إذْ ناداه منادٍ ، « يا فلان بن فلان هَلُمَّ الى الطريق » ، وله أصحاب يدعونه الى اتباعهم ، فان اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه في هلكة ، وإنْ أجاب أصحابه اهتدى الى الطريق • وانما يدعوه الشيطان باسمه واسم أبيه ليخدعه فيضله •

والشياطين : غيلان الجن • والغول(٤) : اسم للذكر والانثى [٣٣] قال العنبري (٥) : [من الوافر] •

---

(٣) هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ، حبر الائمة ، الصحابي الجليل • ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة • كان محدثا وفقيها ومفسرا • توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ (الاصابة ت ٤٧٧٢، ونكت الهميان ص١٨٠)•

(٤) الغول ـ بالضم ـ السعلاة ، والجمع أغوال وغيلان • وفي الحيوان ج٦ ص ١٥٨ : « فالغول اسم لكل شيء من الجن يعرض للسفار ، ويتلون في ضروب الصور والثياب ، ذكرا كان أو أنثى ، الا ان اكثر كلامهم على أنه انثى » •

(٥) هو عبيد بن أيوب العنبري ، كان يخبر في شعره انه يرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئاب والافاعي ، ويؤاكل الظباء والوحش • ذكره =

وغُـــولا قَفَــرةٍ ذكــرٌ وانثى

كأنَّ عليهمـــا قِطَعَ البِجـادِ (٦)

والغول في كلامهم : الداهية ـ أيضاً ـ وكذلك الحرب على التشبيه ٠

قال الشاعر : [من الرجز]

الحربُ غـولٌ أوْ كشبـهِ الغُولِ

تَقْـلِـبُ للاوتـــار والــذُحـولِ

حملاقَ عينٍ ليس بالمكحـــولِ (٧)

والشيطان ـ أيضاً ـ من أسماء الحية على التشبيه ، قال الشاعر وذكر ناقة : [من الطويل]

تلاعـبُ مثنى حضْـرَميٍ كأنَّـــهُ

تَعمُّجُ شَيطانٍ بذي خِروع قَفرِ (٨)

[٣٤] وقد ذكرت العرب في أشعارها ما تعانيه في مجهول الأرضين من

= الجاحظ في الحيوان باسم أبي المطراب (الحيوان ج٤ ص٤٨٢ ، و ج ٥ ص ١٢٣ ، ١٣٨ ، و ج ٦ ص ١٥٩ ، ١٦٥) وترجـم له ابن قتيبـة في الشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٦٨ ٠

(٦) ينظر الحيوان ج ٦ ص ١٥٩ ٠ البجاد : كساء مخطط من أكسية الاعراب ٠

(٧) كذا في الاصل ، أما في الحيوان ج٦ ص١٩٦ :

والحرب غول أو كشبه الغول   تـــزف بالـرايات والطبـــول
تقلب للأوتـــار والـــذحول   حمــلاق عين ليس بالمكحـــول

الاوتار : جمع وتر ـ بالكسر ـ وهو الثأر ٠ ذحول : جمع ذحـل ـ بالفتح ـ وهو الثأر ٠ حملاق العين : باطن أجفانها ٠

(٨) ذكره الجاحظ في الحيوان ج ١ ص ١٥٣ ولم يذكر قـــائله ٠ يقول : « ويسمون الحية اذا كانت داهية منها شيطانا ، وهو قولهم : شيطان الحماطة » ٠ والبيت فيه : تعالج مثنى ٠

تلون الغيلان ، وتسمعه من أصوات عزيف الجنّان في التعرض للمسالك هناك • قال ذو الرمة وذكر أرضاً قطعها : [من البسيط] •

للجنِ بالليلِ في حافاتِهـا زَجَلٌ
كما تجاوبَ يومَ الريـحِ عَيْشُومُ
هَنَّـا وهنـا ومن هنـا لَهُنَّ بها
ذات الشمائلِ والأيمانِ هَيْنُومُ(٩)

وقال ـ أيضا ـ وذكر مطيته : [من الطويل]

وكم عرّستْ بعد السُرى من مُعرسٍ
به من كلامِ الجن أصواتُ سامرِ(١٠)

[٣٥]

وقال عُبيد بن أيوب العنْبري : [من الطويل]

فلِلّـهِ درُّ الغُـولِ أي رفيقـةٍ
لصـاحبِ قَفْرٍ خائفٍ يتقترُ
أرنَّتْ بلحْنٍ بعد لحنٍ وأوقدتْ
حواليَّ نيرانـاً تبوخُ وتزهرُ(١١)

---

(٩) عيشوم : من ضروب النبت يتخشخش اذا هب الريح •
من هنا ومن هنا : من ايمانها وشمائلها • الهيمنة : صوت تسمعه ولا تفهمه • (ينظر ديوان ذي الرمة ص ٥٦٧) •

(١٠) التعريس : النزول آخر الليل للنوم والاستراحة • (ديوان ذي الرمة ص ٢٩٢) •

(١١) كذا في الاصل أما في الحيوان ج٦ ص١٦٥ ، ٢٥١ : متقتر ، وفي الشعر والشعراء ج٢ ص٦٦٨ : يتستر • وفي الحيوان ج٤ ص٤٨٣ : خائف متقفر • المتقفر : المتنحي عن الناس • أرنت من الارنان ، وهو التصويت • تبوخ : تسكن وتفتر • تزهر : تضيء • (ينظر الحيوان ج٦ ص١٦٥) •

وفي تلون الغول يقول العباس بن مرداس[١٢]: [من البسيط]

أصابَت العامَ رِعلاً غُولُ قومهم

وَسط البيوت ولونُ الغُولِ الوان[١٣]

وقال كعب بن زهير[١٤] وذكر امرأة : [من البسيط] •

فما تدومُ على حالٍ تكونُ بها

كما تلوّنُ في أثوابها الغول[١٥]

وحكى ابن الأعرابي[١٦] قال : نزلت ذات مرة بأعرابي من غني فقلت : ما أطيبَ ماءكم هذا ، وأغزل منزلكم » [٣٦] • قال : نعم على انه بعيد من الخير كله ، بعيد من العراق واليمامة والحجاز ، كثير الجنان ، كثير الحيات •

فقلت : أترون الجن ؟ قال : نعم ، مكانهم في هذا الجبل ، يقال له : سواج •

قال : ثم حدثني اشياء •

وقال الاصمعي[١٧] : السيوف المأثورة هي التي يقال انها من عمل

---

(١٢) هو العباس بن مرداس ، أحد شعراء الجاهلية وفرسانهم ، وفد على النبي (ص) ومدحه فاسلم قبل فتح مكة فاعطاه مع المؤلفة قلوبهم (الشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٣٢ ، ومعجم الشعراء ص ١٠٢) •

(١٣) رعل : قبيلة من سليم (الحيوان ج ٦ ص ١٦١ ، والقاموس واللسان (رعل) •

(١٤) هو الصحابي الجليل وأحد فحول الشعراء المخضرمين المجيدين • (الشعر والشعراء ج ١ ص ٨٩) •

(١٥) البيت من قصيدته البردة • (ينظر ديوانه ص ٨ ومابعدها) •

(١٦) هو محمد بن زياد ، راوية ، ناسب ، علامة باللغة ، من اهل الكوفة • مات بسامراء سنة ٢٣١هـ • (نزهة الألباء ص ١٠٣) •

(١٧) هو أبو سعيد عبدالملك بن قريب صاحب اللغة والنحو والغريب والاخبار والملح • كان من أهل البصرة وقدم بغداد في أيام الرشيد • مات سنة ٢١٦هـ (نزهة الالباء ص ٧٤) •

الشياطين لسليمان بن داود [١٨] •

وقد تَزيد بعض العرب في هذا الباب مما تعلق به قوم من الملحدة في نفي ما جاء به الكتاب ليّاً بألسنتهم وطعناً في الدين • وجحدوا أنْ يكون هذا الصنف من المخلوقات في العالم [١٩] [٣٧] وما أعجب هذا القول مع الاقرار أن أنواع الحيوان ، وهو بعض المخلوقات ، لا يقع الاحصاء عليها ، ولا يحيط العلم بها ، فكيف يكون العجز عن معرفة الشيء حجةً في نفيه • على أنّ دعاوى العامة في هذا الباب كثيرة ، وأكاذيب العرب جمة • فمن ذلك قولهم : أنّ أبا ليلى الطهوي [٢٠] قتل الغول ، وكذلك يقولون عن تأبط شراً [٢١] ، ويروون في ذلك الاشعار الكاذبة ، وانّ عمرو بن يربوع [٢٢] تزوج السعلاة وولدت له ، وما جرى هذا المجرى •

---

(١٨) في الحيوان ج٦ ص١٨٧ : « وقال الاصمعي : السيوف المأثورة : هي التي يقال أنها من عمل الجن والشياطين لسليمان بن داود — عليهما السلام — » •

(١٩) في الحيوان ج٢ ص١٣٩ : « فاما الدهرية فمنكرة للشياطين والجن والملائكة والرؤيا والرقى ، وهم يرون أن أمرهم لا يتم لهم الا بمشاركة أصحاب الجهات » •

(٢٠) في سمط اللآلي ص٦٤٤ : « الطهوي جندل بن المثنى الطهوي من تميم ، شاعر راجز ، كان معاصرا للراعي وكان يهاجيه • نسبته الى طهية وهي جدته » • وينظر الاعلام للزركلي ج٢ ص١٣٧ • ولعله أبو الغول الطهوي • (ينظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج١ هامش ص٢٢)•

(٢١) هو ثابت بن عمسل ، ويقال : ثابت بن جابر ، كان شاعرا بئيسا (الشعر والشعراء ج١ ص٢٢٩) •

(٢٢) في الحيوان ج٦ ص١٦١ : « ويقولون : تزوج عمرو بن يربوع السعلاة ، وقال الراجز :

يا قاتل اللـه بني السعلاة　　　عمرو بن يربوع شرار النات

وفي ص ١٩٦ : « ومن قول الاعراب أنهم يظهرون لهم ويكلمونهم ويناكحونهم ••• وذكر أبو زيد عنهم ان رجلا منهم تزوج السعلاة ، وأنها كانت عنده زمانا وولدت منه حتى رأت ذات ليلة برقا على بلاد السعالى فطارت اليهن فقال :

رأى برقا فأوضع فوق بكر　　　فلا بك ما اسال وما أغاما

فمن هذا النتاج المشترك ، وهذا الخلق المركب عندهم بنو السعلاة من بني عمرو بن يربوع ، وبلقيس ملكة سبأ » •

وقد كان [٣٨] بعض أهل النظر لاينكر تطرق القتل على هذا القبيل الا لمكان السحر منهم والحيلة . واحتج بعض مجان المتكلمين لمشاركتهم في النتاج بالحمر الاخدرية [٢٣] ؛ لان الاخدر فرس كان لأردشير [٢٤] توحش فحمى عانات [٢٥] من الحمير فضرب فيها ، وبالزرافة وهي بين الناقة والضبُع والبقرة الوحشية ، واسمها « أشتر كاوبلنك » [٢٦] . وذلك ان الضبعان ببلاد الحبشة تسفد [٢٧] الناقة فتجيء بولد بين خَلْقِ الناقة والضبع . فان كان ذكراً عرَضَ [٣٩] للبقرة فألقحها زرافة . وسميت زرافة ؛ لانها جماعة ، وهي واحد . قال الشاعر [من البسيط]

قَومٌ إذا الشَّرُ أبدى ناجذيه لهم
طاروا اليه زرافاتٍ ووحدانا [٢٨]

والكلاب تسفد الذئاب في أرض سَلوق [٢٩] فتنتج الكلاب السلوقية . وهذا يستحيل من هذا القبيل لمباينة الجنس والتوحش من الانس [٣٠] .

---

(٢٣) في الحيوان ج١ ص١٣٩ : « ويقال ان الحمر الوحشية ، بخاصّة الاخدريّة ، أطولُ الحميرِ أعماراً ، وانما هي من نتاج الأخدَر ، فرس كان لاردشير بن بابك صار وحشياً فحمى عانات فضرب فيها ، فجاء أولاده منها أعظم من سائر الحمر وأحسن .

(٢٤) هو اردشير بن بابك ملك الفرس .

(٢٥) العانة ، الأتان ، القطيع من حمر الوحش ، جمع : عون وعانات .

(٢٦) في الحيوان ج١ ص١٤٢ : « وتأويل أشتر بعير ، وتأويل كاو بقرة ، وتأويل بلنك الضبع » .

(٢٧) ينظر ما ذكره الجاحظ في الحيوان ج١ ص١٤٣ .

(٢٨) البيت لقريط بن أنيف أحد شعراء بلعنبر ، تروى لابي الغول الطهوي ، وهو من القصيدة التي أولها :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

(ينظر الحماسة ج١ ص٢٧) .

(٢٩) سلوق : أرض باليمن ، والكلاب السلوقية منسوبة اليها ، وكذلك الدروع (معجم البلدان) .

(٣٠) ينظر الحيوان ج٢ ص١٨٣ .

فأما قول القَعْقاع بن مَعْبَد بن زرارة[٣١] في ابنه عوف[٣٢] ؛ [« والله لما أرى فيه] من شمائل الجن أكثر مما أرى فيه من شمائل الانس»، فعلى جهة التمثيل والتشبيه والمبالغة في الوصف [٤٠] كنحو ما ورد في أشعارهم من ذلك . قال أبو الجُويرية العبدي[٣٣] وذكر قوماً : [من البسيط] .

إنسٌ إذا أمِنوا ، جن إذا فزعــوا

مُرزءون ، بهاليل إذا حَشَــدوا[٣٤]

وقال لبيد بن ربيعة [٣٥] : [من الكامل]

غُلْبٌ تَشَذَّرُ في الذُحـولِ عليهم

جِنُّ البـدي رواسياً أقدامُهـا[٣٦]

---

(٣١) ذكره الجاحظ في الحيوان ج٣ ص٩٣ ، وج٦ ص٢٣٦ .

(٣٢) قال بعض التميميين يمدحه :

بحق امرىء سرو عتيبة خالـه وانت لقعقاع وعمـك حاجـب

دراري نجوم كلما انقض كوكب بدا كوكب ترفض عنه الكواكب

(٣٣) هو عيسى بن أوس عصية ، أحد بني عامر بن معاويـة بن عبدالله بن مالك ، ونسبته الى عبدالقيس . وابو الجويرية هذا غير أبي الجويرية العنزي (معجم الشعراء ص ٩٥ ، والحيوان ج٦ هامش ص١٨٠)

(٣٤) فزعوا : أغاثوا غيرهم . مرزءون يرزؤهم الناس ، يصيبون من مالهم .

البهاليل : جمع بهلول وهو العزيز . حشدوا : خفوا في التعاون ، أودعوا فأجابوا مسرعين . (ينظر الحيوان ج٦ ص١٨٠) .

(٣٥) هولبيد بن ربيعة بن مالك الشاعر المخضرم الكبير (الشـعر والشعراء ج١ ص١٩٥) .

(٣٦) كذا في الاصل ، أما في ديوانه ص٣١٧ ، وشرح المعلقـات السبع ص ١٤٤ : بالذحول كانها . الغلب . الغلاظ الاعناق . التشذر : التهدد . الذحول : الاحقاد ، الواحد : ذحل . البدى : موضع . الرواسى : الثوابت .

وقال النابغة الذبياني(٣٧) : [من الكامل]

سَهِكِينَ من صدأ الحديد كأنَّهم

تَحتَ السَنَوَّرِ جِنَّةُ البقار(٣٨)

وقال حاتم(٣٩) وذكر الخيل : [من الطويل]

عليهنَّ فتيانٌ كجنَّةِ عَبقرٍ

يهزّون بالأيدي الوشيجَ المقوما(٤٠)

[٤١]

وقال زهير :

عليهنَّ فتيانٌ كجنَّةِ عَبقَرٍ

جديرونَ يوماً أن ينالوا ويستعلوا(٤١)

عبقر : قيل أرض يسكنها الجن فصارت مثلاً في وصف الشيء المنسوب اليها ، فلذلك قيل لكل شيء رفيع : عبقري • وفي الحديث في صفة عمر : « فلم أرَ عبقريا يفري فَرِيَّه »(٤٢) • أي : يفعل فعله • وعبقري القوم : كبيرهم وسيدهم •

---

(٣٧) هو زياد بن معاوية ، أحد شعراء الطبقة الاولى ، عده ابن سلام بعد امريء القيس وقبل زهير والاعشى • (تنظر ترجمته في الشعر والشعراء ج١ ص٩٢) •

(٣٨) كذا في الاصل والديوان ص ٨٠ ، أما في معجم البلدان (بقار) : قنة البقار • السهكة : رائحة كريهة من العرق • السنور : السلاح التام • البقار : موضع زعموا أنه تكثر فيه الجن •

(٣٩) في الاصل : زهير ، ووضع بجانبه « حاتم » وهو الصحيح •

(٤٠) في الحيوان ج٦ ص١٨٩ : ان البيت لحاتم الطائي ، ولكنه لم يذكر في ميميته المشهورة (ديوان حاتم ص٧٩) وهو في مختارات ابن الشجري ص١٣ ، وفيه : وشيجا مقوما • الوشيج : الرماح •

(٤١) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص ١٠٣ ، واللسان (عبقر) :

بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوما أن ينالوا ويستعلوا

(٤٢) ينظر النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ج٣ ص١٧٣ ، ٤٤٢ ، واللسان (عبقر) •

وقال أعرابي وذكر رجلاً : « ظلمني والله ِ ظلماً عبقرياً » • يريد : أغرب في ظلمي • ويقال : عبقر : أرض تعمل فيها البرود ، ولذلك نسب الوشي [٤٢] اليها • قال الشاعر : [من البسيط]

حتى كأنَّ رياضَ القُف ألبسَها

مِن وشي عَبقَر تجليلٌ وتنجيد(٤٣)

ومن هذا قيل للبسط : عبقرية ، تنسب الى تلك البلاد(٤٤) • وكما نسبوا الى هذا القبيل كل غريب وضربوا به المثل في كل عجيب ، فكذلك فحول الشعراء في أشعارهم ان لهم شياطين يقولون على ألسنتهم ، إشارة بذلك الى الاحسان ، وذهابا الى وصف الشعر ، كقول الفرزدق وذكر قصيدة : [من البسيط] •

كأنَّها الذَهَبُ العقيانُ حَبرَهَا

لسان أشْعرِ خلقِ الله ِ شيطانا(٤٥)

[٤٣]

وقال أبو النجم(٤٦) : [من الرجز]

إنّي وكلُّ شاعرٍ من البَشَرْ

شيطانهُ أنثى وشيطاني ذكر(٤٧)

---

(٤٣) البيت لذي الرمة (ديوانه ص ١٣٦) واللسان (عبقر) •
القف : ما غلظ من الارض • تنجيد : تزيين •

(٤٤) في اللسان (عبقر) « قال الفراء : العبقري : الطنافس الثخان ، واحدتها : عبقرية • والعبقري : الديباج • ومنه حديث عمر : انه كان يسجد على عبقري ، وقيل : هو الديباج ، وقيل : البسط الموشية » • وينظر النهاية ج٣ ص١٧٣ •

(٤٥) كذا في الاصل ، أما في الديوان ج٢ ص٣٣٥ : أشعر أهل الارض شيطانا •

(٤٦) هو الفضل بن قدامة من عجل (الشعر والشعراء ج٢ ص٥٠٢) •

(٤٧) ينظر الشعر والشعراء ج٢ ص٥٠٢ •

وقال ابن ميّادَة[٤٨] : [من الطويل]

ولمّـــا أَتاني ما تقــول مُحــارِبٌ
بَعَثَتْ شياطيني وَجُنَّ جنونُهـــا

وَحُكْتُ لهــم ممــا أقولُ قصائـداً
تعالى بها صُهب المهاري وجونُها[٤٩]

وهم يشبهون النساء بالجن إذا أغربوا في وصف حسنهن وبالغـوافي نعت خلابتهن وخداعهن ، كما قال الاخطل[٥٠] : [من الكامل]

وتَغَوَّلَـــتْ لتروعنـــا جنيَّــةٌ
والغانيـــاتُ يُرينَـكَ الأهــوالا[٥١]

[٤٤] وقال المقنع الكندي[٥٢] : [من البسيط]

وفي الظعائن والأحداجِ أحسنُ مَن
حَلَّ العراقَ وحَلَّ الشامَ واليمنـــا

---

(٤٨) هو الرماح بن يزيد وميادة أمه ، وفد على الوليد بن يزيد بن عبدالملك فأنشده شعرا له فيه فاستحسنه وأمر بملازمته ففعل ، وبقـي ابن ميــادة حتى أدرك بني العبـاس • (الشعر والشعراء ج٢ ص٦٥٥ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٠٦) •

(٤٩) كذا في الاصل ، أما في الحيـوان ج١ ص١٥٢ ، ٣٠٠ ، وج٦ ص ٢٤٤ :

فلما أتاني ما تقـول محارب — تغنت شياطيني وجـن جنونهـا
وحاكت لها ممـا أقول قصائدا — ترامت بها صهب المهاري وجونها

(٥٠) هو غياث بن غوث الشاعر الاموي المشهور ، توفي سنة ٩٠هـ (الشعر والشعراء ج١ ص٣٩٣) •

(٥١) ينظر ديوانه ص ٤٢ • تغولت : تلونت •

(٥٢) هو محمد بن عمير من كندة شاعر اشتهر في العصر الاموي ، وكان مقنعا طول حياته توفي سنة ٧٠هـ (الشعر والشعراء ج٢ ص٦٢٥) •

جنيّةٌ من نِساء الانس أحسن منْ

شمسِ النهارِ وبدرِ الليلِ لوقُرنا(٥٣)

وقال آخر : [من الكامل]

جنيَّــةٌ بَــرَزَتْ لتقتـلني

مطليــة الأقــرابِ بالمِسْكِ(٥٤)

وأحسن الآخر في قوله على غير هذا الوصف : [من الطويل]

فَدَقّتْ وجَلتْ واسبكرتْ وأكملت

فلو جن إِنسانٌ من الحسن جنت(٥٥)

وقريب منه قول الآخر : [من الخفيف]

إِنَّ شَرْخَ الشباب والشَّعر الأسودَ مـا لم يُعاص كان جُنونـا

[٤٥] وقول الآخر ـ أيضاً ـ : [من البسيط]

قالَتْ : عَهدتُك مجنونا ، فقلتُ لها :

إِنَّ الشبابَ جنونٌ برؤه الكبر(٥٦)

وقالوا : جنُ الشباب ، كما قالوا : شرخ الشباب ، وعنفوان الشباب .

حدثنا محمد بن علي بن المهتدي عن محمد بن المأمون عن محمد ابن القاسم عن احمد بن يحيى عن سلمة عن الفراء ، قال : يقال : كَدن

---

(٥٣) ينظر الشعر والشعراء ج٢ ص٦٢٥ ، وهما في خمسة أبيات .

(٥٤) كذا في الاصل ، أما في ديوان عبيدالله بن قيس الرقيـات ص١٤١ : جنية خرجت لتقتلنا . وفي الاغاني ج١١ ص١٧٥ (الكتب) : مطلية الاصداغ بالمسك . الاقراب : مفردها قرب وهو الخاصرة ، أو ما بين الصدغ والخاصرة .

(٥٥) البيت للشنفرى الازدي (ينظر المفضليات ص١٠٩ ، والحيوان ج ٣ ص ١٠٨ ، وج ٦ ص ٢٤٤ ، واللسـان (جـن) . اسبكرت : استقامت .

(٥٦) البيت لابن أبي فنن (عيون الاخبار ج٢ ص ٣٢٠) .

هذا في عِهباء شبابه[٥٧] وغير الفراء يقصر ، بمعنى عنفوان شبابه ، وشرخ شبابه ، وريق شبابه ، وجن شبابه ، وغلواء شبابه ، وري شبابه • وأنشد :

[من الطويل] [٤٦]

أجِنَّ الصبا أم طائر البين شفَّني
بذاتِ الصفا تنعابُه ومحاجله

ومن تشبيهاتهم أيضاً في هذا الباب قول الراجز : [من الرجز]

فقلْتُ : واللهِ لترحلنَّا
قلائصاً تحسبهنَّ جِنّا[٥٨]

وقول القطامي[٥٩] : [من البسيط] :

يَتْبَعْنَ ساميةَ العينين تحسبُها
مجنونةً أو ترى ما لا ترى الابل[٦٠]

وقول الخَطَفَى[٦١] : [من الرجز]

يرفعْنَ بالليلِ إذا ما أسْدَفا أعناق جنان وهاماً رُجَّفا
وعَنَقاً بعد الكلالِ خيطفا[٦٢]

وبه سمي : الخطفى •

---

(٥٧) في اللسان (عهب) : « عهبى الشباب وعهباؤه : شرخه » •

(٥٨) ذكره الجاحظ في الحيوان ج ٦ ص ١٠٨ ، ولم يذكر قائله •
القلائص : جمع قلوص ، وهي الفتية من الابل •

(٥٩) هو عمير بن شييم ، كان معاصرا للوليد بن عبدالملك• توفي سنة ١٠١ هـ على أرجح الروايات (الشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٠٩ ، ومقدمة ديوانه) •

(٦٠) ينظر ديوانه ص ٢٣ •

(٦١) هو لقب عوف جد جرير •

(٦٢) أسدف : أظلم • جنان : جنس من الحيات اذا مشت رفعت رؤوسها •
الخيطف والخيطفي : سرعة انجذاب السير • (اللسان : خطف ، سدف ، جن) •

وكان عمر بن عبدالعزيز(٦٣) نهى الناس عن حمل الصبيان [٤٧] على ظهور الخيل يوم الحلبة . قال : «تحملون الصبيان على الجِنَان»(٦٤) . كل ذلك وارد في كلامهم على سبيل المبالغة في الوصف والاغراب في القول . والعامة تزعم أنَّ الشياطين يغيرون خلقهم ، ويبدلون صورهم . وذلك باطل لا حقيقة له ، وانما يخيلون بسحرهم وحيلهم . وفيهم العرامة(٦٥) واللعب والمرح والعبث ، وهم أهذب لطافة ، وأقل آفة ، وأخف أبدانا ، وأحد أذهانا ، وأكثر معرفة ، وأدق فطنة . ولهم الذهاب في الهواء [٤٨] والتصعد في السماء كما نطق به الكتاب . وكانت الفرقة من العرب اذا وقعت في تيه من الارض ونزلوا الأودية الموحشة خافوا عبث الجنَّان فيقوم أحدهم فيرفع صوته ، ويقول : « إنا عائذونَ بسيد هذا الوادي » ، فلا يؤذيهم أحد ما أقاموا هناك .

وحُكي عن عُمير بن ضُبيعة قال : بينا أنا أسير في فلاة مع ابن ظُبيان عرضت لنا عجوز وصبي يبكي ، فقال : إني منقطع فلو تحملتماني ، فقال صاحب عُمير : لو أرْدَفْتَهُ . فحمله خلفه ، فمكثا ساعة [٤٩] فنظر في وجه عمير ، وتنفس فخرج من فيه نار فأخذ له عمير السوط فبكى ، فكف عنه . ثم فعل ذلك مراراً حتى حمل عليه بالسيف ، فلما رأى الجد منه وثب ، وقال : قاتلك الله ما أشدَّ قلبك .

قال الأصمعي : كتب عامل عمان الى عمر بن عبدالعزيز : « إنا أتينا بساحرة فألقيناها في الماء فطفت » . فأجابه : « لسنا من الماء في شيء ان قامت البيِّنة ، وإلا خَلِّ عنها » .

---

(٦٣) توفي سنة ١٠١ هـ .

(٦٤) في الحيوان ج ٦ ص ١٧٩ : « وكان عمر بن عبدالعزيز أول من نهى الناس عن حمل الصبيان على ظهور الخيل يوم الحلبة ، وقال : « تحملون الصبيان على الجنان » .

(٦٥) العرامة : الحدة والشدة .

وروى أبو زيد(٦٦) عن بعض الاعراب قال : ربما نزلنا بجمع كثير ورأينا خياما وقبابا وناسا ، ثم فقدناهم [٥٠] من ساعتنا .

وقال سُمير بن الحارث(٦٧) : [من الوافر]

ونارٍ مَدْحضات بُعيد وَهْنٍ
بدارٍ لا أُريدُ بها مقاما
سوى تحليل راحلة وعين
أكاليها مخافةَ أنْ تناما
أتوا ناري فقلت : منون أنتم
فقالوا : الجن ، قلت : عموا ظلاما
وقُمْتُ الى الطعامِ فقال منهم
زعيم : نحسدُ الانسَ الطعاما(٦٨)

ورُوي أنهم كانوا يسمعون في الجاهلية من اجواف الاوثان همهمة ، وأنَّ خالداً لما هدَم العُزّى رمته بالشرر ، وقد حمل ذلك قوم على حيل السدنة لمكان التكسب . وجائز أنْ يكون ذلك من أعابيث الجن[٥١] كما قدمنا القول في تضليلهم واستهوائهم .

وقوله — تعالى — : « وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ لربِّ العالمين »(٦٩) . أي : يدعونه ويقولون : أمرنا بالتسليم لرب العالمين . والعرب تقول : « أمرتك بأن تفعل » ، فالباء للالصاق ، والمعنى : ومع الأمر بهذا الفعل . ومَنْ قال : « أمرتك أن تفعل » ، فعلى حذف الباء ، ومن قال : « أمرتك لتفعل » فقد أخبر بالعلة التي لها وقع الأمر . المعنى : أمرنا للاسلام واقامة الصلاة . [٥٢]

---

(٦٦) هو سعيد بن أوس بن ثابت الانصاري ، أحد أئمة الادب واللغة ، من أهل البصرة . مات سنة ٢١٥ هـ . (نزهة الالباء ص ٨٥) .
(٦٧) هو سمير أو شمير بن الحارث الضبي (خزانة الادب ج٣ ص ٣) .
(٦٨) تنظر الابيات في الحيوان ج ١ ص ١٨٦ .
(٦٩) سورة الانعام ، الآية ٧١ .

سورة الاعراف

قوله ـ عز وجل ـ : « وهو الذي يُرْسِلُ الرياحَ بُشْراً بين يَدَي رَحْمَتِه حتى اذا أقَلَّتْ سحاباً ثِقالاً سُقْناه لبلدٍ مَيتٍ فأنْزلنا به الماءَ فأخرجنا به من كُلِّ الثمراتِ ، كذلك نُخرِجُ الموتى لعلكم تَذكَّرون »[1] .

قرىء : « نُشُراً » مثقلة ، و « نُشْراً » باسكان الشين . وعن حمزة[2] والكسائي[3] : « يُرسل الريح نَشْراً » بفتح النون ، والنشر خلاف الطي كنشر الثوب بعد طيه . فلما كانت الرياح بمنزلة المطوي في امتناع الادراك ثم صارت تدرك في الآفاق كانت [٥٣] كنشر الثوب بعد طيه في الادراك فاستعير لها النشر .

وأنشر الله الموتى فنشروا ، أي : أحياهم فحيوا[4] . قال الأعشى وذكر امرأة : [من السريع] .

---

(١) سورة الاعراف ، الآية ٥٧ .

(٢) توفي حمزة سنة ست وخمسين ومائة على الصواب ، ومولده سنة ثمانين . كان امام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش ، وكان ثقة كبيرا حجة . (ينظر النشر في القراءات العشر ج ١ ص١٦٦ .

(٣) هو علي بن حمزة أبو الحسن الكسائي أحد القراء السبعة المشهورين . توفي سنة تسع وثمانين ومائة على أشهر الاقوال (نزهة الالباء ص ٤٢ ، والنشر ج ١ ص ١٧٢ ، والبغية ج٢ ص١٦٢) .

(٤) في معاني القرآن ج١ ص٣٨١ : « وقوله : « وهو الذي يرسل الرياح نشرا » والنشر من الرياح : الطيبة التي تنشيء السحاب ، فقرأ بذلك أصحاب عبدالله وغيرهم . وقرأ غيرهم : « بُشراً » . أي : بشيرة .

لو أسندَتْ مَيْتاً الى نحـــرها

عـــاش ولم يُحمل الى قابـــر

حتى يقولَ النـــاسُ مما رأوا

يا عجبـــاً للميّتِ النـــاشرِ[٥]

وقوله تعالى : « فانظر الى آثار رحمةِ اللهِ كيف يُحيي الارضَ بعدَ موتها ، إن ذلك لمحيي الموتى ، وهو على كل شيءٍ قدير »[٦] .

الرحمة ههنا : المطر ، وكذلك في قوله تعالى : « إنَّ رحمةَ اللهِ قريبٌ من المُحسنين[٧] » [٥٤] .

وأنشد محمد بن القاسم الأنباري[٨] عن أحمد بن يحيى[٩] لجميل ابن معمر[١٠] ، وهو من أبيات المعاني : [من الطويل]

هواكِ لقلبي يا بُثينـــةُ كالذي

أقـــام فأحيـــا الميتَ وهو دفـــينُ

وليس بـــذي فَقْـــر الى ذا وان ذا

لصبٌ بهذا في الحيـــاة ضنين[١١]

يعني : الذي أقام فأحيا الميت وهو دفـــين المطر ، وهو لا يفتقر الى النبت ، والنبات فقير اليه .

---

(٥) في ديوان الأعشى ص١٣٩ : ولم ينقل الى قابر .
(٦) سورة الروم ، الآية ٥٠ .
(٧) سورة الاعراف ، الآية ٥٦ .
(٨) هو محمد بن القاسم أبو بكر بن الانباري النحوي ، توفي سنة ٣٢٧هـ وقيل سنة ٣٢٨هـ (بغية الوعاة ج١ ص٢١٢) .
(٩) هو ثعلب النحوي المشهور . توفي سنة ٢٩١هـ . (نزهـــة الالباء ص ١٥٧ ، والبغية ج١ ص ٣٩٦) .
(١٠) هو جميل بن عبدالله بن معمر أحد عشـــاق العرب وشعرائها المشهورين (تنظر ترجمته في الشعر والشعراء ج١ ص٣٤٦) .
(١١) لم نعثر عليهما في ديوانه .

حدثنا العشاري ، قال : حدثنا عمر بن شاهين ، قال : حدثنا أحمد بن عيسى ، قال : حدثنا هاشم ، قال : حدثنا يَعْلَى ، قال : حدثنا ابن جراد ، قال : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ [٥٥] اذا استسقى قال : « اللّهم اسقنا غيثاً مُغيثاً هنياً مريا توسع به لعبادك ، تُغزر به الضرع ، وتُحيي به الزرع »(١٢) .

ومما وصفت الشعراء من خصب الأرض وآثار الغيث بها قول بعض بني سعد : [من الطويل]

وخيفاءَ ألقى الليثُ فيها ذراعَه
فسرَّت وساءت كُلَّ ماشٍ ومُصْرِمِ

تَمَشَّى بها الدرماءُ تسحب قُصْبَهَا
كأنْ بَطْنِ حبلى ذات أونين مُتْئِمِ(١٣)

يعني بالماشي : صاحب الماشية . المصرم : الذي لا مال له . الدرماء : الأرنب . والأونان : العدلان .

وأحسن الآخر في قوله وذكر راعيا [٥٦] : [من البسيط]

رعى ترائك في أكناف ذي أمرٍ
زهر الحواشي فلا ماء ولا حطبُ

إذا استثار كنوفاً ، خلت ما بركتْ
عليه يُنْدَفُ في حافاتهِ العُطبُ(١٤)

---

(١٢) في النهاية ج٤ ص٣١٣ : « في حديث الاستسقاء : « اسقنا غيثا مريئا مريعا » .

(١٣) البيتان لذي الرمة ، وهما في القسم المنسوب اليه (ديوانه ص٦٧٤ واللسان (أون) . الخيفاء : يعني أرضا مختلفة ألوان النبات قد مطرت بنوء فسرت من له ماشية ، وساءت من كان مصرما وهو الذي لا ابل له .

(١٤) ذكرها ابن منظور في اللسان (كنف) . ناقة كنوف : الناقة التي تبيت في كنف الابل ، أي : ناحيتها .

الترائك : ما تركه الغيث . ويريد بزهر الحواشي : النَّوْر[١٥] .
وقوله : « لا ماء ولا حطب » ، أي : الأرض مخصبة رطبة ليس بها حطب ، كقول الآخر : [من الرجز]

يأتيك قابس أهلها لم يقبسِ[١٦]

والكنوف : الناقة التي تبرك في كنف الابل . تقول : هي غزيرة ينصب من أحاليلها[١٧] في مبركها . ويدل بذلك على حسن مرعاها .
وأهل الصنعة يسمون هذا التتبيع[١٨] . وهو أنْ يريد الشاعر المعنى فلا يأتي [٥٧] باللفظ الدال عليه ، بل بلفظ تابع له ، فاذا دَلَّ التابع أبان عن المتبوع . ومن ذلك قول امرىء القيس : [من الطويل]

وتُضْحي فتيتُ المسك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تَفَضُّلِ[١٩]

وانما أراد أن يذكر ترفُّهَ هذه المرأة وان لها مَنْ يكفيها ، فأتى باللفظ التابع لذلك ، ولم يذكره بلفظه الخاص . فكذلك وصف هذا الشاعر الناقة بالغزارة ، وهو يشير بذلك الى وصف الخصب وكثرة الكلأ وجودة المرعى . وقال الطائي[٢٠] وذكر [٥٨] السحاب وحميد أثره في الأرض : [من الطويل]

---

(١٥) النور : الزهر الابيض .
(١٦) القابس : طالب النار .
(١٧) الاحليل : مجرى (اللبن من الثدي) ، الجمع : أحاليل .
(١٨) هذا الباب مما عرفه قدامة من ائتلاف اللفظ والمعنى وسماه الارداف . (ينظر نقد الشعر ص١٧٨ ، والعمدة ج١ ص٣١٣ وكتاب الصناعتين ص٣٥ ، وتحرير التحبير ص٢٠٧ ، وخزانة الادب للحموي ص ٣٧٦) .
(١٩) البيت من معلقته . (الديوان ص ١٧ ، وشرح المعلقات السبع ص ٢٥) . لم تنتطق : لم تشد عليها نطاقا بعد تفضل . التفضل : لبس ثوب واحد . أي : ليست بخادم فتتفضل وتنتطق للخدمة .
(٢٠) هو حبيب بن أوس الشاعر الاديب . ولد في جاسم من قرى حوران بسورية ومات في الموصل سنة ٢٣١هـ (نزهة الالباء ص ١٠٧) .

اذا ما ارتـــدى بالبرق لـم يزل الثـــرى

له تبعـاً ، أو يرتـــدي الروض بالبَـقْلِ

سحاباً اذا ألقت عـــلى خلقـــه الصـــبا

يداً قالت الـــدنيا : أتى قاتـــل المحْـــلِ

ترى الأرض تهتز ارتيـاحا لوقعـه

كما ارتاحت البكر الهدي الى البعْلِ

اذا انتشرت أعلامـــه حولـــه انطوتْ

بطون الثرى منه وشـيكاً على حَمْلِ

ومن نظائر الآية قوله ـ عز وجل ـ : « والذي نَزّل من السماء ماءً بقَدَرٍ فأنْشَرْنا به بلدةً ميتاً ، كذلك تُخْرجون »(٢١) .

فوجه التشبيه في اخراج الأموات باخراج النبات ان المنزلة فيهما سواء ، فالقـادر على أحدهما قادر [٥٩] على الآخر في مقتضى العقـل .

واحتج ـ تعالى ـ بذلك على من أنكر حال البعث كما احتج بابتداء الخلق ، فقال ـ جل اسمه ـ : « كما بدأكم تَعُودون »(٢٢) .

وقد وردت الحكاية عنهم مقرونة بالحجة عليهم في قولـــه تعالى : « فسيقولون مَنْ يُعيدنا ؟ قُل : الذي فطركم أولَ مرةٍ »(٢٣) .

تشبيه آخر من هذه السورة : قوله ـ عز وجل ـ : « واتْلُ عليهم نبأَ الذي آتينـــاه آياتنا فانْسَلَخ منها ، فأتْبَعَهُ الشيطانُ فكان من الغاوين . [٦٠] ولو شِئْنا لرفعناه بها ولكنه أخْلَدَ الى الارض واتَّبَعَ هواه ، فمَثَلُه كمَثَلِ الكلبِ إنْ تَحْمِلْ عليه يَلْهَثْ أو تتركه يلهث ، ذلك مَثَلُ القوم الذين كذَّبوا بآياتنا ، فاقصُصْ القَصَصَ

---

(٢١) سورة الزخرف ، الآية ١١ .
(٢٢) سورة الأعراف ، الآية ٢٩ .
(٢٣) سورة الاسراء ، الآية ٥١ .

لعلَّهم يتفكَّرون »[٢٤] ٠

النبأ : الخبر عن الأمر العظيم ، يقال : لهذا الأمر نبأ ٠ ومنه صفة النبي ـ صلى الله عليه [وسلم] ـ ٠ ونبأه الله : جعله نبيا ٠

ومعنى قوله : « فانسلخ منها » ، أي : خرج وانفصل ٠ ومنه قوله ـ تعالى ـ : « وآيةٌ لهم الليلُ نَسْلَخُ منه النهارَ »[٢٥] ٠

وقوله : « فاتبعه الشيطانُ » ٠ [٦١] يعني بالتزيين لذلك الضلال حتى مال اليه وتمسك به ٠ وقيل : اتبعه الشيطان كفار الانس فكانوا معه على الكفر ٠ وفي الآية دليل على النهي عن تقليد من لا يؤمن عليه الارتداد ٠

والغاوي ٠ يعني : الخائب من رحمة الله ٠ وأصل الغي : الجهل والضلال ٠ قال تعالى : « وعَصَى آدمُ ربَّه فَغَوى »[٢٦] ٠ ثم قيل للخائب من الظفر بالشيء : قد غوى ٠ وعلى هذا المعنى قول المرقش[٢٧] : [من الطويل]

فمن يَلْقَ خيراً يَحْمَدِ الناسُ أمْرَه
ومَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغي لائما[٢٨]

والذي أوتي الآيات فانسلخ منها : بلعم بن باعوراء[٢٩] [٦٢] من بني

---

(٢٤) سورة الاعراف ، الآيتان ١٧٥ ، ١٧٦ ٠
(٢٥) سورة يس ، الآية ٣٧ ٠
(٢٦) سورة طه ، الآية ١٢١ ٠
(٢٧) هو المرقش الاصفر من بني سعد وأحد عشاق العرب (ينظر الشعر والشعراء ج١ ص١٤٢) ٠
(٢٨) كذا في الاصل ، أما في الشعر والشعراء ج١ ص ١٤٣ : ومن يلق خيرا ٠
وقد أخذ القطامي بيت المرقش فقال :
والناس من يلق خيراً قائلون له   ما يشتهي ، ولأم المخطىء الهبل
(٢٩) عالم من علماء بني اسرائيل ، وقيل : من الكنعانيين ، اوتي علم بعض كتب الله ٠ (ينظر الكشاف ج٢ ص ١٣٩) ٠

اسرائيل . وقال أمية بن أبي الصلت الثقفي(٣٠) : « وانما آتاه الله الآيات باللطف له حتى تعلمها وصار بها عالما ، فقصّ الله تعالى قصته ليحذر الناس من مثل حاله » .

وقال الحسن البصري(٣١) : « آيات الله دينه » .

قوله : « لو شئنا لرفعناه بها » ، أي : كنا نحول بينه وبين الكفر فيستحق الرفعة بها : ولكنه أخلد الى الارض ، أي : سكن الى الدنيا واتَّبَع هواه . وأصل الاخلاد : اللزوم على الدوام . قال زهير بن أبي سلمى : [من الكامل]

لمن الديارُ غشيتها بالفَدْفَدِ
كالوحي في حجر المسيلِ المُخْلِدِ(٣٢)

[٦٣] واللهث : التنفس الشديد الذي يلحق الانسان من شدة الاعياء ، وهو في الكلاب طباع . ويستعار ذلك لمن بهظه أمر أو ساوره هم ، أو لقيه مكروه ، كما قال الأزدي يمدح رجلا : [من الطويل]

لنعمَ فتى الجُلَّى ومستنبط الندى
وملجأ محروبٍ ومنزع لاهثِ

عياذ بن عمرو بن الحليس بن جابر
بن زيد بن منظور بن زيد بن وارثِ

(٣٠) قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله – عز وجل – ورغب عن عبادة الاوثان ، وكان يخبر بان نبيا يبعث قد أظل زمانه ويؤمل ان يكون ذلك النبي ، فلما بلغه خروج الرسول (ص) كفر حسدا له . ولما أنشد النبي (ص) شعره قال : « آمن لسانه وكفر قلبه » . (الشعر والشعراء ج١ ص٣٦٩) .

(٣١) هو الحسن بن يسار البصري أحد العلماء الفقهاء النساك . ولد بالمدينة وتوفي بالبصرة سنة ١١٠هـ . (حلية الاولياء ج٢ ص١٣١).

(٣٢) الفدفد : المرتفع فيه صلابة وحجارة . كالوحي : كالكتاب ، وانما جعله في حجر المسيل لانه أصلب له . المخلد : المقيم . (شرح ديوان زهير ص٢٦٨) .

ومعنى التشبيه في الآية ان الكافر التارك لآيات الله ، العادل عنها ، الذي لا يصلحه شيء كالكلب في لهثه • ولو دبّرته بكل شيء لم يتركه ولم ينزع عنه ، ولذلك [٦٤] ذكر الشيء وضده • فالتقدير : كمثل الكلب لاهثا •

ويقال : لهث يلهث لهثاً فهو لاهث ولهثان ولهّاث •

ووصف بعض الشعراء كلب الهراش وعبّر عن هيئة لهثه بتشبيه أبدع فيه ، فقال ـ أنشدنيه بعض الأشراف ـ : [من المتقارب]

جريء على الناس مُستأسِدٌ
مُدِلٌّ على كل قَرْنٍ بَطَلْ

ويرفع في سطوات المصا
ل له ذنباً مثل قَرْنِ الوعِلْ

ذلوق اللسان كما زال عن
ذبابٍ من السيف عافي الحللْ

وحدثنا الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر [٦٥] ـ رضوان الله عليه ـ عن أبي الفرج الاصبهاني(٣٣) عن جحظة(٣٤) قال : حدثنا عبيدالله بن عبدالله بن طاهر(٣٥) ، قال : لما أطلق أخي طاهر علي بن الجهم(٣٦) من الحبس أقام معه بالشاذياخ(٣٧) مدة فخرجوا يوما الى

(٣٣) صاحب الاغاني ، توفي سنة ٣٥٦هـ •

(٣٤) هو أحمد بن جعفر البرمكي • توفي سنة ٣٢٤هـ ، وقيل ٣٢٦هـ • (معجم الادباء ج١ ص٣٨٣) •

(٣٥) هو عبيدالله بن عبدالله بن طاهر ويكنى أبا أحمد • وله محل من الادب والتصرف في فنونه ورواية الشعر وقوله • (ينظر الاغاني ج٩ ص٤٠ ط دار الكتب) •

(٣٦) هو أبو الحسن علي بن الجهم الشاعر العباسي المتوفى سنة ٢٤٩هـ (ينظر الاغاني ط دار الكتب ج١٠ ص٢٠٣) •

(٣٧) قرية من قرى بلخ ، وهي أيضا من ضواحي نيسابور ، وكانت قديما بستانا لعبدالله بن طاهر بن الحسين ملاصقا مدينة نيسابور (معجم البلدان) •

الصيد فاتفق لهم مرج كثير الطير والوحش وكانت أيام الزعفران فقال علي بن الجهم[٣٨] : [من الطويل]

وَطِئنا رياضَ الزعفـــران وأمسكت
علينا البزاةُ البيــضُ حُمرَ التدارجِ
ولم تحمهـــا الأدغـــالُ منّـــا وإنما
أبحنـــا حماهـــا بالـــكلابِ النوابـــجِ
ومن دالعـــاتٍ ألســـناً فكأنهـــا
لِحيُّ شيوخٍ خاضـبين كواسـجِ[٣٩]

[٦٦]

والأصل في هذا الوصف المعتور بين هذين الشاعرين بالتشبيه ما ذكره عَبْدَة بن الطبيب[٤٠] من حال الثور بقوله : [من البسيط]

لسانه عن يسارِ الشدقِ معدول[٤١]

تشبيه آخر من هذه السورة : قوله ـ عز وجل ـ : « اولئك كالأنعام بل هم أضَلُّ ، اولئك هم الغافلون »[٤٢] .

وصفهم بأنهم لا يبصرون بعيونهم ، ولا يعقلون بقلوبهم ، فجعلهم في

(٣٨) تنظر الرواية في الاغاني ج١٠ ص٢٢٧ .

(٣٩) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص١٢١ ، والاغاني : لحى من رجال . والتــدارج : جمع تدرج وهو طير جميل المنظر . النوابج : النوابح . دالعات : مخرجات . كواسج : جمع كوسج وهو الذي لحيته على ذقنه لا على عارضيه .

(٤٠) في حاشية المخطوطة انـــه « شاعر مفلق » وهو من بني عبشمس ، وهو شاعر مجيد ليس بالمكثر ، أدرك الاسلام فاسلم . (الشعر والشعراء ج٢ ص٦١٣ ، والاغاني (بيروت) ج١٨ ص٣٧٨) .

(٤١) في المفضليات ص ١٤٠ :

مستقبل الريح يهفو وهو مبترك لسانه عن شمال الشدق معدول

معدول : ممال . يريد انه قد دلع لسانه يلهث من الاعياء .

(٤٢) سورة الاعراف ، الآية ١٧٩ .

تركهم الحق واعراضهم عنه بمنزلة من لا يسمع ولا يعقل • قال الشاعر .

[٦٧]

أصم عما ساءه سميع

وقال الآخر : [من الرمل]

وكلامٍ سيءٍ قد وَقَرتْ

أُذني منه وما بي من صَمَمْ(٤٣)

ثم قال : « بل هم أضل » ، وذلك ان الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره ، وهؤلاء يعلم أكثرهم انه معاند ، فيقدم على النار • ونظير هذه الآية قوله في سورة أخرى : « أمْ تَحْسَبُ أنَّ أكثرهم يسمعون أوْ يعْقِلون ، إنْ هم إلاّ كالأنعامِ ، بل هُمْ أضَلُّ سبيلا »(٤٤) •

أي : ليس يسمعون ما تقول يا محمد سماع طالب للافهام ، بل كسماع الأنعام •

ومن نظائر الآية قوله : [٦٨] ـ تعالى ـ : « ومَثَلُ الذين كفروا كمثل الذي يَنْعِقُ بما لا يسمع إلاّ دعاءً ونداءً ، صُمٌ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يعْقِلون »(٤٥) •

وانما يقال للصحيح البصر الذى لا يعمل بصره : أعمى ، لانه قد حل محل من لا يبصر • وكذلك يقال للسميع الذي لا يقبل : أصم • ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ : « إنَّكَ لا تُسمِعُ الموتى ، ولا تُسمِعُ الصُمَّ

---

(٤٣) البيت للمثقب العبدي (المفضليات ص ٢٩٤) • الوقر ثقل في الاذن • وكتب فوق الاصل : عنه أذناي •

(٤٤) سورة الفرقان ، الآية ٤٤ •

(٤٥) سورة البقرة ، الآية ١٧١ •

الدُعاء »(٤٦) . كما قال ـ جل اسمه ـ : « أمْ على قلوب أقفالُها »(٤٧) . وأضاف المثل الى الذين كفروا ، ثم شبَّهه بالداعي ، ولم يقل : كالغنم ، لان المعنى : ومثل الذين كفروا فيما يوعظون به كالبهائم التي لا تفقه ما يقول الداعي أكثر من الصوت . [٦٩] فالتقدير : « مثل واعظ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع » . والعرب تحذف إذا دل المعنى على ما يريدون كما قال ـ تعالى ـ : « وأشربوا في قلوبهم العِجلَ »(٤٨) ، أي : سُقوا حب العجل ، فأضمر الحب ، لانَّ المعنى معلوم . وكذلك قوله ـ تعالى ـ « مَثلُ الذين ينفقون اموالهم في سبيل اللهِ كَمَثَلِ حبَّةٍ أنبتَت سبعَ سنابِلَ »(٤٩) . المثل للنفقة ، أي : مثل نفقة الذين يُنفقون. وقيل : المعنى : ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم وأوثانهم ، وهي لا تفقه ، كمثل الناعق [٧٠] بما لا يسمع الا دعاءً ونداءً .

وتأويل قوله : « ينعق » : يصوت بالغنم ، وهو النعيق والنُعاق . ومنه قول الاخطل : [من الكامل] .

فانعَقْ بضأنِكَ يا جريرُ فانّما
مَنّتْكَ نَفْسُكَ في الخَلاءِ ضلالا(٥٠)

وتقول العرب : « أبلَدُ من راعي الضأن » ، ويقال في المثل : « أحمق من راعي ضأن ثمانين »(٥١) .

قال الاصمعي : كان لذي الاصبع العدواني (٥٢) أربع بنات فروجهن

---

(٤٦) سورة النمل ، الآية ٨٠ .
(٤٧) سورة محمد ، الآية ٢٤ .
(٤٨) سورة البقرة ، الآية ٩٣ .
(٤٩) سورة البقرة ، الآية ٢٦١ .
(٥٠) ينظر ديوان الاخطل ص ٥٠ . انعق بضأنك : ادعها .
(٥١) ينظر مجمع الامثال ج١ ص٢٢٤ .
(٥٢) هو حرثان من عدوان ، كان جاهليا ، وسمي ذا الاصبع لان حية نهشته في أصبعه فقطعها . (الشعر والشعراء ج٢ ص٥٩٧ ، والاغاني ج ٣ ص ٨٩) (ط دار الكتب) .

وزار الكبرى ، فقال : كيف رأيت زوجك ؟ قالت : خير زوج ، يكرم أهله وينسى فضله • قال : فما مالكم ؟ قالت : الابل ، نأكل لحمانها ، ونشرب ألبانها ، وتحملنا [٧١] ورحالنا • قال : زوج كريم ، ومال عميم •

ثم زار الثانية ، فقال : كيف رأيتِ زوجك ؟ قالت : يكرم الحليلة ، ويقرب الوسيلة • قال : فما مالكم ؟ قالت : البقر ، تألف الغناء ، وتملأ الاناء ، ونساء مع النساء • فقال : رضيت وحظيت •

ثم زار الثالثة ، فقال : كيف رأيت زوجك ؟ فقالت : لاسمح بذر ، ولا بخيل حكر(٥٣) • قال : فما مالكم ؟ قالت : المعزى • قال : جذو مغنية(٥٤) •

ثم زار الرابعة ، فقال : كيف رأيت زوجك ؟ قالت : شر زوج ، يكرم أهله ، ويهين عرسه • قال : فما مالكم ؟ قالت : [٧٢] شر مال ، الضأن جُوف(٥٥) لا يشبعن ، وهيم(٥٦) لا يَنْقَعْنَ(٥٧) ، وصم لا يسمعن(٥٨) ، وأمر مغويتهن يتبعْن • فقال : « أشْبه امرؤٌ بعض بَزِه »(٥٩) •

---

(٥٣) الحكر : المستبد بالرأي •

(٥٤) الجذو : جمع جذوة ، وأصل ذلك في الخشب ما كان منه فيه نار •

(٥٥) عظام الاجواف •

(٥٦) الهيم : العطاش ، واحده : أهيم أو هيماء •

(٥٧) أي : لايروين •

(٥٨) هذا وارد في وجه التمثيل ، وشبهت الضأن بما لا يسمع لبلادتها ، والعرب يقولون : « أبلد ما يرعى الضأن » •

(٥٩) كذا في الاصل والكامل ج٢ ص٤٩٥ ، أما في الاغاني ج٣ ص ٩٦ : « اشبه امرءا بعض بزه » ، البز : متاع من الثياب خاصة ، كني به عن الضأن وقد وردت هذه الرواية في الكامل للمبرد والاغاني مع اختلاف في بعض الالفاظ •

قولها : « أمر مغويتهن » ، تعني : ان الواحدة منهن تسقط في ماءٍ أو وحل أو ما أشبه ذلك ، فيتبعنها اليه(٦٠) .

والهيم : العطاش . قال بعض المفسرين في قوله : « فشاربون شُرْبَ الهيم »(٦١) ، انها الابل العطاش (٦٢) . قال ذو الرمة : [من البسيط] .

فراحت الحقبُ لم تقصَع صرائرها

وقد نشحن فلا رِيٌّ ولا هيم(٦٣)

[٧٣]

(٦٠) وردت هذه العبارة في الكامل للمبرد ج ٢ ص ٤٩٦ .

(٦١) سورة الواقعة ، الآية ٥٥ .

(٦٢) في الكامل ج ٢ ص ٤٩٩ : « وقال بعض المفسرين : الهيم : رمال بعينها ، واحدتها هيماء » .

(٦٣) كذا في الاصل والكامل ج ٢ ص ٤٩٩ ، اما في ديوان ذى الرمة ص ٥٨٨ : فانصاعت الحقب .

الحقب : الحمير الوحشية . وفي الكامل : الحقب : البيض الاعجاز من الحمير . قصع صارته : اذا روى ، والصارة : شدة العطش . النشوح : ان تشرب دون الري .

ســورة يونس

قوله ـ عز وجل ـ : « انما مثَلُ الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماءِ ، فاختلط به نباتُ الأرض مما يأكلُ الناس والانعامَ ، حتى اذا أخذتَ الارض زخرفها وازَّيَّنَت ، وظنَّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً ، فجعلناها حصيدا كأن لم تَغْنَ بالامسِ »[١] .

يقال : غني بالمكان ، اذا أقام به . والمغاني : المنازل . قال النابغة : [من الكامل]

غَنِيَت بذلك ، اِذْ هُمُ لك جيرةٌ

منهـا بعطـف رسالـةٍ وتودد[٢]

والتشبيه في الاية أحسن موقعا ، وأبلغ معنى من [٧٤] جميع مـا وصف به حال الدنيا وميل النفوس اليها مع قلة صحبتها والاستمتاع بلذتها ، فكذلك حال النبـات والماء في النضارة والحسن ثم العـود الى الجفـاف واليبس . وقد ذكرت العرب في أشعارها ما يطبيها[٣] من ذلك الى نزول الارض والتجاور بها مدة دوام الخصب ، ثم ما يكون بعد ذلك من تشعب الجيران ومفارقة الاوطان عند غؤور المياه وذهاب الكلأ .

قال ذو الرمة وذكر المنزل والاستمتاع بجـوار مية فيه حتى صَوَّح[٤] نباته ونشت نطافه : [٧٥] [من الطويل]

---

(١) سورة يونس ، الآية ٢٤ .
(٢) ينظر ديوان النابغة ص ٤٩ .
(٣) يطبي : يدعوه بلطف .
(٤) صوح : يبس .

أقامَتْ بها حتى ذَوى العـودُ في الثرى
وساق الثريـا في مُلاءَتِـه الفَجْرُ(٥)

وحتى اعترى البُهمى من الصيف نـافضٌ
كمـا نفضتْ خيـلٌ نواصيهـا شُـقرُ

وخاض القطا في مكـرع الحـي باللـوى
نطافاً بقاياهُنَّ مطروقـةٌ صُفْـرُ(٦)

فلما مضى نَـوءُ الزُبـاني وأخلقـت
هواد من الجوزاء وانْغَمس الغفرُ(٧)

رَمى أمهاتِ القُردِ لَذْعٌ من السَّـفا
وأحْصَدَ من قُريانـه الزَهَرُ النَضر(٨)

وأجلى نعـامُ البَيْنِ وانقلبـت بنـا
نوى عن نوى ميٍ وجاراتهـا شَزْرُ(٩)

---

(٥) ذوى العود : جف ويبس • الملاءة : بياض الصبح • شبه بالملاءة ، وهو الثوب الابيض ــ يريد ساق الثريا بياض الصبح • (ينظر ديوانه ص ٢٠٧) •

(٦) المكرع : الذى يكرع منه الماء • اللوى : منقطع الرمل • يقول : خاض القطا نطاف الماء وهو بقاياه ، مطروقة قد طرقتها الابل فاصفرت •

(٧) روى أبو عمرو : واغتمس • ويروى : فلما مضى نوء الثريا • الهوادي : الاوائل • انغمس : أفل وغاب •

(٨) أمهات القرد : يريد أمهات القردان ، وهى النقرة التى في رأس البعير ، لان القردان تجتمع فيها • السفا : شوك البهمى • يريد لـذع أمهات القرد ، وانما يريد التناهي في الحر • القريان : مجارى الماء الى الرياض ، الواحدة : قرى • احصد : يبس • النضر : الاخضر • واذا جف القريان فهو نهاية الحر •

(٩) أجلى : انكشف وذهب • البين : القطع من الارض • النوى : الوجه الذى يقصدونه وينوونه • يقول : انقلبت بنا نوى شزر ، أي :على غير قصد • (ينظر ديوانه ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨) •

وقال ـ أيضا ـ متأسفا على الجواب ، ومستشرفا بسير الحمول من الدار : [٧٦] من البسيط

يا صاحبيَّ انظرا آواكما دَرَجٌ
عالٍ وظلٌّ من الفردوس ممدودُ

هل تبصران حُمولا بعدما اشتملت
من دونهن حبالُ الأشيمِ القُودُ[١٠]

عواسِفُ الرَّمْلِ يستقفي تواليَها
مستبشرٌ بفراقِ الحي غرِّيدُ[١١]

ألْقى عِصيَّ النوى عنهن ذو زَهَرٍ
وابيضَّ بعد سوادِ الخضرةِ العُودُ[١٢]

حتى إذا وَجَفَتْ بُهْمى لوى لبنٍ
وابيضَّ بعد سوادِ الخضرةِ العُودُ[١٣]

ظلَّتْ تَخَفَّقُ أحشائي على كبدي
كأنني من حذار البينِ مورودُ[١٤]

---

(١٠) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص ١٣٢ : هل تؤنسان • تؤنسان : تنظران ، آنست الشيء : اذا ابصرته • الحمول : الابل التي تحمل عليها النساء • اشتملت : توارث • الحبال : حبال الرمل • القود : الطول • الاشيم : موضع •

(١١) عواسف الرمل : يعسفنه على غير طريق • يستقفي : يتبع تواليها اواخرها • غريد : طرب • يريد : الحادي •

(١٢) يقال للرجل اذا قام بالموضع : القى عصي النوى والقى عصاه • ذو زهر : بنت له زهر • وحف : كثير الالتفاف • الرواد : الذين يرتادون الكلأ يكون على ألسنهم حميد • يقول : لما رأوا نبتاً حسنا نزلوا به •

(١٣) وجفت : جرت ، أي طردتها الريح بهبوبها لما يبست • لبن : موضع • اللوى : منقطع الرمل •

(١٤) المورود : المحموم ، كأن الحمى ترده • (ينظر ديوانه ١٣٢ـ ١٣٣) •

وكذلك وصف تنقل الوحشي في طلب الورْدِ وارتياد الرطب ، فقال :

[من البسيط]

حتى إذا معمعانُ الصَّيْفِ هَبَّ لـه
بأجَّةٍ نَشَّ عنها الماءُ والرطب(١٥)

وَصَوَّحَ البَقْلَ نَئّاجٌ تَجيء به
هَيْفٌ يَمانيةٌ في مَرِّها نكَب(١٦)

وأَدْرك المُتبقّى من ثميلتهِ
ومن ثمائلها واستُنْشِئ الغَرَب(١٧)

تَنَصَّبَتْ حوله يوماً تُراقِبُه
صُحْرٌ سماحيج في أحشائِها قَبَب(١٨)

فراح مُنْصَلِتاً يحدو حلائله
أدنى تقاذُفِهِ التقريبُ والخَبَب(١٩)

---

(١٥) معمعان الصيف : شدة الحر • الآجة : الشدة • نش : نشف• الرطب : الكلأ •

(١٦) صوح : يبس • نئاج : ريح شديدة • نكب الريح : انحراف وعدول • هيف : ريح حارة •

(١٧) ادرك : هلك • يقول : جاءَ الحر وذهب وما في بطونها من بقية العلف • الثميلة : بقية كل شيء • استنشىء : شم ، والنشوة : الرائحة • الغرب : الماء يسيل من الحوض • والغرب أيضا ــ : نوع من الشجر والقصباء والغرب ــ بالتسكين ــ : مجرى الدمع •

(١٨) تنصبت : صارت قياما حول الفحل تراقبه • صحر : في لونها بياض في صفرة • سماحيج : طوال الظهور • قبب : ضمر ودقة •

(١٩) يحدو حلائله : يسوق اتنه ، أدنى تقاذفه التقريب والخبب وأعلاه الركض بالعدو • التقريب : نوع من السير • الخبب : نوع من السير • (ينظر ديوان ذي الرمة ص ١١ــ١٢) •

وقيل لاعرابية : أين منزلكم ؟ فقالت : حيث ينزل الغيث . [٧٨] وكذلك قيل لبعضهم : أين تنزل ؟ فقال : حيث يكون الكلأ .

وقد أكثر الشعراء من الدعاء بالسُقيا للديار على تصرف حالاتها من الاقامة بها والانتقال عنها وعرفان آيها وتنكرها ، كل ذلك ضناً منهم بالأوطان ورغبة عن مفارقة المآلف والمحال . اذ كان المطر وما يكون عنه من العشب والكلأ سبباً لاجتماع الشمل والتئام الشعب ، فقال الاول : [من الطويل]

سَقَى طلل الدارِ التي أنتمُ بها
سحائبُ وبَلْ صيِّف وربيع[٢٠]

وقال الآخر : [٧٩] [من البسيط]

لا عَهْدَ لي بعد أيام الحمى بهمُ
وَعَلَّ ذاك سقى اللهُ الحمى مطرا

وقال ابن مجالد الفزاري : [من الطويل]

أيا دمنتي وَهدٍ سقى خضل الندى
مسيل الربا حيث انتهى بكما الوَهْدْ

ويا ربوةَ الربعين حُيِّيت ربوةً
على النأي منا واستقلَّ بك الرَّعْدُ

فأنْتِ التي يشفي فؤاديَ قُرْبُها
لا في لها تدماً ويشعفه البُعْدُ

وقال الآخر : [من الطويل]

أحَبُّ بلادِ اللهِ ما بين مَنْعِجٍ
اليَّ وفَلْج أنْ يصوبَ سحابُها[٢١]

---

(٢٠) الصيف : مطر الصيف ، الواحدة : صيفة .

(٢١) كذا في الاصل . أما في معجم البلدان (منعج) : الي وسلمى . ومنعج: واد .

بـــلادٌ بهـــا نيطـــت عليَّ تمـــائمي

وأول أرض مَسَّ جلـــدي تُرابُهـــا[٢٢]

وقال ذو الرمة : [٨٠] [من الطويل]

ألا فاســـلمي يا دارَ ميَّ عـــلى البـــلى

ولا زال منهـــلاً بجرعـــائِك القَطْرُ[٢٣]

وقال طرفة[٢٤] واحترس للدار من تعفية آثارها بالقطر : [من الكامل]

فســـقى ديارَك ـ غـــير مفســـدها ـ

صـــوبُ الـــربيع وديمـــةٌ تهمـــي[٢٥]

وقال الآخر مستسقياً للظاعنين رجاء اَنْ يقرب محلهم : [من الطويل]

سقى الجـــيرةَ الغادين وســـميُّ عارضٍ

هزيم الحيـــا سبط الرواقـــين مُمرع[٢٦]

بِسُحْبٍ كأجفاني ، وبَرْقٍ كحرقتي

ورَعْـــدٍ كاعـــوالي ، وغيـــثٍ كأدمعـــي

وقال لبيد بن ربيعة مسترزقاً للديار مرابيع الأنواء ، أو مخبراً بذلك وعلى الوجهين فسر قوله : [من الكامل]

---

(٢٢) كذا في الاصل ، اما في معجم البلدان : بلاد بها جل الشـــباب تميمتي . وقبل البيتين :

ألم تعلمي يا دار ملحاء انه   اذا اجدبت أو كان خصبا جنابها

(٢٣) كذا في الاصل ، أما في ديوانه ص٢٠٦ : ألا يا اسلمي . المنهل : الذي يجري صبا . الجرعاء : من الرمل : المنبسط . ولازال : دعاء للدار .

(٢٤) هو طرفة بن العبد الشاعر الجاهلي . (تنظر ترجمته في الشعر والشعراء ج١ ص١١٧)

(٢٥) كذا في الاصل ، اما في ديوان طرفة ص ١٤٦ : فسقى بلادك ..

(٢٦) الوسمي : مطر الربيع الاول . العارض : ما اعترض في الافق وسده من سحاب أو غيره . هزيم : مندفع . الحيا : المطر . السبط من المطر : الغزير .

رُزِقَتْ مرابيعَ النجومِ وصابَها

وَدْقُ الرواعِدِ جَوْدُها ورهامُها[٢٧]

[٨١]

فعلا فروعُ الأيهُقانِ وأطْفَلَتْ

بالجلهتين ظباؤها ونَعامُها[٢٨]

وقال ذو الرمة ـ أيضاً ـ يدعو للمنزل باكتساء الرياض من منهل السحاب : [من الطويل]

تَرَدَّيْت من أفوافِ نوْرٍ كأنَّها

زرابيُّ ، وانهلَّتْ عليك الرواعِد[٢٩]

ومذهب المحدثين في ذكر ما يكون من الامطار والانداء عند سؤال السقيا للديار من اكتسائها بزخارف النبات وموشي الرياض أشهر من مذاهب المتقدمين ، وتصرفهم في ذلك أكثر ، كقول الطائي : [من الكامل]

يا دارُ دارَ عليك ارهام الندى

واهتزّ روضك في الثرى فترأدا

(٢٧) كذا في الاصل ، اما في ديوان لبيد ص ٢٩٨ : فرهامها ٠
مرابيع النجوم : الانواء الربيعية ٠ الجود : المطر لتام العام ٠ الرهام والرهم ـ جمعا رهمة ـ : المطرة التي فيها لين ٠

(٢٨) في الديوان ص ٢٩٨ : ويروى : فغلا ، بمعنى شب وارتفع ٠
الايهقان : ضرب من النبت ٠ اطفلت : صارت ذات أطفال ٠ الجلهتان: جانبا الوادي ٠ (ينظر ديوان لبيد ص ٢٩٨ ، وشرح المعلقات السبع ص ١١٥) ٠

(٢٩) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ١٢٢ : من الوان ٠ ترديت: لبست الرداء٠ النور : الزهر٠ الزرابي : بسطمنقوشة٠ أنهلت: انصبت٠

وكسيتَ من خلع الحيا مستأسـدا
أنفـا يغـادر وحشـه مستأسـدا(٣٠)

وقال : وذكر الرياحين ـ أيضا ـ : [من الطويل]

كساك مـن الأنـوار أصفرُ فاقـعُ
وأحمر ناصـعٌ وأبيض ساطـع(٣١)

وقال ـ أيضا ـ : [من الطويل]

وألبسـه وشـي الربيـع وعصبـه
ويمنتـه نبت الثـرى المتـلاحكُ

سقى ربعهـم لا ، بـل سقى منتـواهم
من الأرض أخلاف السحاب الحواشكُ(٣٢)

وقال البحتري(٣٣) :[من الطويل]

سقى الغيْثُ أكنافَ الحمى مـن محلّةٍ
الى الحقْفِ من رَمْلِ اللوى المتقـاودِ

ولا زال مُخْضَرٌ من الروضِ يانعاً
عليه بمحمرٍ من النَّوْرِ جاسِـدِ(٣٤)

---

(٣٠) البيتان من قصيدة في مدح احمد بن عبدالكريم • (ينظر ديوانه ص ٩٤) ارهمت السماء : أتت بالمطر الضعيف الدائم • ترآد : تمايل من الري والنعمة • المستأسد من النبت : المتكاثف •

(٣١) كذا في الاصل •

(٣٢) كذا في الاصل ، اما في ديوان أبي تمام ص ١٦٨ :

سقت ربعهم لا ، بل سقت منتواهم   من الارض اخلاف السحاب الحواشك
والبسهم عصب الربيع ووشـيه   ويمنته بنت الثـرى المتـلاحك

(٣٣) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي الشاعر العباسي المتوفى سنة ٢٨٤هـ (ينظر وفيات الاعيان ج٢ ص١٧٥) •

(٣٤) الحقف : ما اعوج من الرمل • المتقاود : المستوي • الجاسد : من الجسد ، لصوق الدم • (ينظر ديوان البحتري ج١ ص ٦٤) •

ومعنى هذا التشبيه من قول أبي تمام : [٨٣] [من الطويل]

مِن كلِّ زاهرةٍ ترقرق بالندى
فكأنها عينُ المحبّ تحدرُ(٣٥)

وقال ابن الرومي(٣٦) : [من الرجز]

لا يحرم اللهُ الطلولَ الدُرسا سقياً يحليهن نوراً ملبسا
أقاحياً وحنوةً ونرجساً يكاد ريّاه اذا تنفسا
يُنشيء في تلك المواتِ أنفسا

وقد استعملوا من الاستعارة والتشبيه وضرب المثل بالرياض والنبات في أحوال صرفوا اليها أعنة القول ، وسلكوا فيها مذهب البديع من هذا الباب على عادة توسعهم في طرق المعاني وتصرفهم [٨٤] في قصد الاغراض ما يخرج بنا ذكره عن قصد السبيل ، كنحو ما ذهبوا اليه من وصف الشبيبة ونضارتها ، وحسن أيام الصبّا وغضارتها .

فمن ذلك ما جاء من تشبيه النساء في حسنهن وغضاضة شبابهن ، كقول الأول وذكر امرأة : [من المتقارب]

فما روضة من رياض القطا
كأنَّ المصابيحَ حوذانُها(٣٧)
بأحْسَنَ منها ولا مُزْنَةٌ
سفوحٌ تكشّفُ أدجانُها

(٣٥) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص ١١٨ : عين اليك تحدر .
(٣٦) هو علي بن العباس شاعر عباسي كبير . توفي سنة ٢٨٣هـ (ينظر وفيات الاعيان ج١ ص٣٥٠) .
(٣٧) الحوذان : نبات مثل الهندبا ، ينبت مسطحا في جلد الارض وليانها لازقا بها ، وقلما ينبت في الزهر ، وله زهرة صفراء . (اللسان) . وفي حاشية المخطوطة : « الحوذان : نبت طيب الرائحة » .

وقال الأعشى في مثل ذلك : [من البسيط]

ما روضة من رياض الحَزْنِ مُعْشِبةٌ
خضراءُ جادَ عليها وابلٌ هَطِلُ(٣٨)

يُضاحك الشمسَ منها كوكبٌ شرقٌ
مؤزَّرٌ بعميم النَّبْتِ مكتهلُ

[٨٥]

يوماً بأطْيَبَ منها نَشْرَ رائحةٍ
ولا بأحْسَنَ منها اذْ دَنا الأُصُلُ

وقال الآخر :

كأنّها روضةٌ منوّرة
تجمع طيباً ومنظراً حسنا

وقال الطائي : [من البسيط]

غيداء جاد وليّ الحسن سُنّتَها
فصاغها بيديه روضةً انفا(٣٩)

وقال النهدي : [من الطويل]

جديدة سربال الشباب كأنّها
سقية بردي نمتها غيولُها(٤٠)

---

(٣٨) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص ٥٧ : جاد عليها مسبل •
(٣٩) البيت من قصيدته في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي • (ينظر ديوانه ص ١٥١) •
(٤٠) كذا في الاصل ، أما في الكامل ج٢ ص٦٧٨ : أباءة بردي سقتها غيولها • وقد نسبه المبرد الى أعرابي مع بيتين آخرين ، يقول المبرد : « وقوله : « اباءة بردي » ، الاباءة : القضية وجمعها الاباء • وانما شبه المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون المستتر منها وما والاه ورقته ••• وقوله : « سقتها غيولها : الغيل ههنا : الأجمة ، ومن هذا قولهم : أسد غيل » •

واعتمد الهذلي المبالغة في المعنى بالتتبيع فادرك شأوَ الاحسان بقوله :

[٨٦] [من الطويل]

تكاد يدي تنـدى إذا مـا لمستهـا

وينبت في أعطافها الورق الخضر[٤١]

وقال ابن الاحنف العباس[٤٢] : [من الطويل]

وقـد مُلِئَتْ ماءَ الشبابِ كأنهـا

قضيبٌ من الريحـانِ ريّانُ اخْضَرَ[٤٣]

وقال الآخر ، وكنى عن ذكرهن بأحلى عبارة وأعدب استعارة : [من الطويل]

أحبُ اللـواتي هُنَّ من وَرَقِ الصبا

وفيهـنَّ عن أزواجهن طمـاح

وقال الآخر في التأسف على عصر الشباب والتعلل بالدعاء له ، ووصف نضارة أيامه : [من المتقارب]

فلا يُبعـد اللّهُ عَصْرَ الشبا

بِ ، فأيامـه كالـرياض الأُنُف

[٨٧] وأخذ محمود بن الحسن الوراق[٤٤] هذا التشبيه واطلق عنان الاستعارة فيما يليه ، فقال : [من مجزوء الكامل]

---

(٤١) كذا في الاصل ، أما في الاغاني ج٢١ ص٢٣٠ : وينبت في أطرافها الورق الخضر . وفي الأمالي ج١ ص ١٤٧ : وينبت في أطرافها الورق النضر . والبيت لابي صخر الهذلي .

(٤٢) هو الشاعر العباسي العباس بن الاحنف المتوفى سنة ١٩٤هـ .

(٤٣) كـذا في الاصل ، وديوان المعاني ج١ ص٢٣٢ ، والاغاني ج٨ ص ٣٦١ ، أما في ديوانه ص١٣٢ : وقد مليت لين الشباب .

(٤٤) توفي في حدود المائتين والثلاثين . (طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٦٧) .

سـقياً لأيام مضَتْ   وكأنّ أوجهها الرياضُ
أيام يجنبنا الهـوى   وتقودنا الحدق المراضُ
جاد السواد بنفسه   ونشا بعارضك البياض
فمتى أطفت بلـذة   فلعارضي فيها اعتراضُ

وقال ابو العتاهية(٤٥) يذكر ما نضاه من ملابس شبابه ، واحسن في تشبيه الحالين وجوداً وعدما : [من الوافر]

عريْتُ من الشبابِ وكنْتُ غَضّاً
كما يَعْرَى من الورَقِ القضيبُ(٤٦)

[٨٨]
وكأنما اجتنى ثمرة هذا البيت من قول الجعدي(٤٧) : [من المتقارب]

ومـا البَغْيُ إلاّ على أهلـه
ومـا النّاسُ إلا كهـذي الشَّجَرْ
ترى الغُصْنَ في عنفوان الشـبا
بِ ، يهتـزُّ ذا بهجـات خُضُرْ
زمـاناً من الدهـر ثم التـوى
فعـاد الى صـفرةٍ فانكسـرْ(٤٨)

وقال أبو تمام : [من الخفيف]

(٤٥) هو اسماعيل بن القاسم المتوفى سنة ٢١١هـ (الاغاني ط . دار الكتب ج٤ ص ١) .
(٤٦) كذا في الاصل ، أما في ديوانه (ط شكري) ص٣٢ : عريت من الشباب وكان غضا .
(٤٧) هو عبدالله بن قيس بن جعدة ، أتى رسول الله (ص) وأنشده شعرا ، وكان من المعمرين . (الشعر والشعراء ج١ ص٢٠٨) .
(٤٨) ينظر شعر النابغة الجعدي ص ٢١٩ .

أصبحَتْ روضــةُ الشباب هشيما

واغتدت ريحه البليـلُ عقيمـــا[٤٩]

شــعلة في المفــارق اســتودعتني

في صميم الفـؤاد ثكلاً صميمـــا

وانما ذكرنا هذا الفصل دون غيره من الباب المشار اليه ، لانّه يرجع في المعنى الى الاصل المذكور [٨٩] في تأويل الآية اذ كان الشـــباب يؤول الى الهرم ، وصحته تُفضي الى السقم ووجدانه الى العدم ، كمـــا قال الاول : [من الكامل]

كانت قنــاتي لا تليـنُ لغـــامزٍ

فألانهـــا الا صبـــاحُ والا مســاءُ

ودعـــوتُ ربي بالسلامةِ جاهـــداً

ليُصحَّني ، فاذا الســلامةُ داءُ[٥٠]

وهو من قول حُميد بن ثور[٥١] أو قول حُميد منه : [من الطويل]

أرى بصري قد رابني بعـــد صحـــةٍ

وحسْبُكَ داءً أنْ تَصِحَ وتَسْلما[٥٢]

---

(٤٩) كذا في الاصل ، أما في ديوانه ص٢٢٠ : وغدت ريحه البليل سموما ٠

(٥٠) كذا في الاصل وعيون الاخبار ج٢ ص٣٢٢ ، أما في الكامل ج١ ص ١٨٧ : ودعوت ربي في السلامة ٠ والبيتان لشاعر جاهلي لم يذكره ابن قتيبة والمبرد ٠

(٥١) هو حميد بن ثور الهلالي عاش في الجاهلية وقضى الشطر الاكبر من حياته في الاسلام ٠ توفي على الارجح في أيام عثمان رضي الله عنه٠ (تنظر مقدمة ديوانه والشعر والشعراء ج١ ص٣٠٦) ٠

(٥٢) كذا في الاصل وعيون الاخبار ج٢ ص ٣٢١ والكامل ج١ ص١٨٧، أما في ديوان حميد بن ثور ص٧ : بعد حدة ٠

وقال النمر بن تولب[٥٣] : [من الطويل]

يَوَدُّ الفتى طولَ السلامةِ جاهداً

فكيف يرى طول السلامة يَفْعَلُ[٥٤]

[٩٠] وقيل لبعض العرب : مات فلان أصح ما كان . فقال : أو صحيح مَن الموت في عنقه ؟ وما احسن قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: « كفى بالسلامة داءاً »[٥٥] . وفي بعض مواعظ العرب : « مَنْ أقام شَخَصَ، ومَن زاد نقص » و « لو كان يميت الناسَ داء لأعاشهم الدواء » . وقيل للموبد[٥٦] : متى أتاك نعي ابنك ؟ قال : يوم ولد .

وأنشدني أبي عن أبيه : [من الطويل]

تصرفت اطواراً لدى كل عبرةٍ

وكان الصبا مني جديداً فأخلقا

وما ازداد شيءٌ قطُّ الاّ لنقصه

وما اجتمع الالفانِ الاّ تفرقا

[٩١] وكان الحسن كثيراً ما يتمثل بهذا البيت : [من الطويل]

يَسُرُّ الفتى ما كان قدَّم من تقى

اذا عرف الداءَ الذي هو قاتِلُه

وقال أبو النجم[٥٧] : [من الرمل]

---

(٥٣) كان شاعرا جوادا ، وهو جاهلي أدرك الاسلام . (الشعر والشعراء ج١ ص ٢٢٧ ، والاغاني ج١٩ ص ٣٣٨) .

(٥٤) كذا في الاصل ، أما في عيون الاخبار ج٢ ص٣٢١ والاغاني ج ١٩ ص٣٤٢ : يود الفتى طول السلامة والغنى .

(٥٥) في الكامل ج١ ص١٨٧ : « ويروى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – انه قال : « كفى بالسلامة داءاً » .

(٥٦) الموبد : بضم الاول وسكون الثاني وكسر الباء ، أو بفتح الاول والباء ، أو بضم الاول وفتح الباء : الحكيم والعالم وصاحب بيت النار (عند الزرادشتية) . ينظر برهان قاطع ج٤ ص ٢٠٤٨ .

(٥٧) هو الفضل بن قدامة من رجاز الاسلام المقدمين وفي الطبقة الاولى منهم . (الشعر والشعراء ج٢ ص ٥٠٢ ، والاغاني ج٩ ص١٥٠) .

كُلُّنا يأمَلُ مدّاً في الأجلْ والمنايا هي آفات الأمل

وقال الآخر : [من الرجز]

إنَّ الفتى يُصبح للأسقامِ كالغرض المنصوب للسهامِ
أخطأ رامٍ أو أصاب رامِ

وقوله تعالى : « وَظَنَّ أهلُها أنَّهم قادرون عليها » .

أي : قادرون على استصحاب تلك الحال فجعلوا على [٩٢] غير شيء منها عند ذهاب زينتها واستحصاد نباتها .

ومن نظائر هذه الآية قوله ـ جَلَّ اسمه ـ في سورة اخرى :

« واضربْ لهم مَثَلَ الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء ، فاختلط به نباتُ الأرض ، فأصبح هشيماً تذروه الرياح ، وكان اللّه على كل شيء مقتدرا »(٥٨)

الهشيم : النبات الجاف الذي تسفيه الرياح ، فأعلم الله تعالى ـ انَّ الحياة زائلة . ودليل ذلك أنَّ الذي مضى منها بمنزلة ما لم يكن . وقال النبي ـ صلى الله عليه ـ : « الدنيا حلوةٌ خضِرةٌ فمن أخذها بحقها [٩٣] بُورك له فيها »(٥٩) . يعني غضة حسنة ، وأصله من خضرة النبات وسمي الخضر ؛ لانه كان إذا جلس اخضرَّ ما حوله . ومنه قيل للرجل اذا مات شابا : « قد اختُضِر »(٦٠) .

وحكي أن شيخاً من العرب كان قد أولع به شاب اذا رآه قال :

« أجززت يا أبا فلان »(٦١) ، فيقول الشيخ : « وتختضرون » .

---

(٥٨) سورة الكهف ، الآية ٤٥ .

(٥٩) أي : غضة ناعمة طرية . (ينظر النهاية ج٢ ص٤١) .

(٦٠) في اللسان (خضر) : « اختضر الشيء : أخذ طريا غضا ، وشاب مختضر : مات فتيا . وفي بعض الاخبار : ان شابا من العرب اولع بشيخ، فكان كلما رآه قال : اجززت يا أبا فلان . فقال له الشيخ : أي بني ، وتختضرون . أي : تتوفون شبابا » .

(٦١) أجززت : انى لك أن تجز فتموت . وأصل ذلك في النبات الغض يرعى ويختضر ويجز فيؤكل قبل تناهي طوله . (اللسان) .

وشبيه بهذه الحكاية انَّ شيخاً قال له شاب وراه يرسُف[٦٢] في مشيه : يا عمَّ مَنْ ألبسك هذا القيد ؟ قال : الدهر ، وهو في عمل قيد لك إنْ تراخى بك • [٩٤]

وأنشدني أصحابنا لأبي الطَّمْحان[٦٣] : [من الوافر]

حَنَتني حانياتُ الدهرِ حتى
كأني خابلٌ أدنو لصيدِ
قريبَ الخطوِ يحسبُ مَنْ رآني
ولستُ مُقيَّداً ، أني[٦٤] بقيدِ[٦٥]

وقال لبيد بن ربيعة : [من الطويل]

أليس ورائي إنْ تراخت منيتي
لزومُ العَصا تُحْنَى عليها الأصابعُ
أُخبِّرُ أخبارَ القرون التي خَلَتْ
أَدِبُّ كأني كلما قُمْتُ راكِعُ[٦٦]

وقال جرير : [من الوافر]

أرى مَرَّ السنينِ أَخَذْنَ مني
كما أخذ السِّرارُ من الهلالِ[٦٧]

---

(٦٢) رسف في القيد : مشى ببطء •

(٦٣) هو حنظلة بن الشرقي من المخضرمين • (الشعر والشعراء ج١ ص ٣٠٤ ، والاغاني (ط دار الكتب) ج١٣ ص٣) •

(٦٤) كتب تحتها في المخطوطة : أمشي •

(٦٥) كذا في الاصل ، أما في ديوان المعاني ج٢ ص١٦١ ، حنتني حادثات ••• وفي التشبيهات ص ٢١٨ واللسان (ختل) : كأني خاتل أدنو لصيد • وينظر حماسة البحتري ص ٢٩٤ •

(٦٦) ينظر شرح ديوان لبيد ص ١٧٠ـ١٧١ •

(٦٧) كذا في الأصل ، أما في ديوان جرير ص ٤٢٦ : رأت مر السنين• السرار : آخر ليلة من الشهر اذا كان ناقصا ، وليلتان اذا كان تاما يستتر فيهما بضيائه • وفي التشبيهات ص ٢١٨ :

أرى مر السنين أخذن مني ‏ ‏ كما أخذ المحاق من الهلال

وقال بعض الأعراب : [من الكامل] [٩٥]

قَصر الحوادث خطوه فدانى
وحنين صدر قناته فحنانى

صحب الزمان على اختلاف فنونه
فأراه منه شدةً وليانا

ما بال شيخ قد تخدَّدَ لحمه
أنضى ثلاث عمائم ألوانا

سوداء داجية وسحق مفوف
وأجدَّ أخرى بعد ذاك مجانا

ثم الممات وراء ذلك كله
وكأنما يعني بذاك سوانا

وقال أبو عبيدة : رأى أياس بن قتادة شعرة بيضاء في لحيته فقال : « أرى الموت يا بني سَعْدٍ ، قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبي » ، ولزم بيته .

وقال قيس بن عاصم : « الشيب خطام المنية » .

ولبعضهم : [من الكامل] [٩٦]

ذهب الشباب وميعة كانت له
الا بقايا لبسة المتجمّلِ

وبقيت أرتقب الحمام كراكبٍ
عرف المحل ، فبات دون المنزل

ومن أبيات المعاني لرجل من طيء : [من الطويل]

سرينا وأدلجنا فكانت ركابنا
يسرن بنا في غير بر ولا بحرِ

وما هي إلاّ ليلــة ثم يومهــا
وحولٌ الى حولٍ ، وشهرٌ الى شَهْرِ
مطــايا تقــربن البعيــد وان نأى
وتنقلن أشلاء الكريم الى القبرِ
وتنكحن أزواج الغيــور عــدوه
وتقسمن ما يحوي البخيل من الوفر

وأنشدني بعض الأشراف لعبدالله بن المعتز (٦٨) ، وأنشدنيه محمد ابن علي العشاري أيضاً : [من الطويل] [٩٧]

نسير الى الآجال في كل ساعة
وأيامنا تطوى ، وهنّ رواحلُ
ولم أرَ مثــل الموت حقــاً كأنــه
إذا مــا تخطته الأمانيّ باطــلُ

ومما رواه لنا العشاري من كلام عبدالله بن المعتز قوله :« أهل الدنيا كصور في صحيفة كلما نشر بعضها طوي بعضها » .

وأنشدني أيضا لعبدالله : [من الطويل]

سكنتكِ يا دنيــا برغمي مكرهــا
وما كان لي في ذاك صنع ولا أمر
فانْ ارتحل يوماً ، ادعك ذميمة
وما فيــك من عــودي غراس ولا بذر

وأنشدني أبي عن بعض السلف : [من الطويل]

إذا أبقت الدنيا على المرءِ دينه
فمــا فاته منهــا ، فليس بضائر

---

(٦٨) ولد سنة ٢٤٧هـ وقتل عام ٢٩٦هـ .

[٩٨]

وان امرءاً لم يرتحـل بتجـارةٍ
الى داره الأخـــرى فليس بتاجـــرِ
فان تك بالدنيـــا ضنيناً فانمــــا
بلاغك منهـا مثـل زاد المسافرِ

وقال الأصمعي : أول شعر قيل في ذم الدنيا قول ابن حذّاق : [من البسيط]

هل للفتى من بنات الدهر من واقِ
أم هل له من حمام الموت من راقِ ؟
قد رجلوني وما رجلت من شعث
وأَدْرجوني كأني طي مخـراقِ
هوّنْ عليـك ولا تولعْ باشفاقِ
فانّمـــا مالنـا للوارث البـــاقي

وكان عمر بن عبدالعزيز ليس له هجيّر(٦٩) الاّ انشاد هذين البيتين [من الطويل]

تُسر بمـــا يبلى ، وتفرح بالمنى
كما اغتر باللذات في النوم حالم

[٩٩]

نهـارك يا مغرور سَهْوٌ وغفلة
كذلك في الدنيـا تعيش البهـائم

ويقول : « كم من مستقبل يوماً ليس بمستكمله ، ومنتظر غداً وليس

(٦٩) الهجير : الدأب والشأن .

من أجله » . وقال الشعبي : « لا أعلم لنا وللدنيا مثلاً إلا قول كثير : [من الطويل]

اسيئي بنا أو أحسني لا ملومة
لدينا ، ولا مقلية إنْ تَولَّتِ[٧٠]

وقال ابن همام السلولي[٧١] : [من الطويل]

وذَموا لنا الدنيا وهم يرضعونها
أفاويق حتى ما يدر لها ثُعْلُ[٧٢]

وكان بعضهم يقول : « المستغني عن الدنيا كالمطفىء النار بالتبن » .

وكان ابن مسعود[٧٣] يقول : « الدنيا دار [١٠٠] مَنْ لا دار له » . وقال المسيح ـ عليه السلام ـ : « أنا الذي كفأت الدنيا على وجهها ، فليس لي زوجة تموت ولا بيت يخرب » . وقال محمد بن الحنفية[٧٤] : « من كرمت عليه نفسه ، هانت عليه دنياه . وقال وهيب بن الورد : « من أراد الدنيا فليتهيأ للذل » . وقل لمحمد بن واسع : « انك لترضى بالدون » فقال : « إنما يرضى بالدون من رضي بالدنيا » . وقال أبو حازم المدني : « اما الماضي من الدنيا فحلم ، واما الباقي فأماني » .

وذكر الحسن البصري الدنيا ، فأنشد [من الكامل] [١٠١]

---

(٧٠) كذا في الاصل ، أما في الشعر والشعراء ج١ ص٤٢٢ : إنْ تقلت .

(٧١) هو عبدالله بن همام السلولي شاعر اسلامي أدرك معاوية وتوفي سنة ١٠٠هـ . (الشعر والشعراء ج٢ ص٥٤٥) .

(٧٢) الفيقة : اسم اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين ، وجمعها : فيق وأفواق وأفاويق . الثعل : زيادة في أطباء الناقة والبقرة والشاة ، وقد ذكر الشاعر (الثعل) للمبالغة في الارتضاع ، والثعل لا يدر . (ينظر البيت في اللسان (فوق) و (ثعل) .

(٧٣) هو الصحابي عبدالله بن مسعود المتوفى سنة ٣٢هـ (الاصابة ت ٤٩٤٥) .

(٧٤) هو محمد بن علي بن أبي طالب ، توفي سنة ٨١هـ (طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٦٦) .

أحلام نوم أو كظل زائل
ان اللبيب بمثلها لا يخدع

وقال السميدع الربعي : سمعت في جوف الليل نداء شيخ كبير يقول : « يا خالق النسمات وعالم الخفيات ، أرقت الليل لعظمتك وخشية عقابك وخوف نارك ، لست بعزيز فانتصر ، ولا بغافل فاذكر » . ثم نادى : « يا أهل الحق ، اذكروا مضاجعكم غداً ومجاورتكم البعداء » .

وقال علي ــ عليه السلام ــ : « أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام »(٧٥) . ومن كلامه : « الدنيا دار صدق لمن صدقها [١٠٢] ودار نجاة(٧٦) لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها مهبط وحي الله ، ومصلى ملائكته ومسجد أنبيائه ومتجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة . فمن ذا يذمها وقد أذنت ببينها ، ونادت بفراقها . فيا أيها الذام للدنيا متى استذمت اليك الدنيا ؟ متى خدعتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع امهاتك من الثرى ؟ كم مريض عللت بيديك تطلب له الشفاء ، وتستوضح الأطباء غذاءه ، لا يغني عنك دواؤك ولا ينفعك بكاؤك »(٧٧) .

وذكر بعض الرواة [١٠٣] قال قُرِيء على قبر بالشام(٧٨) : [من البسيط]

باتوا على قُلل الأجبال تحرسهم
غُلْبُ الرجالِ فلم تَنْفَعْهم القُلَل(٧٩)

---

(٧٥) ينظر نهج البلاغة ج٣ ص١٦٥ .
(٧٦) كذا في الاصل ، أما في نهج البلاغة ج٣ ص١٨٢ : ودار عافية .
(٧٧) ينظر نهج البلاغة ج٣ ص١٨١ــ١٨٣ لمعرفة وجوه الاختلاف .
(٧٨) ذكرها ابن قتيبة في عيون الاخبار ج٢ ص٣٠٢ ، وأبو الفدا في المختصر في أخبار البشر ج٣ ص٥٧ ، ولم يذكر قائلها .
(٧٩) كذا في الاصل وعيون الاخبار ، أما في أخبار البشر : فما أغنتهم .

واستنزلوا بعد عزٍ من معاقلهم
واسكنوا حفراً يا بئسما نزلوا[٨٠]

ناداهم صارخٌ من بعدما دُفنوا
أين الأسرَّةُ والتيجان والحلل[٨١] ؟

أين الوجوه التي كانت محجَّبَةً
من دونِها تُضْرَبُ الأستار والكلل[٨٢]

[فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل][٨٣]

قد طال ما أكلوا دهراً وما نَعِموا
فأصبحوا بعدطول الأكلقد أُكلوا[٨٤]

ومما رواه المرزباني[٨٥] وأنبأنا به جماعة من أصحابه عنه عن الأزدي قال : كان امرؤ القيس البدي وهو مُحرِّق الاول[٨٦] رجلا طويل المصاحبة للذات [١٠٤] كثير العكوف على اللهو ، فركب يوما أما متبديا وأما متصيدا فانقطع عن أصحابه فاذا هو برجل كالمِفْأدِ[٨٧] قد جمع عظاماً من عظام الموتى وهي بين يديه يقلبها ، فقال : ما قصتك أيها الرجل ،

(٨٠) كذا في الاصل وأخبار البشر ، أما في عيون الاخبار : حفرة .
(٨١) كذا في الاصل وعيون الاخبار ، أما في أخبار البشر : من بعدما قبروا .
(٨٢) كذا في الاصل وعيون الاخبار ، أما في أخبار البشر : منعمة .
(٨٣) الزيادة من عيون الاخبار وأخبار البشر .
(٨٤) كذا في الاصل وعيون الاخبار ، أما في أخبار البشر : وما شربوا.
(٨٥) هو محمد بن عمران المتوفى سنة ٣٨٤هـ (وفيات الاعيان ج١ ص ٥٠٧) .
(٨٦) في معجم الشعراء ص١١ ترجمة لعمرو بن هند بن المنذر بن امريء القيس بن النعمان بن امريء القيس البدن ، وهو محرق .
(٨٧) المفأد : السفود .

وما بلغ بكَ ما أرى من سوء الحال وشُسُوف[88] الجسم ، وتلويح اللون والانفراد في هذه الفلاة ؟ فقال الرجل : « أمّا ما ترى من سوء حالي وشسوف جسمي وشحوب لوني ، فاني على جناح سفر بعيدٍ وبي موكلان مزعجان يحدوان بي الى منزل ضنك المحل مظلم القعر [١٠٥] كريه المقر ، ثم يسلمانني الى مصاحبة البلى ومجاورة الهلكى تحت أطباق الثرى ، فلو تُركت بذلك المنزل مع جفائه وضيقه ووحشته وارتعاء أحناش[89] الأرض في لحمي وعصبي حتى أعود رفاتاً وتصير أعظمي رِماماً[90] كان للبلاء انقضاء ، وللشقاء نهاية ، ولكني أدفع بعد ذلك الى صيحة الحَشْرِ فأرد أهوال مواقف الجزاء ، ثم لا أدري الى أي الدارين يؤمر بي . فأي حال يلتذ من يكون الى هذا الأمر صَيُورُه[91] » .

فلما سمع الملك كلامه نزل عن فرسه [١٠٦] ومَثَلَ بين يديه وقال : « أيها الرجل ، لقد كدر عليّ مقالك صفو عيشتي ، وملك الاشفاق قلبي ، فاعد عليّ بعض قولك ، واشرع لي دينك » .

فقال له : « أما ترى هذه العظام التي بين يدي ؟ » . قال : «بلى» .

قال : « هذه عظام ملوك غرّتهم الدنيا بزخرفها ، واستحوذت على قلوبهم بغرورها ، وألهتهم عن التأهب لهذه المصارع حتى فاجأتهم الآجال ، وخذلتهم الآمال ، وغصبتهم عزة الملك ، وسلبتهم بهاء النعيم ، وستنشر هذه العظام فتعود أجساماً ، ثم تجازى [١٠٧] بأعمالها ، فامّا الى دار القرار ، وامّا الى محل البوار » .

---

(٨٨) شسف الشيء شسوفا : يبس ، واللحم الشسيف : الذي كاد ييبس وفيه ندوة بعد .

(٨٩) الحنش : الحية ، وقيل : الافعى ، وبها سمي الرجل حنشا .

(٩٠) الرمة - بكسر الراء - : العظام البالية ، والجمع : رمم ورمام .

(٩١) صيور الشيء : آخره ومنتهاه وما يؤول اليه .

ثم اختلس الرجل فلم ير له أثر ، وتلاحق أصحاب الملك به وقد امتقع لونه وتواصلت عبراته ، وركب . وقيل : فلما جنّ عليه الليل خرج من قصره فكان آخر العهد به .

أنشدني عبيدالله بن بكر لاسماعيل بن القاسم(٩٢) : [من المتقارب]

أنلهو وأيامُنا تذهب
ونلعب والدهر لا يلعب(٩٣)

أيلهو ويلعب مَنْ نفسه
تموت ، ومَنْ بيْتُه يَخْرَب(٩٤)

ترى صورَ اللهو مسمومةً
ولكنْ لها رونقٌ مُذْهَب(٩٥)

[١٠٨]

سيصدق مَنْ مات في هجره
وقد كان في وصله يكذِب(٩٦)

وأنشدني ـ أيضاً ـ له : [من الرمل]

إنّما الدنيا متاعٌ زائلٌ
فاقتصدْ منه ، وخذ منه ودع

عجبٌ للدهرِ كم من أُممٍ
قد أباد الدهر ، والدهر جَذَع(٩٧)

---

(٩٢) هو أبو العتاهية .

(٩٣) كذا في الاصل ، أما في ديوان أبي العتاهية ص ٣٢ : والموت لا يلعب .

(٩٤) كذا في الاصل ، أما في الديوان : ومنزله يخرب .

(٩٥) لم يرد في ديوانه المطبوع في بيروت عام ١٩٦٤ ولا في ديوانه المطبوع في دمشق سنة ١٩٦٥ .

(٩٦) لم يرد في طبعتي ديوانه .

(٩٧) لم يرد في الطبعتين .

يا أخا الميْتِ الذي شيَّعه

فحثا الترب عليه ورجع

ليت شعري ما تزودت من الز

ادِ يا هذا ليوم المطّلَع(٩٨)

وله مما نقلته من مجموع شعره : [من المتقارب]

نفى عنك ظل الشباب المشيب

ونادتك باسم سواك الخطوب(٩٩)

فكن مستعداً لداعي المنو

ن ، فكل الذي هو آتٍ قريب(١٠٠)

[١٠٩]

وله أيضا من أبيات : [من البسيط]

هي المنايا وإنْ اصبحت في لعب

يَحُمْنَ حولك حوماً أيّما حَوْمِ

لا تعجلن رويداً انها دولٌ

دنيا تنقل من قومٍ الى قَوْمِ(١٠١)

وله أيضاً : [من الكامل]

---

(٩٨) الابيات من قصيدة مطلعها :

خير أيام الفتى يوم نفع　　واصطناع الخير أبقى ما صنع

(ينظر ديوانه (طبعة بيروت) ص ٢٥٥ ، و (طبعة دمشق) ص ١٧) .

(٩٩) كذا في الاصل ، أما في الديوان (طبعة بيروت) ص ٣٩ : نعى لك شرخ الشباب المشيب .

(١٠٠) لم نعثر عليه في ديوانه ، وبعد البيت الاول في الديوان :

وقبلك داوى الطبيب المريض　　فعاش المريض ومات الطبيب

(١٠١) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص ٣٤١ :

ان المنايا وان أصبحت في تعب　　تحوم حولك حوماً أيما حوم

والدهر ذو دول فيه لنا عجب　　دنيا تنقل من قوم الى قوم

ما زُخْرُفُ الدنيا وزِبْرِجُ أهلها
الا غـرورٌ كُلّهـا وحطـامُ
ولربَّ أقـوامٍ مَضَـوا لسبيلهم
ولنمضين كمـا مضى الأقـوام(١٠٢)

قوله تعالى : « وكان اللهُ على كل شيءٍ مقتدرا »(١٠٣) .

« كان الله » تأويله : إنّ ما شاهدتم ليس بحادثٍ عنده وانه كذلك كان ولم يزل . هذا مذهب سيبويه(١٠٤) والخليل(١٠٥)[١١٠] وقال الحسن : المعنى : « كان مقتدرا قبل كون الأشياء » وهو على قول من قال : « كان » من الله بمنزلة « كائن » . وقول سيبويه أحسن ؛ لان العرب لا تعرف « كان » في معنى « يكون » إلاّ بان تدخل على الحرف آلة تنقله الى معنى الاستقبال ، وكذلك لا تعرف الماضي في معنى الحال . فعلى هذا جميع ما في القرآن من هذا الباب نحو قوله : « وكان اللهُ غفورا رحيما(١٠٦) و « كان الله بكل شيءٍ عليما »(١٠٧) . ونظير الآيتين فيما تضمنتا من تشبيه حال الدنيا قوله تعالى [١١١] في سورة اخرى : « إعلموا أنّما الحياة الدنيا لَعِبٌ ولهوٌ وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثَلِ غيْثٍ أعجب الكفارَ نباتُه »(١٠٨) .

(١٠٢) ينظر ديوانه (طبعة دمشق) ص ٣٥١ ، و (طبعة بيروت) ص ٣٩٦ .

(١٠٣) سورة الكهف ، الآية ٤٥ .

(١٠٤) توفي سنة ١٨٠هـ (وفيات الاعيان ج١ ص ٣٨٥) .

(١٠٥) توفي سنة ١٧٠هـ (وفيات الاعيان ج١ ص ١٧٢ ، وأنباه الرواة ج١ ص ٣٤١) .

(١٠٦) سورة النساء ، الآية ١٠٠ .

(١٠٧) سورة الاحزاب ، الاية ٢٣٣ وسورة الفتح الاية ٤٨ .

(١٠٨) سورة الحديد ، الآية ٢٠ .

سرور المؤمنين بالجنة واسوداد الوجوه المسودة لما تصير اليه من العذاب والخيبة من الرحمة قال تعالى : « ووجوهٌ يومئذٍ عليها غَبَرَةٌ »(١٠٩) .

وقد شبهت الشعراء بمثل هذه الحال صاحب الخيبة والكآبة كما قال الأول ، أنشده التوَّزي : [من الطويل]

وجاءت بنو ذهل كأنَّ وجوههم
اذا حسروا عنها ظلال صخور

أي : سوداً ؛ لانَّ ظل الصخرة كثيف .

وقال الآخر : [١١٢] [من الطويل]

وأنتم صغار الهام صعلٌ كأنما
وجوهكم مطليةٌ بمدادِ(١١٠)

وقال علي بن جريج الرومي : [من السريع]

وجهك يا جعفر في قبحه
أولى من العورةِ بالسِّتر
كأنما يأوي اليه الدجى
إذا هي انفضت عن الفَجْرِ

وحدثني أبي عمَّن حدَّثه ، قال : تقدم الى شريح رجلان : مسلم ونصراني ، فألَطَّ(١١١) المسلم بحجته ، وأوضح النصراني ، فلم يزل شريح يوقظ المسلم بحجته وهو يلط بها ، ويوضحها النصراني حتى وضح

---

(١٠٩) سورة عبس ، الآية ٤٠ .
(١١٠) الصعل والاصعل : الدقيق الرأس والعنق .
(١١١) ألط : اشتد في الخصومة أو الأمر ، وألط حقه : انكره مع علمه به .

النهار ، وكان يوماً فائظاً فضجر شريح وقال للمسلم : قم عني[١١٣] فاني أرى ظلمة الكفر على وجه هذا الجاحد أظهر من نور الاسلام على وجهك .

وقد شبهوا بظلام الليل أشياء لا موضع لذكرها ههنا ، كقول الشاعر : [من البسيط]

تقنعت بظلام الليل واتزرت
بالرمل وانتقبت بالشمس والقمر[(١١٢)]

وليس من الباب المذكور ؛ لانّ ذلك موضوع على الذم وهذا على المدح وتزيين الصفة .

وفي تشبيه الآية تأويل آخر ، وهو ان يكون قوله تعالى : [١١٤] « كأنما أُغْشِيَتْ وجوهُهم قِطعاً من الليل »[(١١٣)] .

يعني : لما دهمهم من الرعب والجزع قد سدرت[(١١٤)] أعينهم فما يرون إلاّ ظلمة كما قال الشاعر : [من الوافر]

ظللنا نخبط الظلماء ظهراً
لديه والمطي لها أوار

ومن ذلك قول الطائي : [من الكامل]

عادت له أيامه مسودّةً
حتى توهم أنهُنّ ليالي[(١١٥)]

ويدخل في هذا الباب ـ أيضاً ـ قوله : [من الكامل]

---

(١١٢) كرر في الاصل : « بالرمل » ، وشطب على المكرر .
(١١٣) سورة يونس ، الآية ٢٧ .
(١١٤) سدر بصره : تحير .
(١١٥) ديوان أبي تمام ص ١٨٥ . والبيت من قصيدة في مدح الحسن ابن رجا .

ما ان ترى الأحساب بيضاً وضحاً

إلا بحيث ترى المنايا سودا[116]

وقال البحتري في اعتذاره الى الفتح[117] : [من الطويل] [115]

عذيري من الأيام رنَّقْنَ مشربي

ولقينني نَحساً من الطيرِ أشأما

وأكسبنني سُخْطَ امرىءٍ بت موهناً

أرى سخطه ليلاً مع الليل مظلما[118]

وقد نظر في هذا البيت نظراً خفيا الى قول النابغة[119] في استعطاف النعمان[120] :[من الطويل]

فانَّك كالليلِ الذي هو مُدْرِكي

وإنْ خِلْتُ أنَّ المنتأى عنك واسع[121]

فشبهه بالليل من أجل سخطه وغضبه ، ونقل البحتري تشبيهه الى وصف السخط ، وجعل ذلك موجوداً في الحقيقة عنده • وقد أحال بعض أصحاب المعاني بقول البحتري على قول محمد بن أبي عُيينة : [من الخفيف]

[116]

---

(١١٦) ديوان أبي تمام ص ٦٨ • والبيت من قصيدة في مدح خالد بن يزيد الشيباني •

(١١٧) هو الفتح بن خاقان •

(١١٨) البيتان من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويعاتبه (ديوانه ج١ ص ١٠٨) رنق مشربي : كدر • الموهن من الليل : نحو منتصفه أو بعد ساعة منه •

(١١٩) هو النابغة الذبياني •

(١٢٠) هو النعمان بن المنذر •

(١٢١) ينظر ديوان النابغة الذبياني ص ١١٤ •

طال من ذكره بجرجان ليلي
ونهاري عليّ كالليل داجي

ولا أراه عدل عن ملاحظة بيت النابغة ـ كما ذكرنا ـ • وأنشد الصولي لمحمد بن أحمد العلوي الاصفهاني[١٢٢] : [من الخفيف]

أترى النجم حار في الافق أم
أسبل ليلي على نهاري ذيلا[١٢٤]
أَمْ كما عاد وصله لي هجراً
عاد أيضا به نهاري ليلا

والوجه الاول في تأويل الآية هو المختار •

(١٢٢) هو ابن طباطبا المتوفى سنة ٣٢٢هـ (معجم الشعراء ص٤٢٧ ومقدمة كتاب عيار الشعر) •
(١٢٣) أسبل : إرخى •

سورة هود

قوله ـ عز وجل ـ : « وهي تجري بهم في مَوْجٍ كالجبال »[1] .

الجري : مرٌّ سريع كمر الماء على وجه الأرض [١١٧] . والسفينة تجري بالماء ، والفرس يجري في عدوه . ويقال : هذه العلة تجري في أحكامها . أي : تمر فيها من غير مانع منها . والموج : جمع موجة ، وهي القطعة العظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير ، وأعظم ما يكون ذلك اذا اشتدت الريح . فدلّ التشبيه على عظم شأن الأمر من حال الماء وتطبيقه الارض ، ومن ملابسة الرياح له . ومن ذكر الاعتبار تجري السفينة في هذه الأهوال ، وناب لفظه مع اختصاره عن شرح كثير .

ونحو هذا التشبيه [١١٨] قوله تعالى في سورة اخرى : « فأوحينا الى موسى أنَ اضْرِبْ بعصاك البحر فانفلق فكان كُلُّ فِرْقٍ كالطَّودِ العظيم »[2] .

وقد تعاطت الشعراء صفة موج البحر في ارتفاعه بمثل ما ورد في التنزيل فقال الأعشى في ذكر الممدوح وجاء بغير اللفظ : [من البسيط]

وما مجاورُ هيتٍ إذْ طمى فطغى
يدق آذيه البوصي والشرعا[3]

(١) سورة هود ، الآية ٤٢ .
(٢) سورة الشعراء ، الآية ٦٣ .
(٣) كذا في الاصل ، أما في ديوان الأعشى ص ١٠٩ :
وما مجاور هيت إن عرضت له قد كاد يسمو الى الجرفين واطلعا

يجيش طوفانه إذْ عَبَّ محتفلاً
يكاد يعلو رُبى الجرفين مطلعا[٤]

هبت لـه الريح فامتدت غواربـه
ترى حواليـه من تياره تَرَعـا[٥]

وتناول المُحدثون ذلك أيضاً فقال البحتري : [من الطويل] [١١٩]

ألسـت ترى مَـدَّ الفرات كأنه
جبالُ شَروْرَى جئن في البحر عوما[٦]

وفي عكس التشبيه قول ذى الرمة : [من البسيط]

كأنـا والقنانَ القُـودَ تحملنـا
مَوْجُ الفراتِ إذا التـجَّ الدياميـم[٧]

وقال أيضا : [من الطويل]

تُطيل الوِحافُ الصُدأ فيهـا كأنهـا
قراقيرُ مَوْجٍ غُصَّ بالسـاجِ قيرُها[٨]

وقال في تشبيه المطايا : [من البسيط]

---

(٤) جاش : غلا واضطرب • عب البحر : ارتفع وكثر موجه • حفل واحتفل : اجتمع وامتلأ •

(٥) كذا في الاصل ، أما في الديوان :

طابت له الريح فامتدت غواربه ترى حوالبه من موجه ترعا

غارب كل شيء : حده ، والغوارب : أعالي الموج • حوالب النهر : الفروع التي تحلبه ، أي : تعينه وتمده • ترعا : مترعة مملوءة الى نهايتها •

(٦) شرورى : جبل مطل على تبوك في شرقيها ، وقيل : لبني سليم ، وقيل : واد بالشام • (معجم البلدان) وينظر ديوان البحتري ج١ ص١٤٧)•

(٧) القنان : جمع قنة وهي أعالي الجبل والاكام الطوال • الدياميم : الفلوات (ديوان ذي الرمة ص ٥٧٦) •

(٨) الوحاف : حجـارة لا تبلغ أن تكون جبالا • صـدأ : سود • القراقير : السفن ، الواحد : قرقور • يقول : كأنها في السراب سفن في الماء• (ينظر ديوان ذي الرمة ص ٣٠٨) •

بأينق كقداح النَّبع قد ذبلت
منها الثمائل أمثالُ القراقير(٩)

وقال يصف جملا في سيره ، ويشبه دفيه في خطوه بالموج : [من الرجز]

كأنَّ دفَّيه إذا تزيدا
موجان طلا للجنوبِ مطردا(١٠)

[١٢٠] وقد ورد في التنزيل في صفة موج البحر بالعظم والارتفاع تشبيه آخر ، وهو قوله تعالى في سورة لقمان : « واذا غشيهم موجٌ كالظُلَل» (١١) .

لانَّ موج البحر يعظم فيصير كالظلل في ارتفاعه وتغطيته ما تحته .
قال النابغة الجعدي وذكر الخيل : [من الوافر]

يماشيهنَّ أخضر ذو ظلال
على حافاته فِلَقُ الدنانِ(١٢)

---

(٩) القداح : السهام . النبع : الشجر . الثمائل : ما بقي في جوفها من العلف ، الواحدة : ثميلة . يقول : ضمرت بطونها . (ديوان ذي الرمة ص ٢٧٩) .
(١٠) الدف : الجانب .
(١١) سورة لقمان ، الآية ٣٢ .
(١٢) كذا في الاصل وتفسير القرطبي ج ١٤ ص ٨٠ ، أما في شعر النابغة الذبياني ص ١٦٣ ، وتفسير غريب القرآن ص ٣٤٥ : يعارضهن . يقول ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٣٤٥ : « في قوله تعالى : « واذا غشيهم موج كالظلل » جمع ظلة . يريد ان بعضه فوق بعض فله سواد من كثرته . والبحر ذو ظلال لامواجه . قال الجعدي :

يعارضهن أخضر ذو ظلال على حافاته فلق الدنانِ

يعني البحر » .

سورة الرعد

قوله ـ عز وجل ـ : « له دعوةُ الحق ، والذين تدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيءٍ إلاّ كباسطِ كفيه الى الماء [١٢١] ليبلغَ فاه ، وما هو ببالغه ؛ وما دعاء الكافرين الاّ في ضَلال»(١) .

« دعوة الحق » : قيل : الدعوة التي يدعى الله بها على اخلاص الوحدانية . « والذين يدعون من دونه » : الذين يدعونهم أربابا . والاستجابة والاجابة واحد ، إلاّ ان الاستجابة تُبنى على طلب الموافقة .

قال الشاعر : [من الطويل]

وداعٍ دعا هل من مجيبٍ الى الندى
فلم يستجبه عند ذاك مجيبُ

البسط والنشر والفرش من النظائر ، ونقيضه القبض . والبلوغ والوصول واللحوق نظائر ، يقال : بلغ بلوغا [١٢٢] فهو بالغ ، والشيء مبلوغ ومنه البلاغة ؛ لانها تبلغ المعنى منتهى البيان .

قال مجاهد : معنى قوله تعالى : « كباسط كفيه » اى : كباسط كفه من غير تناول للاناء ليبلغ فاه ببسط كفه ودعائه .

وقال الحسن : كباسط كفيه الى الماء فمات قبل ان يصل اليه .

---

(١) سورة الرعد ، الآية ١٤ .

والعرب تضرب المثل بان من سعى فيما لا يدركه كالقابض على الماء[٢] ٠

وقال الشاعر : [من الطويل]

واني واياكم وشوقا اليكم
كقابض ماء لم تحزه انامله[٣]

وقال الاحوص[٤] : [من الطويل] [١٢٣]

وأصبحت مما كان بيني وبينها
سوى ذكرها كالقابض الماء باليد

وقال الاخر : [من الطويل]

ومن يصحب الدنيا يكن مثل قابض
على الماء خانته فروج الاصابع[٥]

ومما يقرب من المعنى ويدخل في تأويله أيضاً قول الاخر متغزلا : [من البسيط]

إني واياك كالصادي رأى نَهلاً
ودونه هوّةٌ يخشى بها التلفا

---

(٢) في مجمع الامثال ج٢ ص ١٤٩ : « كالقابض على الماء ، يضرب لمن يرجو ما لا يحصل ٠ قال الشاعر :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض ... على الماء لا يدري بما هو قابض

(٣) يقول الفرزدق :

فأصبحت مما قد فعلت كقابض ... على الماء لم ترجع بشيء أنامله

وورد البيت منسوبا الى ضابيء في النقائض ج١ ص٢١١ هكذا :

فاني واياكم وشوقا اليكم ... كقابض ماء لم تسقه انامله

(وينظر كتاب التشبيهات ص ٢٦٩) ٠

(٤) هو عبدالله بن محمد المتوفى سنة ١٠٥هـ (الشعر والشعراء ج١ ص ٤٢٤ ، والاغاني ج ٤ ص ٧٣) ٠

(٥) كذا في الاصل ، أما في التشبيهات ص ٢٦٩ ، والعقد الفريد ج١ ص ٣٤٣ :ومن يأمن الدنيا ٠ (وينظر أسرار البلاغة ص ١١٢) ٠

رأى بعينيه ماءً عزَّ مورده

وليس يملك نحو الماء منصرفا

وقول الآخر: [من الطويل]

واني على هجران بيتك كالذي

رأى نهلاً ريّاً وليس بناهلِ

[١٢٤]

رأى برد ماءٍ ذيد عنه وروضةً

برود الضحى فينانةً بالأصائل

وقد تضمنت الآية البيان عما يوجبه دعاء الحق للخالق تعالى من الاجابة على شرائط الحكمة بما يكون فوق الامنية وخيبة الداعي لغيره كخيبة من دعا الماء من قعر البئر .

سورة ابراهيم

قوله ـ عز وجل ـ : « مَثَلُ الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يومٍ عاصفٍ ، لا يَقْدرون مما كسبوا على شيءٍ ، ذلك هو الضلالُ البعيد »[1]

أي : فيما يتلى عليكم « مثل الذين كفروا » وتكون « أعمالهم » على البدل [١٢٥] المشتمل على المعنى .

العصف : شدة الريح ، يقال : يوم عاصف ، أي : شديد الريح ، وعصفت الريح : اشتدت .

والتشبيه في هذه الاية كالتشبيه في قوله تعالى : « يا أيُّها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتِكم بالمن والاذى » الى قوله « كمثل صَفْوانٍ عليه تراب »[2] فبيَّن الله ان اعمال الذين كفروا في ذهابها واحباطها كرماد ذهبت به الريح يوم عصفها ، وكذلك بيَّن ان العمل يبطل بالمن والأذى كما يبطل بالرياء ، وكما يذهب الوابلُ الترابَ عن الصفا .

أنشد أبو العباس محمد بن [١٢٦] يزيد[3] لاعرابي يهجو سعيد بن سلم الباهلي وقد كان مدحه فلم يثبه : [من الطويل] .

---

(١) سورة ابراهيم ، الآية ١٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٦٤ .

(٣) هو المبرد المتوفى سنة ٢٨٦هـ . (وفيات الاعيان ج١ ص٤٩٥) .

لــكل أخي مــدح ثوابٌ يعــدهُ

وليس لمــدح الباهــلي ثـــوابُ

مدحت ابن سَلْم والمــديح مَهزةٌ

فــكان كصفوان عليـــه ترابُ[4]

صفوان وصفا واحد ، ويثنى الصفا : صَفَوان ، وصُفِيٌّ جمعه . ومن قال : صَفْوان ، فجمعه صِفْوان .

قال الشاعر : [من الطويل]

ولست بجلبِ جلبِ غيـم وقــرّةٍ

ولا بصفــا صلــد عن الخير معزل

والصلد : الأملس الصلب . قال رؤبة[5] : [من الرجز]

لـمـا رأتنى خَلَقَ المموّه براقَ أصلادِ الجبين الأجله[6]

[١٢٧] تشبيه آخر من هذه السورة قوله ـ عز وَجل ـ : « ألم ترَ كيف ضرب اللهُ مَثَلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضربُ اللهُ الأمثــالَ للناس لعلهم يتذكرون »[7] .

---

(٤) في الكامل للمبرد ج٢ ص ٧١٣ : « وقال سعيد بن سلم : عرض لي أعرابي تمدحني فبلغ فقال :

ألا قل لساري الليل لا تخش ضلة سعيد بن سلم ضــوء كل بلاد

لنا سيد أربى عــلى كل سـيد جواد جثا في وجـه كل جـــواد

قال : فتأخرت عن بره قليلا فهجاني فبلغ ، فقال : لكل آخي ... » .

(٥) هو رؤبة بن العجاج الراجز المتوفى سنة ١٤٥هـ (وفيات الاعيان ج١ ص ١٨٧) .

(٦) وبعــده :

بعد غداني الشباب الابلــه ليت المنى والدهر جري السمّه

لله در الغـانيات المــدّه

الجله : أشد من الجلح، وهو ذهاب الشعر من مقدم الجبين. اللسان (جله) .

(٧) سورة ابراهيم ، الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .

قال ابن جريج(٨) : الكلمة الطيبة هي ذات أصل في القلب تؤتي أكلها كل حين كلما قالها صعدت الى السماء ثم جاء خيرها ومنفعتها ٠وقد نقلت الشعراء هذا التشبيه ، أنشدني الاسدي في أبيات ولم يُسَمِّ قائلاً : [من الطويل] [١٢٨]

أأُمَّ أبانٍ قلت أمسِ كليمةً
خلاساً كنبت البانِ في الشبهان

وقيل : انه تعالى عنى بالشجرة الطيبة النخلة ، ويشهد لهذا التأويل ما جاء في الأثر من فضيلة النخل ، وان النبي ـ صلى الله عليه ـ بارك فيه وقال : « خير المالِ سكة مأبورة ، أو مهرة مأمورة »(٩)

يعني : نخلاً ملقحا ٠ والمهرة المأمورة : الكثيرة النتاج ٠ يقال : أَمِرَ القوم : إذا كثروا ٠ قال بعض العرب : « نعم المال باسقات النخل الراسخات في الوحل ، المطعمات في المحل » ٠ يعني : التى تشرب بعروقها من الأرض ٠ قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم : [١٢٩] « ما سُقي منها بعلاً ففيه العشر » (١٠) ٠ والبعل : ما شرب بعروقه ٠ قال النابغة : [من الطويل]

من الواردات الماءِ بالقاع تستقي
بأذنابها قبل استقاء الحناجر(١١)

---

(٨) هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج ، فقيه الحرم المكي وامام أهل الحجاز في عصره ٠ توفي سنة ١٥٠هـ (وفيات الاعيان ج١ ص٢٨٦)

(٩) كذا في الاصل ، أما في النهاية ج١ ص١٣ : « خير المال مهرة مأمورة وسكة مابورة » ٠ السكة : الطريقة المصطفة من النخل ٠ المابورة : الملقحة ٠ والمعنى : خير المال نتاج أو زرع ٠ (وينظر اللسان (أبر) ٠

(١٠) هذا من أحاديث الزكاة ٠ (ينظر النهاية ج١ ص ١٤١) ٠

(١١) كذا في الاصل ، أما في ديوان النابغة ص٩١ : باعجازها قبل استقاء الحناجر ٠ ويروى : من الطالبات الماء ٠ والمراد النخل الذي يشرب الماء بعروقه من الارض ، فجعل العروق أذنابا أو اعجازا على الاستعارة ٠

وقال أبو حاتم : « من فضيلة النخل ان الله ـ تعالى ـ لم يجعله في بلاد كفر ، وما منه شيء إلا في بلد اسلام وما قد وصل اليه الاسلام »

ومما نقلت من خط المرزباني ان قيصر كتب الى عمر بن الخطاب ـ رحمة الله عليه ـ : « ان رسلي اخبروني ان قبلكم (١٢) شجرة تخرج كآذان الحمير (١٣) ثم ينفلق عن مثل اللؤلؤ المنظوم في مثل قضبان الفضة فيصيبون [١٣٠] منه مع طيب ريح وطعم ، [ثم يكون] كالزمرد الاخضر في مثل قضبان الذهب فيصيبون منه مع ذلك ، ثم يكون كالياقوت الاحمر والاصفر ثم ينضج فيكون كالفالوذ (١٤) ، فهو عصمة للمقيم ، زادٌ للمسافر ، فان تصدق رسلي فهي شجرة من الجنة » .

فأجابه عمر : « هي النخلة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ، فاتق الله ولا تجعلنه من دونه الهاً » . «إنَّ مَثَلَ عيسى عند اللهِ كَمَثَلِ آدم خَلَقَه من تراب »(١٥) .

وقال ذكوان العجلي يصف النخل : [من الطويل] [١٣١]

ترى الباسقات العم منها كأنها
ظعائن مضروب عليها قبابها
تدر اذا ما الشول لم يرج درها
وأمست من الألبان صفراً وِطابها(١٦)

---

(١٢) كذا في الاصل ، أما في نهاية الارب ج١١ص١٢٠ : ان بارضك .
(١٣) كذا في الاصل ، أما في نهاية الارب ، الحمر .
(١٤) الفالوذ أو الفالوذج : نوع من الحلواء تعمل من الطحين والماء والعسل .
(١٥) سورة آل عمران ، الآية ٥٩ . وتنظر القصة في نهاية الارب ج١١ ص ١٢٠ .
(١٦) الوطب : سقاء اللبن ، ج : أوطب ووطاب وأوطاب . يقال « صفرت وطابه » أي : مات أو قتل .

وقال سالم بن عبدالله الوالبي : [من الوافر]

تخرّمها العطاء فكل يوم
يجاذب راكبٌ منها قرينا
كأنّ فروعها في كل ريح
عذارى بالذوائب ينتصينا (١٧)

ومن مستحسن التشبيهات قول كعب بن الأشرف(١٨) : [من الرمل]

ونخيل في تلاع جمة
تُخرِجُ الطلع كأمثال الأكف (١٩)

وقول ثعلبة بن عمير الحنفي : [من الطويل]

نَمَتْ مثل أغماد السيوف وبَرَّزت
عن الليف بالأعناق قبل مدى الرفض

[١٣٢] يقال : رفض النخل إذا انتشر العذق(٢٠) .

وقال آخر في حسن تأليفها وتشبيه ليفها : [من الرجز]

---

(١٧) نسبه أبو هلال في ديوان المعاني ج٢ص٣٩ ، والنويري في نهاية الارب ج١١ص١٢٣ الى النمر بن تولب ، وورد في التشبيهات ص٢٦١ من غير نسبة . والبيت من ضمن أبيات .

ينتصينا : يأخذ بعضهن بنواصي بعض . وورد في كتب اللغة (الانتصاء) بمعنى الاختيار ، وهو راجع الى الاخذ بالناصية ، وذلك لان المنتصي يأخذ نواصي الاشياء ، أي : أشرفها وأعلاها .

(١٨) شاعر جاهلي أدرك الاسلام . (الروض الانف ج٢ص١٢٣). والاغاني ج ١٩ ص ٢١٩) .

(١٩) كذا في الاصل وديوان المعاني ج٢ص٣٩ . وروي للربيع بن أبي الحقيق في نهاية الارب ج ١١ ص ١٢٥ وكتاب التشبيهات ص ٢٦١ . ولم يذكره ابو الفرج في ترجمة احد الشاعرين (ينظر الاغاني ج ١٩ ص٢١٩ ، وج ٢١ ص ١٤٤) .

(٢٠) في اللسان (رفض) : « يقال : رفض النخل وذلك إذا انتشر عذقه » .

جاءت على غرسٍ طبيبٍ ماهرٍ

عشرين عشرين بذرع وافر

ترى لها بعد إبار الآبرِ

مآزراً تطوى على مآزر[21]

ويقال: « من أراد النخل والأرض فليَغرس على عشرين ذراعا » .

وفي مثل للفرس: « تقول النخلة لاختها: تباعدي عني وأنا أحمل حملك وحملي »

ولعبدالصمد بن المعذل [22] يصف حمل النخل: [من الرجز]

كأنّه في ناضر الأغصانِ

زمرّد لاح على تيجانِ

[١٣٣]

حتى إذا تمت له شهران

وانسدلت عثاكل القنوان

رأيته مختلف الألوانِ

مثل الأكاليل على الغواني[23]

وقال ابن المعتز يصف النخل: [من الرجز]

أعددت للجار وللعفاةِ

روازقاً في المحل مطعمات

---

(٢١) أبر يأبر أبراً وإباراً وإبارةً: والآبر: أصلح . العامل . وفي اللسان (طبيب): « أنشد ثعلب في صفة غراسة نخل: جاءت على غرس طبيب ماهر » .

(٢٢) من شعراء الدولة العباسية، ولد ونشأ في البصرة ومات سنة ٢٤٠هـ . (الاغاني ج١٣ ص٢٢٦ (كتب) وفوات الوفيات ج١ ص٢٧٧) .

(٢٣) الابيات من ارجوزة ذكرت في التشبيهات ص٢٥٩، ونهاية الارب ج١١ص١٢١ .

يظـل فيها الطير ناعمـــات

بألســن كثــيرة اللغــات

كواذب القــول وصادقـــات

ذوات أطــواق مرصعــات

يصفقن فيهـا متنقــلات

تصفيـق نشـوان على الأصـوات

بين حمـــام متهـــدلات

أبدت مـــن الـكافور ضاحـكات

حتى اذا صـرن الى ميقـــات

رحن من الجـوهر موقـــرات

[١٣٤]

بالـــذهب الرطب مـــكللات

ثم تبـــدلن بأوعيـــات

للعســل المــاذي ضامنـــات

بخـالص التبر مقمعـــات(٢٤)

وكان النبي ـ صلى الله عليه ـ يقـــول : إذا جاء الرطب فهنئوني ، واذا ذهب فعزوني » . وقال عليه السلام : « اطعموا نفســاءكم الرطب ، فان الله لو علم شيئاً خيراً منه أطعمه مريم حين نفسـت بعيسى » قيــل :

« يا رسول الله ، ليس في كل أوان يكون » . قال : « فالتمر ، وخير تمركم البرني أهنؤه وأدفؤه المقرور »(٢٥)

---

(٢٤) ينظر التشبيهات ص٢٥٩ .

(٢٥) البرني : ضرب من التمر أصـفر مدوّر ، وهو أجود التمر ، واحدته برنيّة . (اللسان)

وقال أنس بن مالك [٢٦] : أوْلَمَ النبي ـ صلى الله عليه ـ على صفية بتمر وسويق • [١٣٥]

ومن ملح التشبيهات قول بعض الأعراب : [من الطويل]

وتمرٍ كأطفال الزنوج أتوا بها
وقد عمموا بالزبد منها رؤوسها

فما زالت الانياب تفري بطونها
كما فرت الآساد منها فريسها [٢٧]

قوله ـ عز وجل ـ : « ومَثَلُ كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجْتُثَّتْ من فوق الأرض ما لها من قرار » [٢٨].

قيل : هي شجرة الحنظل ، والحال ظاهرة في هذا التأويل ، والعرب تضرب المثل بمرارة الحنظل وخبث طعمه فيقولون : « هو أمَرُّ من الشَّرْي » [٢٩] والشَّرْي : الحنظل • كما يقولون : « أحلى من الأَرْي » [٣٠] وهو العسل • قال الشاعر يصف رجلاً : [من الوافر] [١٣٦]

وله طعمان : أريٌ وشَري
وكلا الطعمين قد ذاق كل [٣١]

---

(٢٦) صاحب رسول الله (ص) وخادمه ، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة • (طبقات ابن سعد ج٧ص١٠) •

(٢٧) فرى : قطع وشق •

(٢٨) سورة ابراهيم ، الآية ٢٦ •

(٢٩) الشري : الحنظل ، وقيل : شجر الحنظل ، وقيل : ورقه ، واحدته : شرية • (اللسان ـ شرى) •

(٣٠) الاري : العسل •

(٣١) في اللسان (شرى) : « ويقال : في فلان طعمان : أري وشري» •

ويقولـــون : « كأنـــه صرايـــة » ، والصّراء[٣٢] : الحنظـــل
ـ أيضا ـ .

وكذلك الهبيد عن أبي عبيدة . وقيل : الهبيد حب الحنظل[٣٣] ، يقال : تهبد الظليم[٣٤] إذا استخرج ذلك ليأكله .

وقال الشاعر : [من المتقارب]

وضرب الجمـــاجم ضَرْبَ الأصم
حنظـــل رامـــة يجني هبيـــدا

وقال ذو الرمة : [من الطويل]

وكائنْ تخطت ناقتي مـن مفـــازةٍ
اليك ومن احـــواض ماءٍ مُسَدَّمِ
بأعقاره القِرْدان هَـزْلى كأنَّهـــا
نوادر صيصاء الهبيـــدِ المحطَّمِ[٣٥]

الصيصاء : قشر حب الحنظل .

وقال ذو الرمة يصف شجرة الحنظل : [من الطويل] [١٣٧]

وفاشيةٍ في الأرض تلقي بناتهـــــا
عواري لا تُكْسَى دروعـاً ولا خِمرا
إذا ما المطايا سُـــفنها لم يذقنهـــا
وإنْ كان أعـــلى نبتها ناعمـاً نضرا

---

(٣٢) الصراية : نقيع مـاء الحنظل ، وقـــال الاصمعي : اذا اصفر الحنظل فهو صراء .

(٣٣) الهبد والهبيد : الحنظل ، وقيل : حبه ، واحدته : هبيدة .

(٣٤) الظليم : الـــذكر من النعـام ، والجمع أظلمة وظلمان . وفي اللسان (هبد) : «يقال : تهبد الرجل والظليم إذا أخذ الهبيد منشجره» . وتهبد الرجل والظليم واهتبدا : أخذاه من شجرته أو استخرجاه للاكل» .

(٣٥) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص٦٣٠ : باعطانه . والاعطان: مبارك الابل ، والعقر : الحوض .

محملجـــــة الأمراس ملساً متونُهـــــا
سقتهاعصارات الثرى فبدت عُجْرا[٣٦]

وقال النبي ـ صلى الله عليه ـ: « مثل المؤمن الذي يقـــرأ القرآن مثل الأُترجة : طيبٌ طعمها ، ذكي ريحها ، ومثل المنافق الـــذى لايقرأ القرآن مثل الحنظلة مرٌ طعمها كريه ريحها[٣٧] .

---

(٣٦) فاشية : كثيرة ، يعني شجرة الحنظل ، وابناتها : الحنظل عواري بلا ورق . المطايا : الابل . سفنها : شممنها . النضر : الحسن . محملجة الامراس : مفتولـــة .. عجر : مستديرة . (ديوان ذي الرمـة ص ١٨٠) .

(٣٧) في رياض الصالحين ص ٣٨٧ : « وعـن أبي موسى الاشعري ـ رضي الله عنه ـ قال : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « مثـل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثـل الاترجـة : ريحهـا طيب وطعمهـا طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمهـا حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة : ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمهامر» . متفق عليه .

سورة النحل

قوله ـ عزوجل ـ : « ولله غيبُ السماواتِ والأرض ، وما أمْر الساعة إلاّ كلمح البَصَرِ أو هو أقرب ، إن الله على كل شيء قدير »[1] [١٣٨]

معنى « أو » في قوله : « أو هو أقرب » البيان عن انه على احدى منزلتين اما لمح البصر واما أقرب . وقيل هو لشك المخاطب ، أى : كونوا منها على هذا الشك . والتشبيه في الآية أبلغ الاشياء في وصف مايخبر عنه بمثل هذه الحال من الوحي والسرعة وقرب زمان الكون . قال الله ـ تعالى ـ في ذكر عرش بلقيس : « قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أنْ يرتدّ اليك طرفُك »[2] أي : قبل ارتداد الجفن على الجفن . وقد كثر في كلامهم واشتهر على ألسنتهم قولهم : « فعل كذا في طرفة عين [١٣٩] ولحظة عين » ، حتى جعلوا اللحظة كناية عن الوقت من الزمان في الخفة والسرعة .

وقد شبهت الشعراء خفوق البرق وهو المثل في السرعة كلمح البصر وقالوا : « أومض البرق » اذا لاح ، و « أومض الرجل » اذا غمز بعينه . فجعلوا هذا الوصف مشتركا بين الحالين لتناسبهما في السرعة وخفة

---

(١) سورة النحل ، الآية ٧٧

(٢) سورة النحل ، الآية ٤٠ .

الحركة . وأنشدني بعض الاشراف لدعبل بن علي[3] من أبيات : [من البسيط]

كيـف السلو لمـن أعضاؤه فـرق
جسم بطوس وقلب دونـه النجف
مـا زلت أكـلأ برقـاً في جوانبـه
كطرفة العين يخبـو ثم يختطـف[4]

[١٤٠]

وأنشدني الامير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر لعبدالله بن المعتز في صفة البازي وسرعة مره : [من الرجز]

يسبق طرفي في السماء ركضا كما رأيت الكوكب المنقضا[5]

وانما قرب أمر الساعة لانه بمنزلة «كن فيكون» . فمن ههنا صح انها كلمح البصر وأقرب . وهو معنى قوله أيضا في موضع آخر : « وما أَمْرُنا الا واحدةٌ كلمح بالبصر »[6] لقوله ـ جل اسمه ـ : « انما قولنا لشيءٍ اذا أردناه أنْ نقول له كن فيكون »[7]

وقال ذو الرمة مخبراً بهـذه الحال من أمر الله ـ عز وجل ـ [من الطويل] [١٤١]

وعينانِ قال الله : كـونا ، فكانتـا
فعولانِ بالألبـابِ ماتفعـل الخمر[8]

---

(٣) هو دعبـل بن علي الخزاعي المتوفى سنة ٢٤٦هـ (الشعر والشعراء ج٢ ص ٧٢٧) .
(٤) ينظر ديوان دعبل ص ١٧٢ وشعر دعبل ص ١٥٠ .
(٥) ينظر ديوان ابن المعتز ص ٢٩٧ .
(٦) سورة القمر ، الآية ٥٠ .
(٧) سورة النحل ، الآية ٤٠ .
(٨) ينظر ديوانه ص ٢١٣ .

الرواية : « فعولان » بالرفع لا غير • وقد أنكر ذو الرمة على من خالف الرفع في خبر حكي عنه(٩) •

وقال آخر متعللاً في طلب الرزق برجاء الله ـ تعالى ـ ومخبراً عن سرعة حكمه وحسن قضائه : [من البسيط]

لا تضرعَنَّ لمخلوقٍ على طمعٍ
فانَّ ذاك مُضرٌ منك بالدينِ
واسترزق الله مما في خزائنه
فانّ ذلك بين الكافِ والنون

تشبيه آخر من هذه السورة : قوله ـ عزوجل ـ : « ولا تكونوا كالتي نَقَضَتْ غَزْلها [١٤٢] من بَعْدِ قوةٍ أنكاثا تتخذون ايمانكم دَخَلاً بينكم أنْ تكونَ أمةٌ هي أرْبى من أمةٍ إنما يبلوكم الله به ، ولَيُبيننَّ لكم يومَ القيامة ماكنتم فيه تختلفون »(١٠)

الأنكاث : الانقاض ، والواحد : نِكْث ، وكل شيءٍ نقض بعد الفتل فهو أنكاث حبلاً كان أو غزلاً • يقال : نكث فلان الحبل ينكثه نكثاً ، والحبل منتكث اذا انتقضت قواه • ويستعار ذلك في نقض العهد وغيره • وأنشدنا محمد بن علي العشاري عن أحمد بن دوست عن اسماعيل الصفار عن احمد بن سعيد [١٤٣] الدمشقي ، قال : انشدنا الامير أبو العباس عبدالله بن المعتز لنفسه : [من الطويل] :

---

(٩) في الاغاني ج ١٦ ص ٢٤٣ : « أخبرني أبو الحسن الاسدي عن العباس بن ميمون ، قال : حدثنا أبو عثمان المازني عن الاصمعي عن عنبسة النحوي قال : قلت لذي الرمة وسمعته ينشد ويقول :

وعينان قال الله : كونا ، فكانتا فعولين بالألباب ما تفعل الخمر

قال : فقلت له : فهلا قلت : فعولان • فقال : لو قلت : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، كان خيرا لك ، انك أردت القدر ، وأراد ذو الرمة : كونا فعولين ، وأراد عنبسة : وعينان فعولان » •

(١٠) سورة النحل ، الآية ٩٢ •

وانَّ الجـديدين اللــذين تضمنـا

فـانَّي باحـداث اليَّ ســراع[11]

همـا أنهضـاني قبـل اذْ أنا ناشيء

وقـد صارعاني بعـد أي صـراعِ[12]

كناقضـةٍ امرارها حـين أحكمـت

قـوى الحبل خرقاء اليـدين صناعِ[13]

وتصـدقك الأنبـاء انْ كنـت سائلاً

وحسـبك ممـا لا ترى بسـماع

قوله تعالى : « تتخذوا ايمانكم دخلاً بينكم ان تكون أمة هي أربى من أمـة » • الدخل : ما ادخل في الشيء على فساد ، وقيل : الدخل الغـل والخديعة • [١٤٤]

قوله : « هي أربى » أي : أكثر عدداً لطلب العز بهم ، وهو «أفعل» من الربا • قال الشاعر : [من الطويل]•

وأســمر خطــيٍّ كأنَّ كعـوبَه

نوى القسب قد أربى ذراعاً على عشر[14]

ومنه : أربى فلان للزيادة التي يزيدها على غريمه في رأس ماله •

---

(١١) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٥٠ : قيادي باحداث •

(١٢) كذا في الاصل ، أما في الديوان : هما انفعاني •

(١٣) الامرار : الحبال الشديدة الفتل • خرقاء اليدين : غير حاذقة • صناع : حاذقة •

(١٤) كذا في الاصل ، اما في ديوان حاتم ص ٤٦ ، واللسان (قسب) •

واســمر خطيا كان كعوبه نوى القسب قد أرمى ذراعا على العشر

القسب : التمر اليابس يتفتت في الفم ، صاب النواة •

أرمى وأربى : لغتان •

قوله تعالى : « انما يبلوكم الله به » أي : يختبركم الله بالامر بالوفاء فالهاء في « به » عائدة على الامر . وتحقيقه أي : يعاملكم معامـــلة المختبر ليقع الجزاء بالعمل . وفي الآية دليل على نهي الذين بايعوا رسول الله عن نقض عهده لقوله تعالى : [١٤٥] « فتزلَّ قدمٌ بعد ثبوتها »(١٥)

(١٥) سورة النحل ، الآية ٩٤ .

سورة الكهف

قوله ـ عزوجل ـ : « وانْ يستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمُهْلِ يَشْوي الوجوه ، بئس الشرابُ وساءت مُرتفقا»[1]

المهل : كل شيءٍ اذيب حتى امّاع عن ابن مسعود • وقيل : هو دُرْدِيُ الزيت[2] ، عن ابن عباس • وقيل : هو الذي قد انتهى حره ، عن سعيد بن جبير • وهو الحميم ـ أيضاً ـ على هذا التفسير • ومنه قوله ـ تعالى ـ « **وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم** »[3]

وأنشد محمد بن يزيد[4] للفرزدق حين نسك : [من الطويل] [١٤٦]

أخاف وراء القبر انْ لم يعافني
أشد من القبر التهابا وأضيقا
اذا جاء في يوم القيامة قائدٌ
عنيف ، وسواق يسوق الفرزدقا[5]

---

(١) سورة الكهف ، الآية ٢٩ •
(٢) في اللسان : « المهل : ما ذاب من صفر أو حديد ، وهكذا فسر في التنزيل ... وقيل : هو دردي الزيت ، وقيل هو العكر المغلي » • ودردي الزيت وغيره : ما يبقى في أسفله •
(٣) سورة محمد ، الآية ١٥ •
(٤) ينظر الكامل للمبرد ج ١ ص ١٠٦ •
(٥) كذا في الاصل والديوان ج ٢ص ٣٩ ، اما في الكامل ج١ ص١٠٦: اذا قادني •

لقد خـــاب من أولاد آدم مـــن مشى
الى النـــار مغـــلول القـــلادة أزرقا[٦]
اذا شـــربوا فيهـــا الحميم رأيتهـــم
يذوبون مـــن حـــر الحميم تمـــزقا[٧]

قوله تعالى : « تشـــوي الوجوه » أي : اذا قـــدم ليشرب انشـــوى الوجه من حرارته ، ويجوز في تسميته بالماء تأويلان أحدهما ان يكون عنى به الماء المطلق الا انه على هذه الصفة التي تزيد في عذاب شاربه• ويجوز أنْ يكون اسم الماء له مستعاراً كقوله تعـالى : [١٤٧] « ويُسْقى مـــن ماءٍ صديد»[٨] فسماه ماء على جهة الاستعارة وليس بماء • والمياه ثلاثة : مـاء مطلق ، وماء مضاف ، وماء مستعار فالمطلق هـــو المتفجر مـــن السحـاب والمنبجس[٩] من ينابيع الارض كماء البحر الذي ذكره النبي ـ صلى الله عليه ـ فقال « هو الطهور ماؤه ، الحلُ ميتته»[١٠]

فهذا هو الماء المطلق الذي ذكرتالشعراء أنها وردته وقافته واستسقته وشامته[١١] واذا أخبر مخبر انه شربه او قطعه او تطهر به لم يلتبس بماء سواه ، وهو الذي تعتوره الصفات [١٤٨] مدحاً وذماً فيقال : عذب وملح،

---

(٦) كذا في الاصل ، اما في الديوان : مشدود الخناقة ، وفي الكامل: مغلول القلادة موثقا •

(٧) كذا في الاصل والكامل ، اما في الديوان :

اذا شربوا فيها الصـــديد رأيتهم يذوبون من حر الصديد تمزقـا

(٨) سورة ابراهيم ، الآية ١٦ •

(٩) انبجس الماء : انفجر •

(١٠) أي : المطهر • (ينظر النهاية ج٣ ص١٤٧) •

(١١) قاف أثـره : تتبعـــه • استسقى : طلب منـــه ما يشـربه ، والاستسقاء : طلب السقيا • شام السحاب أو البرق : نظر اليه لـيرى أين يمطر •

وأجاج[١٢] ونقاخ[١٣] وصاف وطام[١٤] وأزرق وأسمر ، وأخضر وأطحل [١٥]

وقد وصفت العرب في اشعارها جميع ذلك ، وأكثرت من ذكر الماء الذي ترده في سلوك القفار الموحشة والبلاد النازحة ، ووصفه بالتغير والأسونة[١٦] والخبث والاجونة [١٧] ، وبالغت في ذمه وتشبيهه بكل ما يدل على قدم عهده ، وكراهة طعمه ، وقبح منظره ، اشارة الى ماتعانيه من ركوب الاخطار المهولة وتلاقيه في قطع المفاوز المجهولة ، كقول الهذلي : [من الكامل ١٤٩]

ولقد وردت الماء فوق جمامه
مثل الفريقة صُفِيَتْ للمُدنَف
فصدرت عنه ظامئاً وتركته
يهتز غلفقه كأنْ لم يُكشف[١٨]

الفريقة : حلبة تطبخ للنفساء مع حبوب ، فشبّه ماء الفريقة بماء ذلك المكان .

وكقول ذي الرمة : [من الطويل]

وماءٍ كلون الغسْل أحوى فبعضه
أواجن أسدام وبعض مغور

---

(١٢) الاجاج : المر الملح من الماء ، الشديد الملوحة .
(١٣) النقاخ : الماء البارد الصافي الخالص العذب .
(١٤) الطام : الماء الكثير .
(١٥) الأطحل : ما لونه الطحلة ، وهي لون كلون الرماد .
(١٦) أسن الماء : تغير .
(١٧) اجن الماء : تغير ، وخص ثعلب به تغير رائحته .
(١٨) البيتان لابي كبير الهذلي . (ديوان الهذليين ج٢ ص١٠٦) .
والغلفق والعروض والطحلب : الخضرة التي على الماء .

وَرَدْتُ وأرداف النجـوم كأنها

قناديل فيهـن المصابيح تُزهِرُ[19]

وقال أيضا : [من الطويل]

وماءٍ صرى عـافي الثنايا كأنـه

من الأجْنِ أبوال المخاض الضواربِ[20]

وقال الأعشى : [من الخفيف] [150]

وقليبٍ أجْنٍ كـأنّ مـن الزْر

قِ بأرجـائه سـقوط نصـالِ[21]

وقال أيضاً [من الطويل]

وأصفـر كالحنـاءِ داوٍ جمامـه

متى مايذقه فارطو القوم يبصقـوا[22]

وقال ذو الرمة تابعاً لقوله : [من الطويل]

وكـائن تخطـت ناقتي من مفـازةٍ

ومـن نائمٍ عن ليلهـا متزمـلِ

---

(١٩) الغسل : الخطميّ • اسدام : متدفقة (ديوان ذي الرمة ص٢٢٧) •

(٢٠) الصرى : الماء المتغير القائم المحبوس • عاف : دارس • الثنايا : الطرائق • المخاض : الابل الحوامل • الضوارب : أراد المضروبة فرد المفعول الى الفاعل فقال : ضوارب • (ديوان ذي الرمة ص٥٧) •

(٢١) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص٣ :
وقليب أجـن كان مـن الريش بأرجـائه لقوط نصـال
القليب : البئر • النصل : حديد السيف والرمح والسهم •

(٢٢) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٢٢٣ •

وأصفر كالحنـاء طـام جمامـه اذا ذاقه مستعذب المـاء يبصـق

جمام : جمع جمة ، وهو ما اجتمع من الماء •

ومن جـوف ماءٍ عَرمَض الحول فوقـه
متى مايذقــه مائح القــوم يتفــل[٢٣]

وقال ذو الرمة أيضا : [من الطويل]

ومــاءٍ كلونِ السَّخْدِ ليس لجمّــه
سواء الحمام الوُرْقِ عهْدٌ بحـاضرٍ[٢٤]

صرى أسن يزوي له المــرء وجهــهُ
ولو ذاقــه ظمـآن في شــهر ناجرِ[٢٥]

[١٥١] وقال أيضا آخر يصف أرضــاً ظـلّ بهـا واصحابـه :

[من الطويل]

ولمــا امتطينــا صعبهــا وذلولهــا
الى أن حجبنا الشمس دون الســرادق

تقتنــا بفلــذٍ مــن ســرارة قلبها
فحمنا عليــه بين حاسٍ وذائــق

يقول : أصبنا مـاءً قليلا في غامض من هذه الأرض وشبهه بالفلذمن اللحم والكبد لقدمه وتغيـره .

---

(٢٣) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص ٥١٥ : متى يحس منه مائح القوم يتفل .
العرمض : الخضرة التي تعلو الماء ، وهي الرمض والعلق والطحلب ، المائح : الذي ينزل البئر فيملأ الدلو ، والماتح : الذي يجذب الدلو .
(٢٤) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٢٨٨ : وماء كماء السخد ليس لجوفهِ .
السخد : جلدة الولد تنشق عن ماء أصفر . عهد بحاضر : يقـول عهده بعيد ، من حضر .
(٢٥) كذا في الاصل ، اما في الديوان : صرى آجن .
شهر ناجر : تموز ، وهو وقت الحر . قال الفراء في الايام والليالي والشهور ص ١٧ : « ومن العرب من يسمى صفرا : ناجرا ، والتثنية : ناجران ، والجمع : نواجر » .

وقال الآخر :

مستعجلين الى ركي آجن
هيهات عهد الماء بالأمس[٢٦]

وقال علقمة بن عبدة[٢٧] : [من الطويل]

اذا وردت ماءً كأن جمامه
من الأجن حناءٌ معا وصبيب[٢٨]

[١٥٢] فلما كانوا يلجأون الى ورود هذه المياه ويلقون العناء بشربها والكلفة في تناولها ، وكان القرآن قد نزل بلسانهم وعلى ماعهد من شأنهم ، ذكر الله تعالى لهم من العذاب الذي أعده للظالمين مايكون في بعض احوالهم مثال له فيذكرون الكثير باليسير ، والغائب بالحاضر ، فقال تعالى : « إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بِهِم سُرادِقُها ، وانْ يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمُهْل »[٢٩] وقد فسرناه . والسرادق : ثوب يدار حول الفسطاط . قال رؤبة (من الرجز) .

[١٥٣]

يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق العز عليك ممدود[٣٠]

وكما خوفوا بشرب هذا الماء ، فكذلك شوقوا الى انهار الجنة ومائها والى سلسبيلها وتسنيمها[٣١] ليروا ان ذلك أنفس بالقياس الى ما وصفوه في

---

(٢٦) الركية : البئر ذات الماء .
(٢٧) شاعر جاهلي مجيد (ينظر المفضليات ص ٣٩٠) .
(٢٨) كذا في الاصل ، اما في المفضليات ص ٣٩٢ : فاوردتها ، وفي اللسان (أجن) : فأوردها ماء .
جمامه : ما اجتمع منه . الصبيب : شجر يخضب به كالحناء .
(٢٩) سورة الكهف ، الاية ٢٩ .
(٣٠) في اللسان (سرادق) :

يا حكم بن المنذر بن الجارود أنت الجواد بن الجواد المحمود
سرادق العز عليك ممدود

(٣١) في المفردات ص ٢٤٥ : « قيل هو عين في الجنة رفيعة القدر » .

أشعارهم بالصفاء والرقة والخصر[٣٢] واللذة ، اذ كان لايخرج وصفهم عن ماء العيون والسحاب كما قال جابر بن رألان : [من الطويل]

أيا لهف نفسي كلما التحت لوحة
الى شربةٍ من ماء أحواض مادب

[١٥٤]

بقايا نطاف أودع الغيث صفوها
مصقلة الأرجاء زرق المشارب

ترقرق دمع المزن فيهن والتقت
عليهن انفاس الرياح الغرائب

وقال أوس بن حجر[٣٣]: [من الطويل]

فلما استطابوا صب في الصحن نصفه
وجاءوا بماء غير طرْقٍ ولا كدر

بماء سحاب زل عن بطن صخرةٍ
الى متنٍ أخرى طيب ماؤها خصر[٣٤]

استطابوا : شربوا ماء عذبا ، وقيل : شربوا الطابة[٣٥] وهي الخمر اللذيذة ، يقال : « شيء طاب» بمعنى طيب ، وأنشد : [من الرجز]

مبارك الأعراق في الطاب الطاب[٣٦]
ابن أبي العاص وآل الخطاب

[١٥٥] ودليل هذا القول قوله « صب في الصحن نصفه وجاءوا بماء » وانما صبوا الخمر ، ثم سنوا[٣٧] عليها الماء . وقال أبو عبيدة : سألت كثيرا. ما

(٣٢) الخصر : البرد .
(٣٣) شاعر تميم في الجاهلية . (الشعر والشعراء ج١ ص١٣١) .
(٣٤) لم نعثر عليهما في ديوانه .
(٣٥) في القاموس : « الطابة : الخمرة ، وطيبتها : أصفاها » .
(٣٦) الطاب : الطيب .
(٣٧) سن الماء : صبه صبا سهلا .

أشعر بيت قالته العرب ؟» . فقال : قول زهير [من الطويل]

ولما وردن الماء زرقاً جمامه
وضعن عصي الحاضر المتخيم[٣٨]

ويستحسن قول الطرماح[٣٩]: [من الطويل]

وما جلس ابكار أطاع لسرحها
جنى ثمر بالواديين وشوع

بماء سحابٍ غادرته سحابة
كمتن اليماني سل وهو صنيع

بأطيب من فيها اذا ما تقلبت
من الأرض وسنى والعيون هجوع[٤٠]

[١٥٦]

واخذ تشبيه الغدير بالسيف من قول ذي الرمة : [من الطويل]

فما انشق ضوء الفجر حتى تبينت
جداول أمثال السيوف القواطع[٤١]

---

(٣٨) البيت من معلقته . (ديوانه ص ١٣) . الحاضر : الذين حضروا الماء . المتخيم : المقيم .

(٣٩) هو الطرماح بن حكيم المتوفى سنة ١٢٥هـ (الشعر والشعراء ج٢ ص ٤٨٩) .

(٤٠) كذا في الأصل ، اما في ديوان الطرماح ص ١٥٢ وما بعده : بماء سماء .

وشوع : كثير . الجلس : العسل ، وقيل الشديد منه . (ينظر اللسان جلس) .

(٤١) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٣٦٥ : ضوء الصبح .

وقال العباسي ،[٤٢] ونقل معنى التشبيه دون لفظه : [من الطويل]

على جـدول ٍ ريان لا يكتـم القـذا
كأن سواقيـه متـون المبـارد[٤٣]

وله أيضاً : [من الكامل]

وترى الرياح اذا مسحـن غـديره
صقلنـه ونفـين كـل قـذاة ِ
مـا انْ يزال عليـه ظبي كارعٌ
كتطلـع العـذراء في المـرآة[٤٤]

وفي هذا التشبيه مناسبة لقول الآخر : [من الطويل]

لنـا برك مثـل المـرايا تريك مـا
تأخـر في حافاتهـا وتقدمـا

[١٥٧]

اذا عب منهـا شـارب الطـير خلتـه
يَمُـدُ اليـه الفـرخ جيداً ليطعما

وانشدني بعض الطالبين ، ولم يسم قائلا : [من الكامل]

أحسـن بها لججا إذا التبس الدجـى
كانت نجـوم الليـل من حصبائهـا
واذا تنفسـت الصبـا في متنهـا
حكـت الدروع بحسن وشي ردائهـا

---

(٤٢) هو عبدالله بن المعتز .
(٤٣) وقبله :

ظللت بها اسقى سلافـة قهـوة   بكف غزال ذي جفون صوائـد

(ينظر التشبيهات ص ٢٠٢) .
(٤٤) ينظر البيتان في ديوان ابن المعتز ص ٢١٥ .
القذاة : التراب ونحوه مما يسقط في الشراب .

واذا استمن بهـا الهبـوب تطايرت
زهر الكواكـب في بسيط هوائها
وترجحت فيها السماء ولم تزل
خضراؤها ترتج في خضـرائها

واما الماء المضاف فكماء العنب وماء الرمان والورد وماء اللحم •

قال أبو ذؤيب[٤٥] ووصف خمراً : [من الطويل]

عقـار كمـاء النَّيِّ ليست بخمطة
ولا خَلَّةٍ يكوي الشروبَ شهابُها[٤٦]

[١٥٨]

وقال أيضاً وذكر الظبية : [من الطويل]

فسوّد ماء المَرْدِ فاها فلونه
كلون النَّوور وهي أدماءُ سارُها[٤٧]

وقال بعض المحدثين في مخاطبة الدار : [من الكامل]

وكأنما حصباء أرضك جوهرٌ
وكأنَّ ماء الورد قطر نداك

فهذا وما جرى مجراه لايطلق عليه اسم الماء •• وأما الماء المستعار فكقولهم : «ماء الشبيبة و «ماء الدر» و «ماء الصبابة» و «ماء الهوى» كقول ذي الرمة : [من الطويل]

---

(٤٥) هو خويلد بن خالد شاعر فحل مخضرم ، توفي سنة ٢٧هـ (الشعر والشعراء ج٢ ص٥٤٧ والاغاني ج٦ ص٥٦) •

(٤٦) في الأصل : ياوي السرور • قوله : كماء النيء ، أراد في صفائها وهو ماء قطر من اللحم ، وقوله : ليست بخمطة ، والخمطة التي أخذت ريحا ولم تدرك • الخلة : الحامضة • والشروب : الندامى • (ديوان الهذليين ج١ ص٧٢) •

(٤٧) اراد : سائرها • النوور : دخان الشحم يعالج به الوشم • الادماء من الظباء : البيضاء التي تعلوها جدد فيها غبرة ، فاذا كانت الظباء خالصة البياض فهي الارام • (ديوان الهذليين ج١ ص٢٤) •

أداراً بحزوى هجت للعين عبرةً
فمـاء الهوى يرفض أو يترقرق[٤٨]

[١٥٩] ولا ماء للهوى ، وانما أراد استعارة ذهب فيه الى الدموع اذ كانت تكون عن الهوى • وقال أعرابي : [من الطويل]

يهيج عليَّ الشوقَ نوحُ حمامة
دعت شجوها في اثرِ الْفِ تشوّقا
دعت فبكت عينا محب لصوتها
وفاض لها ماء الهوى فترقرقا

وقال ذو الرمة آيضاً : [من البسيط]

أانْ ترسمت من خرقاء منزلة
ماءُ الصبابةِ من عينيك مسجوم[٤٩]

ولا ماء للصبابة ، وانما ذهب الى الدموع ، لانها عنها • وقال المخزومي [٥٠] : [من الخفيف]

وهي مكنونةٌ تحيَّرَ منها
في أديم الخدين ماءُ الشباب[٥١]

[١٦٠] وانما ذهب الى رونقه ورقيقه ، فلما ناسب الماء من هذه الجهة جعله ماء • ويقال « سيف له ماء » يذهب الى فرنده[٥٢] ويقولون:

(٤٨) يرفض : يسيل • يترقرق : يجيء ويذهب • (ديوان ذي الرمة ص٣٨٩) •

(٤٩) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص٥٦٧ : أعن ترسمت • ترسمت : نظرت رسومها • الصبابة : رقة الشوق • مسجوم : مصبوب صبًا •

(٥٠) هو عمر بن أبي ربيعة (تنظر ترجمته في الشعر والشعراء ج٢ ص٤٥٧ •

(٥١) الاديم : الجلد • يريد أن ماء الشباب والفتاء يجري في وجهها• (ينظر شرح ديوانه ص ٤٢٣) •

(٥٢) الفرند : ما يرى في السيف من تموجات الضوء •

« هذا سيف من ماء الحديد » يذهبون الى صفائه ورونقه • قال الشاعر: [من الكامل]

وأبيض من ماء الحديد كأنه
شهابٌ بكفي قابس يتلهب

وقال بعض العرب : [من الطويل]

وما وجد مغلولٍ بصنعاء موثق
بساقيه من ماء الحديد كبول

يقول له الحداد : أنت معذب
غداة غدٍ ، أو مسلم فقتيل

بأكبر مني روعةً يوم راعني
فراق حبيب ما اليه سبيل

[١٦١] وقد جعل الله النطفة ماءً على سبيل الاستعارة ، فقال عز وجل «من ماءٍ دافق»(٥٣)• وقال الشاعر : [من البسيط]

وذات ماءين قد غَيَّضت جمهما
بحيث تستمسك الآماق بالحجر

الماءان : ماء بدنها وماء الفحل في رحمها •

غيضت جمهما : يعني باتعابه اياها حتى ضمرت •

وسمي العَرقُ ماءً على الاستعارة ، قال ذو الرمة :[من الطويل]

اذا القوم راحوا راح فيها تقاذف
اذا عصرت ماءَ المطيِّ الهواجر(٥٤)

ومن أبيات المعاني : [من الطويل]

وأقرى كفسطاط العزيز جعلته
نَجيَّ همومي وهو لا يتكلم

---

(٥٣) سورة الطارق ، الاية ٦ •

(٥٤) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٢٤٧ : اذا شربت ماء • التقاذف : الترامي في السير •

[١٦٢]
وضاحٍ كظلِ النَّسْرِ مَلّكت شلتي
جوانبه والعيس بالماء تهجم

أقرى : طويل القرا ، والناقة قرواء(٥٥)

قوله : « وضاح » يريد ثوبا بارزا للشمس تظلل به • وجعل سلاحه أطنابا لـه •

والعيس بالماء تهجم : أراد العرق ، وهاجرةٌ هجوم : تخرج العرق•

وقال الآخر يذكر فرسا نازل عليها : [من الطويل]

توقف من ماء النفوس ومائه
شريجين مبيضاً وآخر أحمرا
تحدَّر من أقطاره وهو ناصع
فلما علا أرساغه عاد أغبرا

توقف : لبس وقفا ، وهو السوار •

ماء النفوس : يعني الدم [١٦٣]

شريجين : خليطين •

وقال الأعشى يمدح ، وذكر ناقته : [من الطويل]

ألَمَّتْ بأقوامٍ فعافت حياضهم
قلوصي، وكان الشرب منها بمائكا(٥٦)

* * *

رجع بنا القول الى تفسير قوله تعالى : «بئس الشراب وساءت مرتفقا»•

المراد بذم الشراب ، التأكيد في تخويفهم وزجرهم والمبالغة في كفهم وردعهم •

---

(٥٥) جمل أقرى : طويل القرا ، وهو الظهر • قال الجوهري : ناقة قرواء : طويلة السنام ، ويقال للشديدة الظهر : بينة القرا (اللسان – قرا) •

(٥٦) ينظر ديوانه ص ١١ •

وقوله : «مرتفقا» أي : منزلا، كما قال : «انا اعتدنا جهنم للكافرين نُزُلا» [٥٧] . ومرتفقا، على التميز . وقيل : المرتفق : المتكأ من المرفق . قال ذؤيب : [من البسيط][١٦٤]

نام الخليُّ وبتُّ الليلَ مرتفقاً
كأنَّ عينيَّ فيها الصابُ مذبوحُ[٥٨]

---

(٥٧) سورة الكهف ، الآية ١٠٢ .

(٥٨) كذا في الاصل ، أما في ديوان الهذليين ج١ ص١٠٤ واللسان (شجر) : نام الخلي وبت الليل مشتجرا .

الصاب : شجرة مرة لها لبن يمض العين اذا أصابها ، أبيض . مذبوح : مشقوق ، والذبح : الشق .

سـورة الأنبياء

قوله ـ عز وجل ـ : «يوم نطوي السماءَ كطي السجلِ للكتب»[١].

جاء في التفسير : السجل : الصحيفة التي فيها الكتاب . وقال ابن عباس السجل : الصحف تُطوى على ما فيها من الكتابة . وقيل : السجل: ملك[٢]

وقد قريء : « السجل » ـ باسكان الجيم ـ . وقرأ حمزة بن حبيب وعلي بن حمزة الكسائي وعاصم بن بهدلة[٣] في رواية حفص : « كطي السِّجِّل للكتاب» . [١٦٥] وقرأ الباقون : « كطيِّ السِّجِلِّ للكتاب ».

والآية تتضمن ما في تجديد الخلق للجزاء من افنائه ثم اعادته كما يطوى الكتاب على ما فيه ، ثم ينشر للعمل به . وقد استعملت الشعراء اسم الطي في صفات كثيرة استعارة وتشبيهاً ، فمن ذلك قول امريء القيس يذكر الحمار : [من الطويل]

طواه اضطمار الشد فالبطن شاذبٌ
معالى على المتنين فهو خميص[٤]

---

(١) سورة الانبياء ، الاية ١٠٤ .

(٢) في الكشاف ج٣ ص١٠٨ : « وقيل : السجل : ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه . وقيل : كاتب كان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها » .

(٣) ويكنى أبا بكر بن أبي النجود في الطبقة الثالثة من الكوفيين . توفي سنة ١٢٨هـ (الفهرست ص٤٩) .

(٤) طواه : يعني الحمار . الاضطمار : الضمر . الشد : العدو . شازب : ضامرة . معالى : مرفوع . الخميص : الضامر البطن . (ديوان امريء القيس ص ١٨٠) .

وقول ذي الرمة : [من الطويل]

طوى طيَّةً طي الكرى جفنَ عينه
على رَهَبات ٍ من جنان المحاذرِ (٥)

[١٦٦]

وقال ، وذكر راميا : [من الطويل]

طوى شخْصَهُ حتى اذا ما تودفت
على هيلة من كل أوب تهالُها (٦)

وقال جرير (٧) وذكر الخيل : [من الكامل]

وطوى الوجيف مع الطراد متونها
طي التجار بحضرموت برودا (٨)

ومنه قول ذي الرمة : [من الرجز]

وقُلصٍ مقورَّة الجلود عوجٍ طواها طية البرود
تنحي بألحيها رؤوس اليد (٩)

---

(٥) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٢٩٤ : طوى طية فوق الكرى. يقول : اغمض عينيه على نوم قليل ، منجنان المحاذر مما أجنه صدره اي : أخفاه من الخوف . رهبات : مما يرهب (ما لم يره مما) جن عنه أي : ستر .

(٦) طوى شخصه : يعني الصائد ، أي : يقبض . تودفت ، يعني الحمير . الهيلة : الفزع . الأوب : الوجه ، أي : من كل جهة . نهالها : تفزعها . (ديوان ذي الرمة ص ٥٣٧) .

(٧) هو جرير بن عطية ابن الخطفى الشاعر الاموى المتوفى سنة ١١١هـ ، وقيل : سنة ١١٦هـ باليمامة . (ينظر الشعر والشعراء ج١ ص٣٧٤) .

(٨) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ١٧١ :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طي التجار بحضرموت برودا

(٩) في الاصل : شجي . والتصحيح من الديوان . قُلُص : اناث الابل . مقورة : ممكورة ضامرة . عوج : من الهزال . تنحي : أي في السير . (ديوان ذى الرمة ص ١٦٠-١٦١) .

وقال أيضا : [من الطويل]

طوى بطنـــه التوجــاف حتى كأنـه
هلال جلت عنه ظلامـا سحائبه(١٠)

[١٦٧] واقتفى أبو نواس أثرهم أيضا بقوله :

طيّ القــراري الحبر(١١)

وقال في معنى آخر : [من الطويل]

طوى الموت ما بيني وبـــين محمــد
وليس لما تطـوي المنيــة نـاشر(١٢)

وقال الآخر في الغزل : [من الطويل]

إن كان هـــذا منـــك حقــاً فانني
مداوي الـــذي بيني وبينـك بالهجر

ومنصرف عنـــك انصراف ابن حرة
طوى وده ، والطي أبقى من النشـر

وقال العباس بن الاحنف في وصف امرأة : [من البسيط]

شـمس مقـدرة في خلـــق جارية
كأنمـــا كشحها طـي الطوامـير(١٣)

---

(١٠) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص٤٤ : الترجاف ، وهلال بدا وانشق عنه سحائبه .
(١١) القراري : الخياط . الحبر : من الثياب ، الناعم الجديد .
(١٢) ينظر ديوانه ص ٥٨ . والبيت من أبيات في رثاء محمد الامين .
(١٣) كذا في الاصل والتشبيهات ص ١٠٢ ونهاية الارب ج٢ ص ١١٦ ، اما في الديوان ص١١٣ : شمس ممثلة . وفي المحاسن والاضداد : كانما بطنها .
الطامور : الصحيفة ، ج : طوامير .

فهذا الشاعر ممن حاول نقل التشبيه في الاية [١٦٨] فظهرت كلفته وبانت هجنته ؛ وهو من حذاق المحدثين وفصحائهم ، فجمع في تشبيه الواحد وفخم بذكر الطوامير وهو يصف اللطافة ولا سبب لمجانبته الصواب إلا التعرض لآي الكتاب .

سورة الحج

قوله - عزوجل - : « وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون »[1] قيل : المراد من الايام التي خلق الله السماوات والأرض عن ابن عباس .

المعنى : وإنَّ يوما عند ربك من أيام العذاب في الثقل والاستطالة [١٦٩] كألف سنة مما يعدون ، فكيف يستعجلون بالعذاب لولا انهم جهال. وهذا كقولهم : « أيام الحزن طوال ، وأيام السرور قصار » .

أنشدني بعض الاصحاب لشاعر قديم : [من الطويل]

مساؤك سُكْرٌ والصباح خمارُ
نعمت وأيام السرور قصار[2]

والى هذا المعنى أشار ذو الرمة بقوله : [من الطويل]

وما يوم خرقاءَ الذي فيه نلتقي
بنخْسٍ على عيني ولا متطاول[3]

---

(١) سورة الحج ، الآية ٤٧

(٢) قيل : خمرة وخمارها : ما أصابك من ألمها وصداعها وأذاها . وقيل الخمار بقية السكر . (اللسان - خمر) .

(٣) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص٤٩٣ : الذي نلتقي به ، النحس : الغبار ، لقوله : على عيني . وقيل : النحس : الشؤم .

ومنه قول الآخر ـ أيضاً ـ : [من الكامل]

وقصيرةُ الأيام وَدَّ جليسُها
لو دام مجلسها بفقد حميمِ

[١٧٠] وقال شَبْرُمَةَ بن الطفيل(٤) : [من الطويل]

ويوم شديد الحر قصَّرَ طوله
دم الزقّ عنا واصطفاق المزاهر(٥)

ويروى : ويوم كظل الرمح • وليس يريدون بذلك الطول فقط ، ولكنهم يريدون أنّه مع الطول ضيق غير واسع •

وأحسن جرير في تشبيه قصر اليوم بقوله : [من الطويل]

ويومٍ كابهام القطاة محبب
اليّ صباه غالب لي باطله(٦)

ويعرض في قول جرير ما رواه الأصمعي ، قال : قرأت على خلف الأحمر(٧) شعر جرير ، فلما انتهيت الى قوله : [١٧١]

ويوم كابهام القطاة محبب
اليّ صباه ، غالب لي باطله
رزقنا به الصيد الغزير ولم نكن
كمن نبله محرومةٌ وحبائله(٨)

---

(٤) ينظر ديوان الحماسة ج٢ص٧٠٣، وج٣ص١٢٦٩ •

(٥) كذا في الاصل ، أما في ديوان الحماسة ج٣ ص١٢٦٩ : واصطكاك المزاهر • وفي ديوان المعاني ج١ص٣١١ ، واسرار البلاغة ص١١٤ : ويوم كظل الرمح قصر طوله • والبيت منسوب الى ابن الطثرية في الحيوان ج٦ص١٧٩ ، ولم ينسبه أبو هلال في ديوان المعاني •

(٦) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص٤٧٨ : ويوم كابهام القطاة مزين •

(٧) هو خلف بن حيان المعروف بالاحمر ، راوية وعالم بالادب من أهل البصرة • توفي سنة ١٨٠ هـ (معجم الادباء ج٤ص١٧٩) •

(٨) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٤٧٩ : ولم أكن•

فيالك يوم خيره قبل شره
تغيب واشيه وأقصر عاذله[٩]

فقال : ويله ، ما منفعة خير يؤول الى شر ؟ فقلت : هكذا قرأت على أبي عمرو . فقال لي : صدقت ، وكذا قال جرير ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا ما سمع . قلت : فكيف كان يجب أن يقول ؟ فقال : كان الاولى أن يقول : « فيالك يوماً خيره دون شره » ، فاروه هكذا فقد كانت الرواة قديما تصلح من [١٧٢] أشعار القدماء . فقلت : لا أرويه بعدها إلا هكذا[١٠] قال : افعل ذاك ، فإن ابن مقبل كان يقول : إنا لنرسل القوافي عوجا فتأتينا بها الرواة وقد أقامتها .

قال الأصمعي : فقلت لخلف : أي الرجلين عندك أشعر ، جرير أم الأخطل ؟ فقال لي : قال الأخطل : [من الطويل]

وكم قتلت أروى بلا ترة لها
وأروى لفراغ الرجال قتول[١١]

يقول : إن قتلها إيانا لا دية له ولا عقل[١٢] .

وقال جرير في مثل هذا المعنى : [من البسيط]

إن العيون التي في طرفها مرض
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا[١٣]

[١٧٣] فانظر كم بين الكلامين في البلاغة وبين العبارتين في الرشاقة . وانما ذهب الى أن العيون قتلنه ولم يُقَدْ فيها ، ولو اخذ القود منها

---

(٩) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص٤٨٠ : وذلك يوم خيره دون شره .
(١٠) ينظر الموشح ص ١٩٨-١٩٩ .
(١١) شعر الاخطل ص ٢٥٦ .
(١٢) العقل : الدية .
(١٣) ينظر ديوانه ص ٥٩٥ .

لكان ذلك كالحياة لمن قتله ، فنظر في هذا المعنى الى قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة »[١٤] .

قال الأصمعي : فقلت : ففي بيت الأخطل زيادة بقولـه : « وأروى لفراغ الرجال » . فقال : أجل ، هي زيادة ، وقول جرير على ذلك أحلى وأحسن امتاعا للاسماع ، وانما نقل الأخطل هذا المعنى من قول ارسطالس: « العشق شغل [١٧٤] قلب فارغ » .

وقد أكثرت الشعراء في تغزلهم من وصف طول اليوم وقصره بقرب المحبوب وبعده ، كما قال الخزاعي[١٥] : [من الوافر]

يطـول اليــوم لا ألقـاك فيــه
وعـام نـلتقي فيــه قصــيرُ

وقالــوا : لا يضـيرك نــأي شــهر
فقلت لصاحبيَّ : فمــن يضـير[١٦]

وأنشدني بعض أهل البادية لجميل العذري : [من الكامل]

إني لأحفــظ ســركم ويســرني
لو تعلمين ، بصالحٍ أنْ تُذكــري

ويكون يومٌ لا أرى لك مُرْسَــلاً
أو نلتقي فيــه عليَّ كأشــهرِ

يـا ليتني ألقـى المنيــة بغتــةً
إنْ كان يوم لقائــكم لــم يُقْدَرِ

---

(١٤) سورة البقرة ، الآية ١٧٩ .
(١٥) هو كثير بن عبدالرحمن صاحب عزة .
(١٦) ويروى : فما يضير .

[١٧٥]

تقضى الديون وليس ينجز عاجلاً
هذا الغريم لنا ، وليس بمعسر[(١٧)]

وقال الطائي : [من الكامل]

أعوام وصل كان ينسي طولها
ذكرُ النوى فكأنها أيام[(١٨)]

ثم انبرت أيام هجر أردفت
نحوي أسى ، فكأنها أعوامُ

ثم انقضت تلك السنون وأهلها
فكأنها وكأنهم أحلام[(١٩)]

والقليل من هذا الجنس ينوب عن الكثير ، والاطالة في غيره أولى بهذا الكتاب •

وقيل أيضا في قوله تعالى « وانّ يوماً عند ربك كألف سنة » أي : في طول الامهال للعباد لصلاح من يصلح منهم ، فكأنه ألف سنة لطول الاناءة •

وقيل أيضا : ان مقدار [١٧٦] العذاب في ذلك اليوم لشدته وعظمه كمقدار عذاب ألف سنة من أيام الدنيا على الحقيقة ، وكذلك نعيم الجنة بحسبه • والآية تتضمن ما في استعجال الجاهل بالعذاب من اجتلابه البلاء على نفسه ، وما في امهال الله ـ تعالى ـ العباد للصلاح من اغترار الجهال •

---

(١٧) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٣٨ : وليس ينجز موعدا •

(١٨) كذا في ديوان أبي تمام ص ٢١١ ، أما في الاصل :أحلام•

(١٩) كذا في الاصل والديوان ، ولكن الناسخ كتب تحتها : أيام •

ســـورة النور

قوله ـ عزوجل ـ : « اللهُ نورُ السماواتِ والأرضِ ، مَثَلُ نُوره كمشكاةٍ فيها مصباح ، المصباح في زجاجة [١٧٧] الزجاجةُ كأنَّهــا كوكبٌ دريٌّ يُوقَدُ من شجرةٍ مباركة زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ ، يكاد زيتُها يُضيءُ ولو لم تمْسَسْه نارٌ ، نورٌ على نورٍ»(١)

قوله : « نور السماوات والارض » معناه : الحق في السماوات والارض ، كما ان الرجل إذا تكلم بالحق قيل له : « على كلامك نور » • وقيل : هادي أهل السماوات والأرض ، عن ابن عباس • وقيل منــور السماوات والأرض بنجومها وشمسها وقمرها ، عن ابن عبــاس أيضا والحسن •

قوله تعالى : « مَثَلُ نوره » أي : تنويره بالايمان قلوب المؤمنين [١٧٨] فأضاف النور اليه ـ جَلَّ اسمه ـ كما يقولون : « هذا أدب الله» أي : تأديبه •

وقيل : مَثَلُ نور القرآن ، فكنى عنه ولم يجرِ له ذكر(٢)**، كما قال** تعالى : « إنَّا أنزلناه في ليلة القَدْرِ »(٣) ولم يَجْرِ **له ذكر ، وكما قال : « حتى توارت بالحجاب»**(٤) •

---

(١) سورة النور ، الآية ٣٥ •

(٢) الكناية عند القدماء كالفراء في « معاني القرآن » وأبي عبيدة في « مجاز القرآن » ـ كل ما فهم في الكلام من السياق من غير أن يذكــر اسمه صريحا في العبارة •

(٣) سورة القدر ، الآية ١ •

(٤) سورة ص ، الآية ٣٢ •

قال أوس بن حجر : [من الكامل]

وغيَّرها عن وصلنا الشيب آنه
شفيعٌ الى البيض الحسان مجرّب[٥]

يعني : الشباب .

وجائز أن يكون عنى بالنور القرآن نفسه كما قال تعالى : « قد جاءكم من اللهِ نورٌ وكتابٌ مبين »[٦] .

والمشكاة في كلام العرب : الكوَّة لا [١٧٩] منفذ لها . وأنشد : [من الرجز]

تدير عينين لها نجلاوين كمثل مشكاتين مصباحين

وقيل : هي في لسان الحبشة : « الكوَّة »[٧] .

فان قيل : كيف جاز أن تخاطب العرب بذلك مع قوله تبارك وتعالى: « عربي مبين »[٨] . فالجواب : انه جائز اتفاق الاسم الواحد في لغتين لا ينكر مثل ذلك فيما يقع من الوفاق . فقد يقع الوفاق في الأبيات بين الشاعرين فلا ينكر ذلك ، ومثل الوفاق بين أهل اللسانين . ويجوز أن تكون المشكاة من جملة ما أعربته العرب [١٨٠] من اللغات فغيَّرته ونطقت به فصار كلغتها . ومنه قول الحارث بن حلزة[٩] : [من السريع]

---

(٥) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص ٥ :

وغيرها عن وصلها الشيب انه شفيع الى بيض الخدود مدرب

(٦) سورة المائدة ، الآية ١٥ .

(٧) في اللسان (شكا) : « ابن سيده : كل كوة ليست بنافذة مشكاة . قال الزجاج : هى الكوة ، وقيل : هى بلغة الحبش ، قال : والمشكاة من كلام العرب » .

(٨) سورة النحل ، الآية ١٠٣، وسورة الشعراء ، الآية ١٩٥ .

(٩) هو الشاعر الجاهلى صاحب المعلقة التي مطلعها :

أذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء

(ينظر الشعر والشعراء ج١ ص١٢٧) .

لمن الديار عفت بذي الحبْس

آياتها كمهارقِ الفُرْسِ[١٠]

والمهارق : فارسية معربة .

وقال أوس بن حجر : [من الكامل]

نُبِّئْتُ أنَّ بني سُحيم أدْخلوا

أبياتهم تامور نفس المنذرِ[١١]

والتامور : سريانية[١٢] .

وقيل : المشكاة عمود القنديل الذى فيه الفتيلة .

قوله : « يكاد زيتها يضيء » يعني من صفائه ، وهذا من أبلغ الوصف . و « كاد» تجيء للمقاربة كما قال ـ جل اسمه ـ : « يكاد البرقُ يَخْطفُ أبصارَهم »[١٣] .

فأما [١٨١] قوله : « اذا أخرجَ يَدَه لم يكَدْ يراها[١٤] فعلى التقديم والتأخير كقول ذي الرمة : [من الطويل]

إذا غيَّرَ النأيُ المحبين لم يكَدْ

رسيسُ الهوى من حُبِّ ميَّةَ يَبْرحُ[١٥]

---

(١٠) كذا في الاصل ، اما في المفضليات ص ١٣٢، وديوان الحارث ابن حلزة ص٢٤ : لمن الديار عفون بالحبس .
عفون : درسن . الحبس : موضع . اياتها : اعلامها ، المهارق : جمع مهرق بضم الميم وسكون الهاء وفتح الراء وهى الصحف.(المعرب ص٣٠٣ وشفاء الغليل ص ٢٣٩) .

(١١) التامور : الدم ، أي : حملوا دمه الى أبياتهم .(ديوان أوس ص ٤٧ واللسان نفس).

(١٢) في شفاء الغليل ص ٨٢ : « تامور : صبغ أحمر ودم القلب ، وأصل معناه : موضع السر » .

(١٣) سورة البقرة ، الآية ٢٠ .

(١٤) سورة النور ، الآية ٤٠ .

(١٥) الرسيس : الخفي . (ديوان ذي الرمة ص ٧٨) .

يريد : لم يبرح ولم يكد •

الدري عند العرب : الشديد الانارة والاضاءة • نسب الى الدر فشبه صفاؤه بصفائه • وقيل الدري أحد الكواكب الخمسة • وقال الفراء : العرب تسمي الكواكب العظام التي لا تُعرف اسماؤها : الدراري ، بلا همز • وقرأ أبو عمرو والكسائي : دِرِّيٌ ، بكسر الدال والهمز • وقال أبو عبيدة : الدّرّيء [١٨٢] من قولهم : « درأ الكوكب »[١٦] اذا جرى في أفق السماء من موضع الى موضع • وقرأ حمزة : دُرّيء ، بالضم والهمز • وطعن الفراء على قراءته • وقال : ليس في كلام العرب : « فُعّيل » الا أن يكون أعجمياً لقولهم مُرّيق[١٧] •

قال أبو عبيدة : لم يغلط حمزة في هذه القراءة ، والحجة أنه أراد : « دُرّوء » على مثال : « سُبّوح » و « قُدّوس » فاستثقل الواو والضمة فعدل بالواو الى الياء ، والضمة الى الكسرة • وقرأ بعضهم : دُرّيٌ فلا تجوز في هذه القراءة الا النسبة • قال النبي ـ صلى الله عليه ـ في صفة [١٨٣] الدجال : « احدى عينيه عوراء لا حدقة لها ، والاخرى كأنها كوكب دُرّيٌ »[١٨] •

فأما تشبيه الزجاجة بالكوكب فهو زيادة في صفة نور المصباح واضاءته ومبالغة في نعت اشراقه وتألقه • وقد شبهت الشعراء النجوم بالمصابيح، والمصابيح بالنجوم ، وكذلك النار على البعد ، وأكثروا في تشبيه النجوم بالدر وشبهوا أيضا الدر بالنجوم ، فاما تشبيهه بالمصابيح فكقول امريء القيس : [من الطويل]

---

(١٦) في معاني القرآن ج٢ص٦٦ : « بغير همز أي :مضيء ، ويراد كالدر اذا ضممت اوله ، فان كسرت جعلته فعّيلاً من درأت وهو من النجوم الدراريء اللاتي يدرأن » •

(١٧) ينظر معاني القرآن ج٢ص٢٥٢ ، والنهاية لابن الاثير واللسان (درر) •

(١٨) في النهاية ج٢ص١١٣ : « ومنه حديث الدجال : احدى عينيه كأنها كوكب دري » •

نظـــرت اليهـــا والنجـــوم كأنهـــا
مصابيحُ رُهبانٍ تُشَبُّ لقفّـالِ[19]

[184]

وكقول أرطاة بن سُهيَّة : [من الطويل]

إذا كانت الشعْـــرى العَبـــورُ كأنّهـــا
مُعَلَّـــقُ قنديلٍ عليه الكنائس
ولاح سُهيـــلٌ مـــن بعيدٍ كأنّـــه
شهابٌ يُنحّيه من الريح قابس[20]

وتناول المحدثون هذا التشبيه فقال ابن المعتز وقرن به غيره : [من الكامل]

والصبح يتـــلو المشتـــري فكأنّـــه
عُريان يمشي في الدجى بسراجِ[21]

وقال أيضا في تشبيه الكواكب بالدر : [من الطويل]

كأنَّ نجوم الليلِ في فحمة الدجى
رؤوس مداري ركبت في معاجـر[22]

وشركه في المعنى وبعض العبارة واقتصر على تشبيه [185] الشعرى عبدالعزيز بن عبدالله بن طاهر فقال : [من الرجز]

واعترضَتْ وَسْط السماء الشعرى كأنّها ياقوتةٌ في مدرى[23]

---

(١٩) أي : نظرت الى هذه المنار تشب لقفال ليلا والقناديل كأنها مصابيح رهبان . (الديوان ص ٣١) .

(٢٠) ينظر ديوان المعاني ج١ص٣٣٨ ، وكتاب التشبيهات ص ٨ .

(٢١) ينظر ديوانه ص٢٦٢ ، والتشبيهات ص ١٥ .

(٢٢) ينظر التشبيهات ص ٧ .

(٢٣) ينظر ديوان المعاني ج١ ص٣٣٨ ، والتشبيهات ص٧ .

وقد شبه بعض المولدين النجوم والثريا تشبيهاً أبدع فيه فقال : [من مجزوء الكامل]

وترى النجوم المشرقات كأنها در العصابه

وترى الثريا وسطها وكأنها زرد الذؤابه[٢٤]

وقد قال يزيد بن الطثرية[٢٥] في تشبيه نجوم الثريا : [من الطويل]

إذا ما الثريا في السماء كأنها

جُمان وهي من عِقدِه فتبددا[٢٦]

وقال آخر وذكر امرأة : [من الطويل] [١٨٦]

أتتْنا بليلٍ والنجوم كأنها

قلائدُ درٍ حُلَّ عنها نظامها[٢٧]

وقال آخر : [من الخفيف]

ورأيت السماءَ كالبحر إلا

ان مرسوبه من الدر طافِ[٢٨]

وقال أبو العتاهية :

أما ترون الثريا كأنها عقد ريّا[٢٩]

---

(٢٤) البيتان لمخلد الموصلي . (ديوان المعاني ج١ ص٣٣٥) .

(٢٥) هو يزيد بن سلمة من شعراء بني امية ، توفي سنة ١٢٦هـ . (الشعر والشعراء ج١ص٣٤٠، ووفيات الاعيان ج٢ص٢٩٩).

(٢٦) كذا في الاصل وديوان المعاني ج١ص٣٣٤، اما في التشبيهات وخزانة الادب ج٤ص٤١٧ : من سلكه فتبددا .

(٢٧) كذا في الاصل، اما في ديوان المعاني ج١ص١٣٣ : سرينا بليل والنجوم كأنها . وفي التشبيهات ص ٤ :

اذا ما بلغت والثريا كأنها قلادة در سل عنها نظامها

(٢٨) ينظر ديوان المعاني ج١ص٣٣٣ .

(٢٩) لم نعثر عليه في ديوانه .

وقال آخر : [من الطويل]

وليلٍ رقيق الطرتين كأنما
ترود به الأنفاس مِسكاً مضوَّعا

كأنَّ الثُريا فيه درٌّ تقاربتْ
مساقطه من سلكه فتجمعا

ولعبد بني الحسحاس[30] وذكر امرأة فشبه عقود نحرها[187] بنجوم الثريا وقرن بها تشبيهاً آخر فقال : [من الطويل]

كأنَّ الثريا علقت فوق نحرها
وجمر غضىً هبَّتْ له الريح ذاكيا[31]

ويحتمل هذا البيت أيضاً وصف نحرها بالانارة وان كان عاطلا كما قال الفَزاري يمدح رجلاً : [من الطويل]

كأنَّ الثريا علقت فوق نحره
وفي أنفه الشعرى وفي خده القمر

وتأكيد الوصف بذكر الجمر ، والعرب تصف الجارية فتشبهها بالنار ويقولون : كأنها شعلة نار ، وأنشد من أبيات المعاني : [من الطويل]

وشعثاء غبراء الفروع منيفة
بها توصف الحسناء أو هي أجمل

دعوت بها أبناء ليل كأنهم
وقد أبصروها معطشون قد انهلوا

---

(٣٠) ويكنى أبا عبد الله ، قتل في زمن عثمان ، وقيل في حدود الاربعين من الهجرة . (ينظر الشعر والشعراء ج١ ص٣٢٠ ، ومقدمة ديوانه ص ٥)

(٣١) ينظر ديوانه ص ١٧ ، والتشبيهات ص٩٥ .

[١٨٨] وقال جميل في تشبيه النار على البعد بالكوكب ، وتروى لكثير : [من الطويل]

رأيت وأصحابي بأيلةَ مَوْهِناً
وقد غاب نجمُ الفرقدِ المتصوِّبُ

لعزةَ ناراً ما تبوخ كأنَّها
إذا ما رمَقْناها على الأفق كوكبُ(٣٢)

قوله ـ عزوجل ـ : « توقد من شجرة مباركة » ويقرأ : « يوقد » فمن ذكّر عنى المصباح ، ومن أنّث عنى الزجاجة ، وقيل في قوله : «مباركة» انه ليس في الشجر شيء يورق غصنه من أوله الى آخره مثل الزيتون والرمان قال الشاعر : [من الخفيف]

بورك الميّت الغريب كما
بورك نضح الرمان والزيتون(٣٢ب)

[١٨٩]

قوله تعالى : « لا شرقية ولا غربية » أي : لا يسترها عن الشمس في وقت من النهار شيء ، فهي شرقية غربية والشمس تصيبها بالغداة والعشي فهو أنضر لها وأجود لزيتها . وقال الحسن : « لا شرقية ولا غربية » أي : انها ليست من شجر الدنيا انما هي من شجر الجنة .

تشبيه آخر من هذه السورة : قوله ـ عزوجل ـ : « والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يَحْسَبُه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يَجدْه شيئاً ، ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب »(٣٣) [١٩٠] .

القيعة : جمع قاع ، مثل : جار وجيرة ، والقيعة والقاع ماانبسَطَ من

---

(٣٢) كذا في الاصل ، اما في ديوان كثير ج١ص٩٥ : من البعد كوكب . ايلة : جبل بين مكة والمدينة . (معجم البلدان) .

تبوخ : تخمد

(٣٢ب) البيت لابي طالب بن عبدالمطلب . وسيمر ذكره في ص٢٧٢ من هذا الكتاب .

(٣٣) سورة النور ، الآية ٣٩ .

الأرض ولم يكن فيه نبات • والذي يسير فيه يرى كأنه ماء يجري ، وذلك هو السراب الا انه يرتفع في وقت الضحى كالماء بين السماء والأرض •

قوله : « يحسبه الظمآن ماءاً » : يجوز : « يحسِبه » و « يحسَبه » ويجوز : «الظمْآن» و «الظمان» بتخفيف الهمز •

قوله : « حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً » أي : إذا جاء الى موضع آخر لم يجده شيئاً ، أي : إذا جاء الى موضع السراب رأى أرضاً لا ماء فيها، فاعلم الله ـ سبحانه ـ ان الكافر [١٩١] الذي يظن ان عمله قد نفعه عند الله كظن الذي يظن ان السراب ماء فان عمله حبط[٣٤] وذهب ، فضرب الله هذا المثل للكافر فقال : إن أعمال الكفار كهذا السراب يظن انه الماء وليس به •

وقال ذو الرمة في تشبيه السراب بالماء : [من الطويل] •

كأنَّ مطايانا بكل مفازةٍ
قَراقيرُ في موجٍ من الآل تَسبَحُ[٣٥]

وقال الأعشى فوصفه بصفة الماء : [من الطويل] •

وخَرْقٍ مخوفٍ قد قطعتُ بجسرةٍ
اذا خَبَّ آل وسطه يترقرق[٣٦]

---

(٣٤) حبط : بطل •

(٣٥) كذا في الاصل ، اما في ديوانه ص ٩٢: قراقير في صحراء دجلة تسبح •

(٣٦) الخرق : الصحراء الواسعة تنخرق فيها الريح أي يشتد هبوبها الجسرة : الناقة الضخمة • الآل : السراب • خب : خفق واضطرب • يترقرق : يجيء ويذهب • (الديوان ص١١٨ ط بيروت) •

وقال شبيب بن البرصاء[٣٧] : (من الطويل) [١٩٢] •

ومغبــرّة الآفــاق يجري سرابهــا
على أكمهــا قبــل الضحى يتموّج

وقال الراجز : [من الرجز] •

وبلــدةٍ يسير جاري آلهــا   يرى بها العوهق في وآلهــا
كالنارِ جرَت طرفي حبالهــا   لولا حديث النفس لم أُبالها[٣٨]

العوهق : النعامة •

أي : قد عظم شخصها في الآل فهي كالناقة • ويقــول : لولا ان يُتحدث اني جبان لم أسلك هذه الأرض •

وقال أيضا ذو الرمة : [من الوافر] •

وســاحرةِ الســرابِ من المــوامي
ترقّصُ في عســاقلها الأُروم[٣٩]
يمــوت قطــا الفــلاةِ بهــا أواماً
ويهلِكُ في جوانبهــــا النســيم

---

(٣٧) شاعر اسلامي بدوي من شعراء الدولة الاموية • (ينظــر الاغاني ج١١ ص ١٧١) •

(٣٨) العوهق من النعام : الطويل • وفي اللسان (عهق) معــان كثيرة لها •

(٣٩) كذا في الأصل ، أما في الديوان ص٥٩١ : وساجرة ــ بالجيم ــ أي مملوءة من السراب • ومعنى ساحرة ــ بالحاء ــ ان هذه الموماة يسحر عيون سرابها لان السراب يخيل الى العين • الاروم : جبال صغار وهي الأعلام •

[١٩٣]

بهـا غُدُرٌ وليس بهـا بَـلالٌ
وأشباحٌ تجـول ولا تريم[٤٠]

وقال آخر : [من الطويل]

وقلتـم لنا كفـوا الحـروبَ لعلَّنـا
نكف ووثقتـم لنـا كـل موثقِ
فلما كَفَفْنا الحرْبَ كانت عهودُكم
كلمـع سـرابٍ بالمـلا متألـقِ[٤١]

لعل جاءت ههنا على غير شك ، ومنه قوله تعالى : « يا أيّها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقـون »[٤٢] أي : لتتقوا . تكون « لعل » بمعنى لام كي .

وقال بشر بن المُعْتَمر[٤٣] في هجاءٍ يذكر الاغترار بالسراب أيضا : [من الكامل] .

غلطاً لمن حسب السـراب بقفـرةٍ
مـاءً ترقرق وَسْـطَ قاعٍ قرقر

[١٩٤]

فأراقَ نطفتـه وأمعن نحـوه
والآل لمـا يَـدْنُ أو يتـأخر

---

(٤٠) تجـول ـ بالجيم ـ : تجـول وما تبرح . ما تريم : أي ما تبرح من مكانها . ومن رواها بالحاء : أراد تأتي اليها بأحوال . لان السراب يحركها (ينظر ديوانه ص٥٩٢) .

(٤١) الملاة : فلاة ذات حر ، والجمع : ملا . وقيل : الملا واحد وهو الفلاة .

(٤٢) سورة البقرة ، الآية ٢١ .

(٤٣) صاحب البشرية ، وقد انتهت اليه رياسة المعتزلة ببغداد ، وانفرد عن أصحابه المعتزلة في بعض المسائل . توفي سنة ٢١٠هـ (الملل والنحل ج ١ ص ٦٤ ، وينظر الحيوان ج ٦ ص ٢٨٣ وما بعدها) .

وقال آخر : [من الخفيف] •

كالذي غرّه السراب بما خيّل حتى هراقَ ما في السقاء

قوله ـ عزوجل ـ : « أو كظلمات في بحرٍ لُجّي »(٤٤) يعني : ان اعمال الكافرين انْ مُثّلت فمثلها كالسرابِ الذي ليس بشيء • أو كهذه الظلمات التي وصف ؛ لانه تبارك وتعالى لما وصف نوره الذي هو للمؤمنين ، أعلم ـ تعالى ـ ان قلوب الكافرين وأعمالهم بمنزلة الظلمة •

قال الطائي : [١٩٥] [من الكامل]

في ليلةٍ فيها السماء مضرة

سوداء مظلمة كقلبِ الكافرِ

وكما وصف ـ جل اسمه ـ النور بأبلغ ما يكون من الوصف وكذلك أيضا وصف الظلمة فجمع في الوصف بين الليل والسحاب وتراكب أمواج البحر ، وهو أشد ما يكون من الظلمة • وكذلك شبّه امرؤ القيس بموج البحر في قوله : [من الطويل]

وليلٍ كموجِ البحر مُرخٍ سدولَه

عليّ بأنواع الهمومِ ليبتلي(٤٥)

وقال تعالى : « ظُلمات بعضها فوق بَعْضٍ »(٤٦) كما قال تعالى : « نُورٌ على نورٍ »(٤٧) •

---

(٤٤) سورة النور ، الآية ٤٠ •

(٤٥) البيت من معلقته • (ينظر ديوانه ص ١٨) •

(٤٦) سورة النور ، الآية ٤٠ •

(٤٧) سورة النور ، الآية ٣٥ •

ســـورة النمل

قوله ـ عزوجل ـ : « وألْقِ عصاكَ ، فلما رآهـا تهتزُ [١٩٦] كأنَّها جانٌ ولّى مُدبِراً ولم يُعَقِّبْ يا موسى لا تخفْ إني لا يخافُ لديَّ المرسَلون »[١] •

الاهتزاز : شدة الاضطراب في الحركة ، وللحيوان حركة تدل عليه إذا رُؤي عليها لا يشك في انه حيوان بها وهي التصرف بالنفس مع كون الشيء على البنية الحيوانية • وهذه الحال تنفي ما ادّعاه بعض الملحدة في العصا • وأصل العصا : الامتناع : يقال : عصى ـ يَعْصي إذا امتنع ، قال الشاعر : [من الكامل]

تصفُ السيوفَ وغيرُكم يَعْصي بها
يا ابن القيون ، وذاك فِعْلُ الصيقلِ[٢]

فاما قوله تعالى : « فألقى عصاه فاذا هي ثُعبانٌ مبين »[٣] [١٩٧] الى قوله : « فاذا هي تَلْقَفُ ما يأفكون »[٤] •

الثعبان : الحية الضخم الطويل ، وأصله من ثعبت الماء أثعبه ثعباً[٥]

(١) سورة النمل ، الآية ١٠ •
(٢) البيت لجرير (ينظر ديوانه ص ٤٤٧) •
(٣) سورة الاعراف ، الآية ١٠٧ •
(٤) سورة الاعراف ، الآية ١١٧ •
(٥) ثعب الماء والدم ونحوهما ، يثعبه ثعباً : فجره فانثعب كما ينثعب الدم من الانف •

إذا فجرته فسمي بذلك ؛ لانه يجري كجري الماء عند الانفجار • ومعنى « مبين » أي : بيّن انه حيّة • واما تشبيهها بالجان فالمراد به انها في اهتزازها وخفة حركتها وسرعتها كالجان وهي في صورة الثعبان • والافك : الكذب، وذلك انهم زعموا ان حبالهم وعصيهم حيات وانما قيل انهم جعلوا فيها الزئبق وصورها صور الحيات فاضطرب الزئبق ؛ لانه لا يستقر ، فلما ألقى [١٩٨] موسى عصاه بلعت عصيهم وحبالهم • قال الشاعر أنشده أبو عبيدة : [من السريع] •

أنت عصا موسى التي لم تزل
تلقف ما يأفكه الساحر

وقرىء : « تَلَقَّفُ » و « تَلْقَفُ » مخففة ومثقلة[٦] • وقيل : في تشبيهها بالجان معنى آخر ، وذلك ان الحية إذا هَرِمت صغُرت في بدنها وخفت في حركتها وكان المراد انها في صورة الثعبان القديم الذي قد تضاءل جسمه ولطفت اجزاؤه وهو أعظم للآية وأغرب في المعجز • قال الشاعر يصف الحية : [من الرجز] [١٩٩] •

داهية قد صغرت من الكبر　　طويلة الاطراف من غير خَفَر[٧]
كأنها قد ذهبت بها الفكر　　شُقّت لها العينان طولاً في شتر[٨]
مهروتة الشدقين حولاء النظر　　جاء بها الطوفان أيام زَخَر[٩]

---

(٦) الأصح أن يقول : مثقلة ومخففة حسب الترتيب المذكور •
(٧) كتب الناسخ فوق (خفر) : قصر •
الاطراف : مصدر أطرف ، وهو أن يطابق ما بين الجفنين •
(٨) الشتر : انقلاب جفن العين من أعلى وأسفل وتشنجه •
(٩) الهرت : شق الشيء للتوسع ، وهو جذب الشدق نحو الاذن أيضا •
(ينظر الحيوان ج ٤ ص ١١٩ وديوان المعاني ج ٢ ص ١٤٥ ، والتشبيهات ص ٥٦) وقد نسبها النويري في نهاية الارب ج ١ ص ١٤٥ الى خلف الأحمر •

وفي نحو هذه الصفة قول أعرابي قديم : [من الرجز] :

لاهُمَّ إنْ كان أبو عمرو ظلم فابعثْ له في بعض أعراض اللِمم[10]
لَميمة من حنش أعمى أصم قد عاش حتى هو لا يمشي بدم[11]
فكلما أفضل فيه الجوع شم كأنَّ صوتَ نابه إذا انتظم
وخزة أشفى في عطوف من أدم[12]

وهم يصفونها على العموم بالضؤولة واللطافة [٢٠٠] إذا بالغوا في صفتها كما قال النابغة : [من الطويل]

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلة
من الرُقْشِ في أنيابها السمُّ ناقعُ[13]

الا ان التأويل المأثور في الآية ما تقدم ، وقد شبهت الشعراء الحيات وآثارها بالحبال والعصي • ونحو ذلك قول الشاعر : [من المتقارب]

ومن حَنَشٍ لا يُجيب الرقا
ةَ أرقشَ ذي حُمَةٍ كالرشا[14]

---

(١٠) كذا في الاصل ، أما في اللسان (حنش) : فاقدر له •

(١١) الحنش : الحية ، وقيل : الافعى ، وبها سمي الرجل حنشا • وفي الحديث : « حتى يدخل الوليد يده في فم الحنش » أي : في فم الأفعى • (النهاية ج١ ص٤٥٠ ، واللسان (حنش)) •

(١٢) في الحيوان ج ٤ ص ١١٩ انها لشاعر جاهلي •
اللمم : ـ بالفتح ـ ما يلم بالانسان من شدة •

(١٣) ضئيلة : أفعى دقيقة اللحم • ساورتني : أوثبتني • الرقش : الواحدة رقشاء التي فيها نقط بيض وسود • الناقع : القاتل ، الثابت • (ديوان النابغة الذبياني ص ١١٠) •

(١٤) كذا في الاصل والحيوان ج٤ ص١٧٩ ، أما في التشبيهات ص٥٣ : ذي جمة • الحمة : ابرة الحية • الرشاء : الحبل •

أصمَّ سـميعٍ طويل السـبا
ت ِ مُنْهَرتِ الشَّدْقِ عاري القرا(١٥)

وقال الآخر : [من الوافر]

كأنَّ مزاحف الحيّـات فيهـا
قُبيـل الصـبح آثـارُ السـياطِ(١٦)

[٢٠١] وقال ذو الرمة : [من الطويل]

ومن حَنَشٍ ذَعْفِ اللعابِ كأنّه
عـلى الشَّرك العاديّ نِضْوُ عِصام(١٧)

وقال وذكر الناقة : [من الطويل]

رجيعةِ أسـفارٍ كأنّ زمامَهـا
شُجاعٌ على يُسْرى الذراعين مُطْرِق(١٨)

ومثله قول حُميد بن ثور(١٩) : [من الطويل]

---

(١٥) كذا في الاصل و ص١٨٠ ج٤ من الحيوان ، أما في الحيوان ج٤ ص ١٧٩ : عـاري النسا ، والنسا ـ بالفتح ـ عرق • وفي التشبيهات ص ٥٣ :

أصم صموت طويل السبا ت منهرت الشدق عاري القرا

(١٦) كذا في الاصل والحيوان ج٤ ص١٧٥ ، أما في التشبيهات ص٥٧ والمخصص ج١٦ ص١٠١ : كأن مزاحف الحيات فيه • وفي نهاية الارب ج١٠ ص ١٤٦ : كأن مزاحف الحيات وهنا • والبيت للمتنخل الهذلي • (شرح أشعار الهذليين ج٣ ص ١٢٧٣) •

(١٧) الحنش : الأفعى • الذعف : القاتل بسرعة • الشرك العادي : الطريق القديم • النضو : الدقيق • العصام : حزام فم القربة ، شبه الافعى بخيط القربة • (ديوان ذي الرمة ص ٦٠٦) •

(١٨) رجيعة أسفار : معاودة أسفار • شجاع : حية • مطرق : ساكن لا يتحرك • (ديوان ذي الرمة ص ٣٩٤) •

(١٩) شاعر مخضرم قضى الشطر الأكبر من حيـاته في الاسـلام • (الشعر والشعراء ج١ ص ٣٠٦ ، ومقدمة ديوانه) •

فلما أَتَتْه أنشبَتْ في خِشاشِه

زِماماً كشيطانِ الحماطةِ محكما[٢٠]

شديداً توقّيه الزمامَ كأنما

بَراها أعضّتْ بالخِشاشة أرقما[٢١]

تشبيه آخر من هذه السورة : قوله ـ عز وجل ـ : « وترى الجبال تَحْسَبُها جامدةً وهي [٢٠٢] تمر مَرّ السحاب »[٢٢] يريد ان الجبال من هولِ ذلك اليوم وما ظهر من أمر الله تعالى فيه تزول عن مواضعها فلا يكونُ لها قرار ولا ثبات ، فأخبر بذلك عن شدة الأمر عند النفخ في الصور وبعث الأموات من القبور • والصور عند أهل اللغة جمع « صورة »[٢٣] ينفخ فيها روحها فتحيا • وجاء في التفسير ان الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل ـ والله أعلم ـ • وعلى هذا التأويل تكون الجبال زائلة عن مواضعها بذلك النفخ حتى تمر مَرّ السحاب ، وتصير لهذه الحال كالعهن[٢٤] في الخفة [٢٠٣] والذهاب قال الله تعالى : « وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ المنفوش »[٢٥] • ومعنى قوله ـ جَلّ اسمه ـ : « تحسبها جامدة » أي : كأنّها غير زائلة لتناسب سيرها واستواء مرّها •

قال الأعشى يصف امرأة بوقار المشي والحركة : [من البسيط]

كأنّ مشيتَها من بيتِ جارتها

مَرُّ السحابةِ لا رَيْثٌ ولا عجل[٢٦]

---

(٢٠) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص١٣ : كثعبان الحماطة •

(٢١) الخشاش والخشاشة : عود يعرض في أنف البعير يعلق فيه الزمام •. يقول : اذا اخشت المرأة بهذه البرة فكأنها حية تعضه • (ديوان حميد ص ١٣) •

(٢٢) سورة النمل ، الآية ٨٨ •

(٢٣) في اللسان (صور) : « وأما أبو علي فالصور هنا عنده جمع صورة » •

(٢٤) العهن : الصوف المصبوغ • (مفردات الراغب ص٣٥١) •

(٢٥) سورة المعارج ، الآية ٩ ، وسورة القارعة ، الآية ٥ •

(٢٦) ينظر ديوان الأعشى ص٥٥ ، والتشبيهات ص١٠٠ •

وأراد الآخر وصف هذه الحال فقال وغَيَّرَ التشبيه : [من الرجز]

مالك لا تذكر أو تزور   حوراء بين حاجبيها نورْ

تمشي كما يطرد الغدير

وهو من قول امريء القيس : [من الطويل]

سُموَّ حبابِ الماء حالاً على حالِ[٢٧]

وأنشدت لبعض المحدثين [٢٠٤] في صفة رقاص : [من الوافر]

إذا اختلس الخطى واهتز لينا

رأيت لرقصه سحراً مبينا

ترى الحركات منه بلا سكونٍ

فتحسبها لخفتها سكونا

وقال ابن مقبل : [من البسيط]

يَهْزُزْنَ للمشي أوصالاً منعمةً

هَزَّ الجنوب ضحى عيدان يبرينا[٢٨]

يمشينَ هَيْلَ النقا مالت جوانبه

ينهال حيناً وينهاه الندى حينا[٢٩]

يقال : هلت الشيء فانهال والمصدر : الهيل . وفي الحديث : « كيلوا ولا تهيلوا »[٣٠] . وكل ما أرسلته ارسالاً من رملٍ أو تراب أو طعام فقد

---

(٢٧) وصدره : سموت اليها بعدما نام أهلها (ينظر ديوانه ص٣١) .

(٢٨) كذا في الاصل والديوان ص ٣٢٧ والشعر والشعراء ج ١ ص ٣٦٨ ، أما في التشبيهات ص١٠٠ : هز الجنوب معا . وفي الحماسة البصرية ج٢ ص٩٠ : يهززن للمشي أعطافا منعمة .

يبرين : موضع ، قال السكري : باعلى بلاد بني سعد ، وفي كتاب نصر : يبرين من اصقاع البحرين . وقيل قرية من قرى حلب . (اللسان : برن ومعجم البلدان (يبرين)) وصف اهتزاز النساء وتثنيهن في مشيهن ، وشبه ذلك باهتزاز الشجر .

(٢٩) كذا في الاصل والحماسة البصرية ، أما في الديوان والشعر والشعراء والتشبيهات : وينهاه الثرى حينا .

(٣٠) ينظر الحديث في النهاية لابن الاثير ج٥ ص٢٨٨ ، وفيه ان قوما شكوا الى الرسول (ص) سرعة فناء طعامهم فقال : آتكيلون أم تهيلون ؟ قالوا : نهيل . قال : « فكيلوا ولا تهيلوا » .

حلته . قال الله تعالى : [٢٠٥] « يومَ ترْجُفُ الأرض والجبال وكانت الجبالُ كثيباً مهيلا »(٣١) .

وقد شبهت الناقة ونحوها في سرعة السير بالسحابة . قال لبيد وذكر ناقته : [من الكامل]

فلها هِبابٌ في الزِمام كأنَّها
صهباء راح مع العشيَ جَهامُها(٣٢)

الصهباء : السحابة القليلة الماء فهي لخفتها سريعة .

---

(٣١) سورة المزمل ، الآية ١٤ .

(٣٢) كذا في الأصل ، أما في الديوان ص٣٠٤ ، وشرح المعلقات للزوزني ص١٢٥ : صهباء خف مع الجنوب جهامها .

هباب : نشاط . الجهام : المطر الذي لا ماء فيه . شبه ناقته بعد كلالها بهذه السحابة ، فكيف كانت قبل كلالها ؟ .

سـورة العنكبوت

قوله ـ عز وجل ـ : « مَثَلُ الذين اتخذوا من دون اللهِ أولياءَ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإنَّ أوْهَنَ البيوتِ لَبيتُ العنكبوت لو كانوا يعلمون »[1] .

الاتخاذ : افتعال [٢٠٦] من الأخذ . والعنكبوت : يذكر ويؤنث[2].

قال الشاعر : [من الوافر]

علـى هَطَّالهم منهم بيـوتٌ
كأنَّ العنكبوتَ هـو ابتنـاها[3]

وتجمع العنكبوت : عناكب ، ويقال فيه : العَنْكِباء .

ومعنى الآية : ان مَنْ عبد غير الله فقد اتخذ ولياً من دونه لا ينفعه ولا يضره ، فكان في اتخاذ ذلك كالعنكبوت في اتخاذها بيتاً لا يجنها[4] من شيء ، ولا يكنها[5] من حر ولا برد . قال الفرزدق في هجاء جرير يفخر عليه : [من الكامل]

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٤١ .

(٢) في اللسان (عنكب) : « قال الفراء : العنكبوت انثى وقد يذكرها بعض العرب . والتانيث في العنكبوت أكثر والجمع : العنكبوتات والعناكب . وقال ابن الاعرابي : العنكب : الذكر ، العنكبة الانثى . وقيل : العنكب جنس العنكبوت وهو يذكر ويؤنث » .

(٣) الهطال : من هطل الغمام اذا سح : اسم جبل . (ينظر البيت في معجم البلدان (هطال) واللسان (عنكب) .

(٤) جن الشيء : استتر .

(٥) كن الشيء : ستره وغطاه .

إنَّ الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنـا
بيتاً دعـائمه أعَـزُّ وأطْوَلُ[٦]

[٢٠٧]

بيتاً زُرارة مُحْتَبٍ بفِنـائِه
ومجاشعٌ وأبو الفوارس نهشلُ
لا يحتبي بفِنـاء بيتـك مِثلهم
أبداً إذا عُدَّ الفَعالُ الأفْضَلُ
ضَرَبَتْ عليك العنكبوتُ بنَسْجِها
وقَضَى عليكَ به الكتابُ المُنْزَلُ

يقول : بيتكم في الوهن والضعف كبيت العنكبوت الذي وصفه الله تعـالى .

وقال ذو الرمة يذكر دلواً أرسلها في ركيةٍ[٧] : [من الطويل]

فجاءت بنَسْجٍ من صَناعٍ ضَعيفةٍ
ينوس كأخلاقِ الشفوفِ ذعالِبه[٨]
هي انتسجته وَحْدَها أو تعاونَتْ
على نَسْجِه بين الثِابِ عناكِبه[٩]

ومن مستحسن تشبيهاته التي تدخل في هذا الباب [٢٠٨] قوله في وصف الظليم[١٠] : [من الطويل]

---

(٦) ينظر ديوان الفرزدق ج٢ ص١٥٥ .
(٧) الركية : البئر ذات الماء ، ج : ركايا وركي .
(٨) صناع : حاذقة بالعمل ، يعني العنكبوت . ينوس : يتحرك . الشفوف : الثياب الرقاق ، الواحـد : شف . الذعالب : ما تمزق من الثوب . (ديوان ذي الرمة ص ٥٠) .
(٩) في الديوان : المثاب ، وهو : مقام الساقي .
(١٠) الظليم : ذكر النعام .

وَبيضٍ رفعنا بالضحى عن متونها

سماوةَ جَونٍ كالخِباءِ المقوَّضِ [11]

هجومٍ عليهـا نَفْسَـه غـير أنَّه

متى يُرْمَ في عينيه بالشَخْصِ يَنْهضِ [12]

يُصَرِّفُ للأصوات من كل جانبٍ

سِماخاً كبيتِ العنكبوتِ المغمضِ [13]

وقال الحكمي [14] وذكر الخمر : [من المنسرح]

هَتَكْتُ عنها والليـل منسدلٌ

مُهَلْهَلَ النَّسْجِ مالـه هُدُبُ [15]

من نَسْجِ خَرقاءَ لا تُشَدُّ لهـا

آخِيَّـةٌ في الثرى ولا طُنُبُ [16]

وقال البحتري وناسب بين نسـج العنكبوت وبين الغرض في تشبيه جنس من الثياب : [من الكامل] [٢٠٩]

أين الدَّبيقي الذي سمدت لـه

أيدي النسـاء فجاء طـوع المغزلِ

---

(١١) وبيض : يعني بيض النعام ٠ جون : أسود ، يعني الظليم وهو ذكر النعام ٠ السماوة : شخصه ٠ رفعناه : فزعناه فقام عن بيضه ٠ الخباء : البيت ٠ المقوض : الذي هلك وقلعت أوتاده ٠ (ينظر ديوانه ص ٣٢٤) ٠

(١٢) كذا في الأصل ، أما في الديوان : بالشبح ينهض ٠

(١٣) أي : يقلب سماخه يمينا وشمالا يسمع للأصوات ٠ والسماخ : جوف الاذن من داخلها ٠ شبه سماخ الظليم ببيت العنكبوت ٠

(١٤) هو أبو نواس ٠

(١٥) كذا في الاصل ، أما في ديوان أبى نواس ص٤ : والليل معتكر٠ هتكت عنها : كشفت ومزقت ٠ مهلهل النسج : رقيقه ٠ الهدب : خمل الثوب ٠ معتكر : شديد الظلمة ٠

(١٦) خرقاء : حمقاء ٠ آخية : الطنب ، والطنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت ٠

والشَّرْبُ إذ يحكي برقة نسجه

نسج العناكب في المكان المهملِ

عَدْلُ الهواء إذا صفت أقطاره

وأرقه نَسْمُ الخريف المقبلِ

فكأنه عَرَضٌ يقوم بنفسه

في غير ما جسمٍ له متقبلِ

قوله تعالى : « لو كانوا يعلمون » متصل بقوله : « اتخذوا » أي : لو علموا أنَّ اتخاذ الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتاً ضعيفاً ، ليس انهم لايعلمون أنَّ بيت العنكبوت ضعيف ، وذلك ان بيت العنكبوت أضعف البيوت التي يتخذها الهوام ، وأقلها وقاية ، فكذلك أولياؤهم في [٢١٠] الضعف والوهن وعدم النفع لهم ودفع الضرر عنهم •

ســـورة الاحزاب

قوله ـ عز وجل ـ : « فاذا جاءَ الخوفُ رأيْتَهم ينظرون اليـكَ تدورُ أعينُهم كالذي يُغْشَى عليه من الموتِ »[1] .

يعني قوماً من المنافقين كان النبي ـ صلى الله عليه ـ إذا أمرهم بالقتال وأن يستعدوا له نظروا اليه شاخصة أبصارهم متغيرة ألوانهم ، فشبههم في خوفهم من الحرب بالخائف من الموت . أي : ينظرون اليك يا محمد إذا أمرتهم بأخذ الأهبة للحرب كما ينظر المغشي [٢١١] عليه من الموت . وهذا التشبيه أبلغ في وصف الخائف من جميع الأوصاف وأوقع التشبيهات لمثل هذه الحال .

وقال النابغة في نحو ذلك من تشبيه حال الخائف ، وذكر امرأة : [من الكامل]

نظرتْ اليك بحاجةٍ لم تَقْضِها
نظرَ المريضِ الى وجـوه العُوَّدِ[2]

أي : نظرت نظر خائف ، وأرادت كلامك فلم تقدر على ذلك وهو حاجتها .

قال العقيلي : [من الطويل]

(١) سورة الاحزاب ، الآية ١٩ .
(٢) كذا في الأصل ، أما في الديوان ص٥٣ : نظر السقيم .

أرَدْنَ الـــكلام فاتقت من رقيبهـــا

فمـــا كان إلاّ وأمْهـــا بالحواجبِ (٣)

وأخذ ابن الرومي لفظ النابغة فقال في تشبيه الشمس [٢١٢] عنـد غروبها وأغرب في الوصف : [من الطويل]

إذا رنَّقتْ شمس الأصيل ونفَّضتْ

على الافق الغـربيَ وَرْساً مزعزعا (٤)

وودعتِ الدنيـا لتقضيَ نَحْبَهـــا

وشـوّل باقي عمرهـا فتَشَعْشَعَا (٥)

ولاحظت النوّار وهي مريضـــةٌ

وقد وضعت خـداً الى الارض أضرعا (٦)

كما لاحظت عوادَه عينُ مُدْنَفٍ

توجَعَ من أوصابه ما توجّعـــا

وقيل في قوله تعـالى : « قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المعوِّقين منكم » (٧) وهم عبدالله بن أبي سلول وأصحابه ، وكانوا يوم الخندق يعوّقون المؤمنين عن المقام مع رسول الله ــ صلى الله عليه ــ والله أعلم • [٢١٣]

---

(٣) وامم : وافق •

(٤) كذا في الأصل والتشبيهات ص١١ ، اما في ديوانه ص٣٠٠ : وقد رنقت •

(٥) كذا في الاصل والديوان ، أما في التشبيهات : وتشعشعا •

(٦) كذا في الاصل والديوان ، أما في التشبيهات ص١٢ : خداً على •

(٧) سورة الاحزاب ، الآية ١٨ •

سورة سبأ

قوله ـ عز وجل ـ : « يَعْملون له ما يشاء من محاريبَ وتماثيلَ وجفانٍ كالجوابي وقدورٍ راسياتٍ »[1] •

المحاريب : شريف البيوت ، ولذلك سمي المحراب الذي يُصَلَّى فيه ؛ لانه أشرف موضع في الدار •

قوله تعالى : « كالجوابي » أكثر القراءة على الوقف بغير ياء ، وكان الأصل الوقف بالياء الا ان الكسرة تنوب عنها فكانت بغير ألف ولامٍ ، الوقف عليها بغير ياء فادخلت الألف و[اللام] ونُزِّلَ الكلام على ما كان عليه قبل دخولهما • والجوابي [٢١٤] جمع جابية ، وهي الحوض الكبير •

قال الأعشى : [من الطويل]

نفى الذَّمَّ عن آل المُحلَقِ جفنةٌ
كجابيــةِ الشيخِ العراقي تَفْهقُ

ترى القومَ فيها شارعينَ وتحتهــم
من النسل ولدان مع القوم دَرْدَق[2]

وقال لبيد بن ربيعة : [من الكامل]

(١) سورة سبأ ، الآية ١٣ •

(٢) كذا في الأصل ، أما في الديوان ص ٢٢٥ :

ترى القوم فيها شارعين ودونهم   من القوم ولدان من النسل دردق

شرع الرجل في الماء : شرب بكفيه أو تناوله بفمه • (ينظر تعليق المبرد على البيت الاول في الكامل ج١ ص٧) •

ويكلّلون إذا الرياحُ تناوحَتْ

شرعاً تُمَدُّ شوارعاً أيتامُها[٣]

وقال سُويد بن أبي كاهل[٤] : [من الرمل]

وإذا هاجَتْ شمالاً أطعموا

في قدورٍ مُشبعاتٍ لم تُجَعْ

وجفانٍ كالجوابي مُلئت

من سمينات الذُرى فيها ترَعْ[٥]

وقال أبو خراش الهذلي[٦] : [من البسيط] [٢١٥]

كابي الرماد عظيمُ القِدْرِ جفنته

حين الشتاء كحوضِ المَنهَلِ اللقِفِ[٧]

وقال ذو الرمة : [من الطويل]

فما مَرْبَعُ الجيرانِ إلاّ جفانُكم

تبارون أنتم والرياح تباريا

---

(٣) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص٣١٩ ، وشرح المعلقات السبع ص٤٦ : خلجا تمد . والبيت من معلقته .

يكللون : ينضدون اللحم بعضه فوق بعض . تناوحت : واجه بعضها بعضا . تمد : يزاد فيها . شوارعا : شارعة وهي منصوبة على الحال . وايتامها : مرفوع بشوارع . خلجا : جفانا واسعة تشبه الخلجان .

(٤) شاعر مخضرم عاش الى ما بعد سنة ٦٠هـ . (الشعر والشعراء ج١ ص ٣٣٤) .

(٥) البيتان من قصيدة ذكر بعضها ابن قتيبة في الشعر والشعراء ج١ ص ٣٣٤ ، والقصيدة في المفضليات ص١٩٠ ، وهي في ١٠٨ أبيات .

الذرى : الأسنمة . النزع : الامتلاء .

(٦) هو خويلد بن مرة نهشته حية فمات في زمن عمر بن الخطاب (رضي) . (الشعر والشعراء ج٢ ص ٥٥٤ ، وديوان الهذليين ج٢ ص١١٦ ، والاغاني ج٢١ ص ٨٦) .

(٧) كابي الرماد : عظيم الرماد . المنهل : الذي ابله عطاش . الحوض اللقف : الذي يتهدم من أسفله . (ديوان الهذليين ج٢ ص١٥٦ ، والاغاني ج٢١ ص٩١) .

لَهُنَّ إذا أصبحْنَ منهم أحفّةٌ
وحين ترون الليل أقْبَلَ جائيا[8]

رجالٌ ترى أبناءَهم يَخْبِطونَها
بأيديهم خَبطَ الرباع الجوابيا[9]

وقال الراعي[10] وذكر امرأة أضافها : [من الطويل]

فباتت تعدُّ النجمَ في مُسْتَحيرةٍ
سريع بأيدي الآكلين جُمودُها[11]

مستحيرة : قد تحير فيها الدسم فهي ترى النجوم فيها .

وقال حسان بن ثابت[12] : [من الطويل] [٢١٦]

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعن في الدجى
وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دَما[13]

وقال الآخر ، وذكر قوماً : [من الطويل]

ثقال الجفان والحلوم رَحاهم
رحى الماء يكتالون كيلاً غَذَمْذَما[14]

---

(٨) الاحفة : جمع حفاف . يقول : انهم يحفون بالجفان يأكلون صباحا ومساء .

(٩) يقول : انهم يخبطون الجفان . الرباع : أولاد الابل في الربيع، الواحد : ربع . (ديوان ذي الرمة ص ٦٥٩-٦٦٠) .

(١٠) هو الراعي النميري المتوفى سنة ٩٠هـ . (الشعر والشعراء ج١ ص٣٢٧ ، ومقدمة الدكتور ناصر الحاني في شعر الراعي النميري وأخباره) .

(١١) فباتت تعد النجم : أخبار عن أم خنزر بن أقرم الذي قال الراعي أبياته فيه . (شرح ديوان الحماسة ج٣ ص ١٥١٠ ، وشعر الراعي ص ٦٩) .

(١٢) هو حسان بن ثابت من بني النجار ثم من الخزرج ، وهو شاعر الرسول (ص) . (الشعر والشعراء ج١ ص٢٢٣ ومقدمة ديوانه) .

(١٣) ديوان حسان ص ٢٢١ .

(١٤) البيت لشقران مولى سلامان . (ينظر ديوان الحماسة ج٤ ص ١٦٠٢) . ثقال الجفان : مطاعيم في الخصب والجدب . الغذم : الأكل بسرعة ، ومنه الغذمذم .

قال أبو عبيدة : كان لعبدالله بن جدعان جفنة يأكل منها القائم والراكب وقد روى ذلك المدائني وذكر انه وقع فيها صبي فغرق . وذكر الكلبي وغيره قال : أصابت قريشاً أزمة فخرج هاشم بن عبد مناف[15] بالغرائر تحمل الابل من الكعك[16] وجمع ذلك في الجفان وطبخ لحوم الابل فصبها عليه [217] فكان أول خصبهم فخرج أميَّة بن عبد شمس يتكلف بعض ذلك فعجز عنه فسخرت منه رجالات قريش فدعاه ذلك الى منافرة هاشم فأبى هاشم المنافرة لفضله وسنه حتى ذمرته[17] قريش فأبى إلا على أنْ يُنْفَى المنفَّر من الحرم عشر سنين فنافره على ذلك ، فقَدُمَ هاشم عليه ، فقال بعض شعراء قريش : [من الوافر]

تكلف هاشم ما ضاق عنه
وأعيا أن يقوم به ابن بيض
أتاهم بالغرائر متأقات
من أرض الشام بالبر النقيض
فأوسع أهل مكة من ثريد
أشاب الخبز باللحم الغريض
وظَلَّ القوم بين مكللاتٍ
من الشيزى جوانبها تفيض[18]

وفي هاشم يقول ابن الزبعرى[19] : [من الطويل]

---

(15) واسمه عمرو بن عبد مناف . (تنظر سيرة ابن هشام ج 1 ص 136 ، ويراجع كتاب الروض الانف للسهيلي) .

(16) الكعك : الخبز اليابس . (ينظر العين ص 76 واللسان) وقيل : انه معرب . (ينظر المعرب ص 297) .

(17) ذمر . حض ، أو تهدد .

(18) الشيزي : شجر تتخذ منه الجفان . ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج1 ص76 (ط بيروت 1960م) .

(19) هو عبدالله بن الزبعرى السهمي القرشي شاعر قريش في الجاهلية . كان شديدا على المسلمين الى أن فتحت مكة وهرب الى نجران فقال فيه حسان أبياتا فلما بلغته عاد الى مكة فأسلم واعتذر ومدح النبي فأمر له بحلة . (الاغاني ج1 والاعلام ج4 ص218) .

له بفِنـــاء البيت دهماء جونـــة

تلقَّمُ أوصـال الجزور العرائرِ (٢٠)

بقية قِدْرٍ من قدور تُوُرِثَتْ

لآل الجُلاح كابراً بعـــد كابرِ

تظل الاماءُ يبتـــدرن قديحهــا

كما ابتدرتْ سَعْدٌ مياهُ قراقرِ (٢١)

وقال الفرزدق وذكر طارقا : [من الطويل]

بَعَثْتُ لــه دَهْماءَ ليست بلقحةٍ

تدرَ إذا ما هَبَّ نَحْسٌ عقيمُها (٢٢)

كأنَّ المَحالَ الغُرَّ في حجَراتها

عذارى بدت لما أصيبَ حميمها (٢٣)

غضوباً لحيزوم النعامة أجْمَشَتْ

بأجوازِ خُشْبٍ زال عنها هشيمُها (٢٤)

[٢١٩]

محضَرة لا يُجْعَلُ السترُ دونهـا

إذا المرضع العوجاء حال بريمُها (٢٥)

---

(٢٠) الأبيات في ديوان النـــابغة الذبياني ص ١٠٣ وهي في مدح النعمان ، ونسبها أبو تمام في ديوان الحماسة ج٤ ص١٧٠١ الى النابغة أيضـا .

(٢١) دهماء جونة : أي قـــدر . الجزور : ما يجزر . العراعر - بالضم - الضخم السمين وجمعه : عراعر - بالفتح - يبتدرن : يتسابقن. قراقر : موضع فيه ماء لقضاعة . القديح : فعيل بمعنى مفعول وهو المرق المقدوح .

(٢٢) كذا في الاصل ، أما في الديوان ج٢ ص٢٥٤ : ليس بناقة .

(٢٣) كذا في الاصل ، أما في الديوان : عذار .

(٢٤) لم يذكر في الديوان .

(٢٥) لم يذكر في الديوان .

وقال بعض الأسديين : [من الطويل] :

وسوداءَ لا تُكْسى الرقاعَ نبيلةٍ
لها عند قرات العشيات آزْمَلُ

إذا ما قريناها قِراها تضمنت
قِرى من عَراها أو تزيد فتُفْضِلُ(٢٦)

وقال آخر : [من الطويل]

وراكدةٍ عندي طويل صيامُها
قسمْتُ على ضوء من النار مُبصرِ(٢٧)

طُروقاً فلم أُفْحِشْ وقسَمْتُ لحمها
اذا اجتنب العافونَ لحم العَذوَرِ(٢٨)

وقال آخر وذكر ضيفاً طرقه : [من الطويل]

نصبنا له جوفاءَ ذات ضَبابةٍ
من الدُهمِ مبطاناً طويلاً ركودُها

[٢٢٠]

فان شئْتَ أثويناك في الحي مُكْرَماً
وإنْ شئْتَ بلّغناك أرضاً تريدُها(٢٩)

---

(٢٦) كذا في الاصل ، أما في ديوان الحماسة ج٤ ص ١٥٧٣ : من عرانا • أراد بالسوداء : قدرا ، ولا تكسى الرقاع : في موضع الصفة لها • وجعلها مكسوة قناعا لان الرقعة والرقعتين لا تكفي في سترها لعظمها وانما تستر القدور لشدة الزمان بل تعطل لضيق الاحوال • نبيلة : عظيمة الشأن • القرة : البرد •

(٢٧) كذا في الاصل ، أما في ديوان الحماسة ج٤ ص ١٦٧٩ : عتبى•

(٢٨) البيتان لزيد بن حصين (شرح ديوان الحماسه ج٤ ص١٦٧٨)• يعني بالراكدة : قدراً لانتصابها وبقائها على الأثافي • الصيام : القيام •

(٢٩) نصبنا له جوفاء : يعني به قدراً كثيرة الأخذ واسعة الجوف • الضبابة : ما يتعقب المطر من الظلمة الرقيقة والسحاب الركيك • ويروى: ذات صبابة ، وهي البقية • الدهم : السود • المبطان : العظيم البطن • (ينظر شرح ديوان الحماسة ج٤ ص١٦٤٣) •

وقال آخر وذكر ضيفاً طرقه : [من الطويل]

وقُمْتُ بنصل السيفِ والبركُ هاجدٌ
بهازرُه والموت في السيف ينظرُ
فأعْضَضْتُه الطولى سناماً وخيرها
بلاءً ، وخير الخير ما يتخيّرُ
وباتتْ رحابٌ جونةٌ من لحامها
وفوها بما في جوفها يتغرغرُ (٣٠)

وقال مسكين الدارمي (٣١) : [من الوافر]

كأنَّ قدورَ قومي كُلَّ يومٍ
قبابُ التركِ ملبسةُ الجلالِ
كأنَّ الموقدينَ بها جمالٌ
طلاها الزفتَ والقطرانَ طالي (٣٢)
بأيديهم مغارفُ من حديدٍ
أُشبِّهُها مقيّرةَ الدوالي (٣٣)

[٢٢١] وقال آخر : [من الطويل]

وقدْرٍ كجوفِ الليل أجمشْتُ غليها
ترى الفيلَ فيها طافياً لم يُفصَّلِ (٣٤)

---

(٣٠) البهازر : السمان ، واحدتها بهزار . أعضضته الطولى سناما : عرقبتها به وجعلته يعض عليها . ومعنى خيرها بلاء : يعني في العمل والولادة وغزارة الدر . وقوله وباتت رحاب : يعني القدر . الجونة : السوداء . وفوها يتغرغر : يسيل ما في جوفها يعني عند غليانها : (شرح ديوان الحماسة ج٤ ص ١٦٤٩) .

(٣١) هو ربيعة بن انيف الدارمي شاعر اسلامي . (الشعر والشعراء ج٢ ص ٤٥٥ ، والاغاني ج١٨ ص ٦٨ ، وخزانة الأدب ج١ ص ٤٦٥) .

(٣٢) في شرح ديوان الحماسة ج٤ ص ١٧٠٦ : كأن الموقدين .

(٣٣) تنظر في شرح ديوان الحماسة ج٤ ص ١٧٠٦ .

(٣٤) لم نعثر على قائله . ولعل الصحيح : أجشمت .

ونحوه في الافراط قول الآخر : [من الطويل]

ترى البازلَ البختي فـوق خـوانه
مقطعـةً أعضـاؤه ومفاصِـلُه[٣٥]

وقال عمرو بن أحمر[٣٦] : [من الطويل]

ودُهْمٍ تُصاديها الـولائدُ جلَّـةٍ
إذا جـهلت أجـوافها لم تحلـمِ
ترى كل هِرْجابٍ لجوجٍ لهمـةٍ
زَفوفٍ بشلو النّابِ هوجاء عيْلَمِ
لها لَغَـطٌ جنـح الظـلام كأنّه
عجارِفُ غيْثٍ رائـحٍ متهـزّمِ
إذا رَكَدَتْ حول البيوتِ كأنمـا
ترى الآل يجري عن قنابل صُيَّمِ[٣٧]

[٢٢٢] يقول : ألاترى الاهالة[٣٨] تجري من هذه القدر كما يجـري السراب عن متون الخيل •

---

(٣٥) البازل : الجمل أو الناقة في تاسع سنيه • البختي من الابل ، جمعه بخاتي •

(٣٦) هو عمرو بن أحمر الباهلي من شعراء الجاهلية الذين أدركوا الاسلام وغزا مغازي الروم وتوفي على عهد عثمان (رضي) • (الاصابة ت٦٠ وخزانة الأدب ج٣ ص٣٨) •

(٣٧) في الاصـل : تصادينـا ، واخوانها ، وكأنهـا ترى الآل • والتصحيح من شرح ديوان الحماسة • الدهم : القدور السود • تصاديها : تداريها • الولائد : الجواري • الجلة : الكبار العظام • جهلت أجوافها : غلت • لم تحلم : لم تسكن • الهرجاب : الضخم الثقيل • اللجوج : هي التي اذا استعرت النار تحتها لجت • زفوف بشلو الناب : أي لسعتها ترمي جوانبها باشلاء الناب وتزف بها • الزفيف : ضرب من السير • الهوجاء : التي كأن بها هوجا وجنونا • العيلم : الواسعة الكثيرة الأخذ • اللغط : الصوت • العجارف : شدة وقوع المطر وتتابعه • يريد انه هبت الريح فيه وصار له هزمه أي : صوت • ركدت : نصبت • القنابل : الجماعات من الخيل واحدها : قنبلة • الصيم : جمع صائم ، وهو القائم • (ينظر شرح ديوان الحماسة ج٤ ص١٧٢٠) •

(٣٨) الاهالة : ما أذبت من الشحم، وقيل : الاهالة: الشحم والزيت•

وقال أبو ذؤيب : [من الطويل]

لنا صرمٌ يُنْحَرْنَ في كُلِّ شتوةٍ
إذا ما سماء الناس قَلَّ قطارُها
وسود من الصيدانِ فيها مذانبٌ
نضارٌ إذا لم نستفدها نُعارُها[٣٩]

وقال آخر : [من الطويل]

تجيش بأوصالِ الجزور قدورنا
إذا المَحْلُ لم يرجعْ بعودين حاطبه

وأنشدني الجبلي المرقاشي : [من الطويل]

لنا من عطاء اللهِ دهماء جونة
تناول بعد الأقربين الأقاصيا
جعلنا ألالاً والرجام وطخفة
لها فاستقلت فوقهن أثافيا[٤٠]

[٢٢٣] وأنشدني للفرزدق يهجو عقبة بن جيار المنقري[٤١] : [من البسيط]

لو أنَّ قِدْراً بكت من طول محبسها
على الحفوفِ بكت قِدْرُ بن جيّارِ[٤٢]

---

(٣٩) صرم : قطع من ابل ، الواحدة صرمة ، وهي ما بين العشر الى العشرين . القطار : الامطار ، الواحد : قطر . الصيدان : قدور . فيها مذانب : مغارف . نضار : من شجر النضار ، والنضار ما طال من شجر الأثل واستقامت غصونه . اذا لم نستفدها نعارها : أي اذا لم يشتروها أخذوها من غيرهم عارية . (ينظر ديوان الهذليين ج١ ص٢٧) .

(٤٠) ألال : جبل بعرفات ،
الرجام : جبال ، وقيل : هضبات حمر .
طخفة : جبل أحمر طويل .

(٤١) في ديوان الفرزدق ج١ ص٣٢٦ : « يهجو عقبة بن جيار مولى لبني حدان بن قريع » .

(٤٢) كـذا في الأصل ، أما في الديوان : من طـول ما حبست . على الحفوف . الحفوف : قلة الدسم ، وحف الرأس : شعث وبعد عهده بالدهن .

ما مَسّها دَسَمٌ مُذْ فُضَّ مَعْدِنُها

ولا رَأَتْ بعد نارِ الكيرِ من نارِ[٤٣]

وأنشدني لأبي نواس في قدر الرقاشي : [من الطويل]

يَغَصُّ بحيزوم البعوضة صدْرُها

ويُنْضِجُ ما فيها اتقادُ ذُبالِ[٤٤]

وتغلي بذكْرِ النار من غيرِ حرِّها

ويُنزلها الطاهي بغير جعالِ[٤٥]

ولو جئْتَها ملأى عبيطاً مجزّلاً

لأخْرَجْتَ ما فيها بغير خِلالِ

وحدثني ـ أيضاً ـ قال : سأل يحيى بن خالد أبا الحرب خميد عن طعام رجل فقال : أما مائدته فمِقَثّة[٤٦] ، وأما صحافه فمنقورة من حب الخشخاش[٤٧] وبين الرغيف والرغيف نقد جوزة ، [٢٢٤] وبين اللون واللون فترة نبي . قال : فمن يحضره ؟ قال : الكرام الكاتبون[٤٨] .

---

(٤٣) كذا في الأصل ، أما في الديوان : ولا رأت بعد عهد القين . الكير : جلد ينفخ فيه الحداد ، ج : أكيار وكيرة .

(٤٤) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص ٥٢٧ : بحيزوم الجرادة .

(٤٥) الجعال : الخرقة ينزل بها القدر . وفي الأصل :

يغص بحيزوم البعوضة صدرها   وينزلها عفواً بغير جعالِ
ولو جئتها ملأى عبيطاً مجزلاً   لأخرجت ما فيها بعود خلالِ

(٤٦) المقثة : خشيبة مستديرة عريضة يلعب بها الصبيان .

(٤٧) الخشخاش : نبات ثمرته هشة تحمل حبوبا . وقال صاحب القاموس : « هو أصناف ، وكله مخدر منوم مبرد » .

(٤٨) في البخلاء للخطيب البغدادي ص٧٧ : « بلغني ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يألفه ، عنه ، وقال له قائل : صف مائدته . فقال : هي فتر في فتر ، وصحافه منقورة من حب الخشخاش ، وبين نديمه والرغيف نقدة جوزة . قال : فمن يحضره ؟ قال : الكرام الكاتبون » .

ونقيض هذه الحكاية ما حدثنيه سالم بن المُحسّن عن ابن خلاد قال : سُئل رقبة بن مصقلة عن مأدبة حضرها فقال : أُتينا بخوان كأنه جَوْبة(٤٩) من الأرض ، ورُقاق(٥٠) كآذان الفيلة ، وجرجير كآذان المعزى ، ثم أُتينا بساكبة الماء كأنّ ظهرها طائر قرطاسي ، وبفالوذٍ رعديدٍ(٥١) كأنّ الزئبق والجادي(٥٢) ينبعان من خلاله ، ترى النقش من تحته .

وأنشدني قول الشاعر في ابن جدعان : [من الوافر] [٢٢٥]

له بفِناء مكةَ مُشْمَعِلٌ
وآخرُ فوق كعبته ينادي(٥٣)

الى رُدُحٍ من الشيزى عليها
لُبابُ البُرِّ يُلْبَك بالشِهادِ(٥٤)

العرب تسمي كل بيت مربع كعبة(٥٥) ، ومنه كعبة نجران . وكان أول من اتخذ بيتاً مربعاً حُميد بن زهير أحد بني أسد بن عبدالعزى ، وكانوا في الجاهلية لا يبتنون بيتاً مربعاً تعظيماً للكعبة .

---

(٤٩) الجوبة : الحفرة المستديرة الواسعة .

(٥٠) الرقاق : الخبز المنبسط الرقيق .

(٥١) الفالوذ : نوع من الحلواء تعمل من الطحين والماء والعسل ، ومثلها الفالوذج . الرعديد : الناعم .

(٥٢) الجادي : الزعفران .

(٥٣) كذا في الأصل ، أما في اللسان (شمعل) :

له داعٍ بمكة مشمعل وآخر فوق دارته ينادي

وقد نسبه الى أمية بن أبي الصلت . اشمعل القوم في الطلب : بادروا فيه وتفرقوا .

(٥٤) كذا في الاصل ، أما في اللسان (شيز) : من الشيزى ملاء .

(٥٥) في اللسان : « الكعبة : البيت المربع ، وجمعه : كعاب » .

سورة يس

قوله ـ عز وجل ـ : « والقمرَ قَدَّرناه منازِلَ حتى عادَ كالعرجون القديم[1] » . يُقرأ بنصب القمر ورفعه . [٢٢٦] فالنصب باضمار فعل تفسيره الفعل الظاهر ، كأنَّ المعنى : قدَّرنا القمر قدرناه . والرفع على « وآية لهم القمر قدرناه منازل » . ويجوز أنْ يكون على الابتداء ، و «قدرناه» الخبر .

وأما المنازل فهي الثمانية والعشرون منزلاً التي في كل شهر ينزلها القمر . والعرب تزعم أنَّ الأنواء لها ، وتسميها نجوم الأخذ ، لأنَّ القمر يأخذ كل ليلة في منزل منها حتى يصير هلالاً ، وهي منسوبة الى البروج الاثني عشر . قال الله تعالى : « ولقد جَعَلْنا في السماءِ بُروجاً ، وزَيّناها للناظرين »[2] . [٢٢٧] .

وأصل البروج الحصون والقصور ، ومنه قوله ـ تبارك وتعالى ـ : « ولو كنتم في بروجٍ مُشيَّدةٍ »[3] .

وفي كل برج من البروج منزلان وثُلُثٌ من منازل القمر وهي نطاق الفلك ، والفلك مدار لها ، وانما سمي فلكاً لاستدارته . ومنه قيل : فَلْكَةُ

---

(١) سورة يس ، الآية ٣٩ .

(٢) سورة الحجر ، الآية ١٦ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٧٨ .

المغزل ، وفلك ثدي المرأة[٤] . قال الشاعر : [من الطويل]

بعيدات مهوى كل قرْط عقدنه

لِطاف الحشا تحت الثدي الفـوالك[٥]

وقال الله ـ عز وجل ـ : « وكلٌ في فَلَكٍ يسبحون »[٦] .

وسنذكر أحوال المنازل على رأي العرب فرأيهم أولى بهذا الكتاب [٢٢٨] من رأي أصحاب الحساب . وأول ما يعدون من هذه المنـازل : الشَرطان[٧] وهما كوكبان يقال هما قَرْنا الحمـل ويسميان النطـح والناطح ، وبينهما في رأي العين قاب قوس ، وأحدهما في جهة الشمال والآخر في جهة الجنوب والى جانب الشمالي كوكب صغير يُعَدُّ معهما أحيانا فيقال الأشراط[٨] . قال الفرزدق : [من الطويل]

تَحَدَّرَ قبـل النجـم ممـا أمامَـه

من الدلو والأشـراط يجري غـديرها[٩]

وإذا نزلت الشمس بهذا المنزل فقد حلت برأس الحمل ، وهو أول نجوم فصل الربيع ، وعند ذلك يعتدل الزمان ، [٢٢٩] ويستوي الليـل والنهار . قال أبو نواس : [من المنسرح]

---

(٤) في اللسان (فلك) : « في كتاب سيبويه : فلكة وفلك مثل : حلقة وحلق ، ونشفة ونشف ، ومنه قيل : فلّك ثدي الجارية تفليكا ، وتفلك : استدار ... وفلكة المغزل : معروفة ، سميت لاستدارتها وكل مستدير فلكة ، والجمع من ذلك فلك » .

(٥) الثدي الفوالك : دون النواهد .

(٦) سورة الأنبياء ، الآية ٣٣ .

(٧) في اللسـان (شرط : « الشرطان نجمـان من الحمل يقـال لهمـا قرنا الحمل ، وهمـا أول نجم من الربيع ، ومن ذلك صار اوائل كل أمر يقع أشراطه » .

(٨) في اللسان : « قال الجوهري : الشرطان نجمان من الحمـل ، وهما قرناه والى جانب الشمالى منهما كوكب صغير ، ومن العرب مـن يعده معهما فيقول : هو ثلاثة كواكب ويسميها الاشرط » .

(٩) الدلو : برج في السماء . (ينظر ديوان الفرزدق ج١ ص٢٤٥)

أمَا ترى الشمس حلّت الحمـــلا

وقامَ وَزْنُ النهـار واعتـدلا[10]

ويقول ساجع العرب : « اذا طلع الشرطان استوى الزمان وحُضرت الأوطان ، وتهادت الجيران » : أي : رجع الناس الى أوطانهم من البوادي بعدما كانوا متفرقين في النُجعَ • وطلوعه لست عشرة ليلـــةً خلت من نيسان •

ثم البُطين وهو ثلاثة كواكبَ خفية كأنها أثافٍ[11] ، ويقال : هي بطن الحمل • قال الشاعر يصف نبتاً : [من الطويل]

وقاء عليـــه الليث أفلاذ كبـــدهِ

وكهّلـه فلـــذ من البطن مردم[12]

[٢٣٠]

الافلاذ : القطع ، ويقال : « فلذ له » أي : أعطاه • ويقول ساجع العرب : « إذا طلع البطين اقتضى الدين ، وظهر الزين ، واقتفي العطار والقين » أي : اطمأنوا في منازلهم فاقتضى بعضهم بعضا ، وتجملوا عنـــد التلاقي ، واقتفاؤهم العطار والقين لحاجتهم الى ابتياع الطيب واصـــلاح القين ما رَثّ من آلتهم • وطلوعه لليلةٍ تبقى من نيسان •

ثم الثريا ، وهي أشهر منازل القمر ، وجاءت مصغرة لاجتماعها • وأصلها من الثروة وهي الكثرة ، ويسمونها النجم • [٢٣١] وقد أكثرت الشعراء تشبيهها ، فمن ذلك قول امريء القيس : [من الطويل]

---

(١٠) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص٦٣ : وقـام وزن الزمان فاعتدلا • وفي هذا الشطر اشارة الى استواء الليـل والنهار واعتـــدال الزمان بين الحر والبرد •

(١١) الأثفية : ما يوضع عليه القدر ، والجمع الاثافي •

(١٢) الفلذة : القطعة من الكبد •

إذا ما الثريّا في السماء تعرَّضَتْ

تعرُّضَ أثناءِ الوشاحِ المُفَصَّلِ (١٣)

وقول ذي الرمة : [من الطويل]

وَرَدْتُ اعتسافا والثريا كأنَّها

على قِمةِ الرأسِ ابنُ ماءٍ مُحلِّقِ (١٤)

وقال ابن الاسلت (١٥) : [من الطويل]

وقد لاحَ للساري الثريّا عشيةً

كعنقودِ مُلاحيةٍ حينَ نوَّرا (١٦)

وأخذ ابن المعتز هذا التشبيه وقرن به غيره فقال : [من الطويل]

كأنَّ الثريا في أواخر ليلها

تفتح نورٍ أو لجام مفضض (١٧)

(١٣) المفصل : الذي جعل بين كل خرزتين فيه لؤلؤة (الديوان ص ١٤) .

(١٤) اعتسافا : على غير اهتدائه . ابن ماء . طير من الطيور . محلق : عال مرتفع . (الديوان ص ٤٠١) .

(١٥) هو أبو قيس بن الاسلت .

(١٦) كذا في الاصل ، أما في ديوان قيس بن الخطيم (طبعة بغداد ص٧٩ : وقد لاح في الصبح الثريا . وقد نسبه عبدالقاهر في أسرار البلاغة ص١٠٨ الى قيس بن الخطيم ، ولكن الشيخ المراغي محقق الكتاب ذكر أنه لابي قيس بن الاسلت أو احيحة بن الجلاح . والحقيقة انه لابن الاسلت كما في التشبيهات ص٥ ، واللسان (ملح) والاغانى ج١٥ ص٣٨٥ وذكر ابو الفرج انه أحسن بيت وصفت به الثريا . وهو من شواهد التلخيص ص٢٥٣ والايضاح ص١٦١ والطول ص ٣٢٢ ، ومعاهد التنصيص ج٢ ص٢٨ وحاشية الدسوقى ج٢ ص٢٨٣ ، وهامش ص٨٥ من اسرار البلاغة (طبعة ريتر) وص٧٩ من ديوان ابن الخطيم (طبعة بغداد) وص١٦٨ (من طبعة الدكتور الاسد) وفي التشبيهات ص٥ : وتبعه ابراهيم بن المهدى ووصف أرضا قطعها فقال :

خطرتها وثريا النجم خاضعة كأنها فى أديم الليل عنقود

(١٧) ينظر أشعار أولاد الخلفاء (كتاب الاوراق) ص ١٥٩ ، والتشبيهات ص٥ ، وديوان المعانى ج١ ص٣٣٦ .

[٢٣٢] وأعاد التشبيه في مواضع أخر بغير العبارة فقال : [من الطويل]

وناولـنيهـا والثـريا كأنـهـا
جنى نرجسٍ حيّا الندامى به الساقي (١٨)

وأعاد تشبيهها أيضا باللجام في موضع آخر فقال :

وقـد تروم الثـريا الى الغـروب مراما
مثل انكباب طمـر يكاد يلقي اللجاما (١٨) ب

وقال أيضا في غير هذا التشبيه : [من الكامل]

وترى الثريا في السماءِ كأنـهـا
قـدمٌ تبـدّت من ثياب حدادِ (١٩)

وقال أيضا : [من الوافر]

وقد أصْغَتْ الى الغَرْبِ الثـريا
كما أصـغى الى الحسّ الفـروق

[٢٣٣]

كأنّ نجومَهـا والفجـر بادٍ
لاعينـا سـقيمات تفـوق (٢٠)

وقال الأخر : [من الطويل]

---

(١٨) ينظر ديوانه ص٢٣٩ ، والتشبيهات ص٦ .
(١٨ب) ديوان ابن المعتز ص ٢٤٥ والتشبيهات ص١٠ .
(١٩) ينظر ديوانه ص٢١٨ ، وفي التشبيهات ص٦ : وشبهها ابن الرومي بقدم بيضاء ، فقال وذكر شعر امرأة :

تغشى غواشي قرونها قدمـا بيضـاء للناظـرين مقتـدرة
مثل الثريا اذا بـدت سحرا بعـد غمـام وحاسر حسرة

وأخذه ابن المعتز وزاد فقال : وأرى الثريا ...
(٢٠) ينظر ديوانه ص٢٤٠ ، والتشبيهات ص٩ .

ولاحت لساريها الثريا كأنها
لدى الجانب الغربي قُرْطٌ مُسَلْسَلُ[٢١]

وقال ابن الرومي : [من الخفيف]

طيّبٌ ثغرها إذا ذقت فاها
والثريا بجانب الغَرْبِ قرط[٢٢]

وللعرب فيها أسجاع منها قولهم : « اذا طلع النجم ، فالحر في حَدَمٍ ، والعشب في حطْمٍ ، والعانة في كدم »[٢٣] .

الحدم : توقد الحر والنار .

ويقولون عند ظهورها في أول الليل : « اذا طلع النجم عشاءاً ابتغى الراعي كِساءا » . [٢٣٤]

ويقولون عند توسطها السماء مع غروب الشمس في شدة البرد : « اذا أمست الثريا قِمَّ الراس ، ففي الدثار الأخناس ، وللسؤال الأعباس[٢٤] وعند ذلك تقول الماعزة : الاست جهوى والذنب ألوى والشعر دقاق والجلد رقاق »[٢٥] .

---

(٢١) البيت للاشهب بن رميلة . (ينظر التشبيهات ص٤ وخزانة الادب ج٤ ص٤١٦ ، وديوان المعاني ج١ ص٣٣٥) .

(٢٢) كذا في الاصل ، أما في التشبيهات ص٥ :

قد ترشفت ريقه بعد وهن   والثريا بالجانب الغرب قرط

وفي ديوان المعاني ج١ ص٣٣٥ :

طيب طعمه اذا ذقت فاه   والثريا في جانب الغرب قرط

وفي خزانة الادب ج٤ ص٤١٦ :

طيب ريقه اذا ذقت فاه   والثريا بجانب الغرب قرط

(٢٣) الحدم : شدة احماء الشيء بالنار أو بحر الشمس . الحطم: الكسر . الكدم : العض . العانة : الاتان أو القطيع من حمر الوحش ، جمعها : عون وعانات .

(٢٤) في المخصص ج٩ ص١٥ : « واذا أمست الثريا قمة راس فليلة فتيو ليلة فاس » .

(٢٥) في المخصص ج٩ ص١٥ : « اذا أمست الثريا قم رأس ففي الدثار فاخنس وعظماها فاحدس وانهس بنيك وان سئلت فأعبس » .

وقال الكميت[٢٦] يصف سنة جدب : [من الطويل]

كأنَّ الثـــريا أطلعت في عشـــائها

بوجه فتـــاة الحي ذات المجاســـدِ

أي : طلعت والحمرة ملتبسة بها ، وذلك من امارات الجدب • وفي مقارنة الهلال لها ليلة مَهلّهِ وذلك قبل استمرارها بليالٍ ، يقول كثير : [من الطويل] [٢٣٥]

فَدَع عنك سُعدى انما تُسعف النوى

قِران الثـــريا مـرةً ثم تأفل[٢٧]

يقول : انما نلاقيها مرة في السنة كما تقارب الثريا الهلال لأول ليلة مرة في السنة ثم تغيب ، وفي طلوعها بالغداة بعد الاستسرار وذلك عند قوة الحر • يقول ساجـــع العرب : « إذا طلع النجم غُـــديّة ابتغى الراعي شُكيّة » • يريد انه يستصحب الماء اذا خرج للرعي • وأوبأُ أوقات السنة عندهم ما بين مغيبها الى طلوعها • وقال طبيب العرب : « اضمنوا لي ما بين مغيب الثريا الى طلوعها وأضمن لكم سائر السنة » • ويقال : « ما طلعت ولا نأت الا بعاهة في الناس [٢٣٦] والابل وغروبها أعوه من شروقها » •

فأما قول النبي ـ صلى الله عليه ـ : « إذا طلـــع النجم لم يبق في الارض من العاهة شيء الا رُفع »[٢٨] • فانه يُريد بذلك عاهة الثمار ؛ لانها تطلع بالحجاز وقد أزهى البسر[٢٩] وأمنت عليـــه الآفـة وحَلَّ بيع النخل •

---

(٢٦) هو الكميت بن زيد شاعر الهاشميين • توفى سنة ١٢٦هـ (ينظر الشعر والشعراء ج٢ ص٤٨٥ •

(٢٧) ينظر ديوانه ج٢ ص٢٩ ، واللسان (عدد) •

(٢٨) في النهاية لابن الاثير ج٣ ص٣٢٤ : « نهى عن بيع الثمـــار حتى تذهب العاهة » • أي : الآفة التي تصيبها فتفسدها •

(٢٩) أزهى البلح : تلون • البسر : ثمر النخل الذي تلون ولـــم ينضـــج •

ومن النجوم التي تنسب الى الثريا ، الكَفّان ويقال لأحدهما الجذماء وهي أسفل من الشرطين وعن يمينها البَقَر ، وهي كواكب متفرقة تتصل بالثريا • وعناق الارض أسفل من البطين وهو كوكب مضيء في رقعة ليس فيها الا كوكبان اذا وصلته بهما أشبه ذلك النسر [٢٣٧] الواقع • الكف الاخرى الخضيب[٣٠] ، وهي خمسة كواكب بيض في المجرّة حيال الحوت • قال ذو الرمة : [من الطويل]

أَلا طرقَتْ مَيّ هَيوماً بذكرها
وأيدي الثريا جُنَّحٌ في المغارب[٣١]

يريد : بأيدي الثريا هذين الكفين • وربما نسبوا العيّوق[٣٢] الى الثريا ؛ لانه يطلع إذا طلعت • قال حاتم الطائي : [من الطويل]

وعاذلةٍ هَبّتْ بليلٍ تلومني
وقدغابعَيّوقُ الثريا فَعَرّدا[٣٣]

وهو كوكب أبيض أزهر وراء الثريا ، وهو الى القطب أقرب منها • وعلى أثره ثلاثة كواكب يقال لها الاعلام وأسفل العيّوق نجم يقال له رجل العيوق •• ونوء الثريا [٢٣٨] محمود غزير وهو خير نجوم الوسمي[٣٤] • وطلوعها لثلاث عشرة خلت من أيّار •

ثم الدّبَران[٣٥] وهو كوكب أحمر منير يتلو الثريا ويسمى تابع

---

(٣٠) الكف الخضيب : نجم • (اللسان ــ كف) •
(٣١) ينظر ديوانه ص ٥٥ •
(٣٢) العيوق : كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا في ناحية الشمال ويطلع قبل الجوزاء ، سمي بذلك لانه يعوق الدبران عن لقاء الثريا • (اللسان عوق) •
(٣٣) ينظر ديوان حاتم الطائي ص ٤٠ •
عرد : مال للغروب •
(٣٤) الوسمي : مطر الربيع الاول •
(٣٥) الدبران : نجم يلي الثريا اذا طلع علم ان الثريا قد طلعت • (اللسان ــ عوق) •

الثريا ولاستدباره اياها سمي دَبراناً وسمي أيضا المِجْدَح والمُجْدَح ، وهو الذي ذُكر في الحديث : « لو انَّ الله حبس القطر عن الناس سبع سنين ، ثم أرسله أصبحت طائفة به كافرين يقولون : مُطرنا بنوء المِجْدَح »[٣٦] .

وبين يدي الدبران كواكب كثيرة مجتمعة منها كوكبان صغيران يكادان يتماسان تسميهما العرب كلبي الدبران وتسمي البواقي [٢٣٩] قلاص »[٣٧] . وقال ساجعهم : « اذا طلع الدبران توقدت الحِزّان وكرهت النيران ويبست الغدران ورمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان »[٣٨] . وطلوعه لست وعشرين ليلة تخلو من أيار .

ثم الهَقْعَة[٣٩] وهي ثلاث كواكب صغار كالأثافي يقال إنها رأس الجوزاء . قال ابن عباس لرجل طَلَّق امرأته عدد نجوم السماء : « يكفيك منها هقعة الجوزاء » . وسميت هقعة تشبيهاً لها بدائرةٍ من دوائر الفرس يقال لها الهقعة ، ومع طلوعها يرجع الناس الى مياههم ، ويقول ساجع العرب : « اذا طلعت الهقعة [٢٤٠] تقوَّض الناس للقلعة ورجعوا الى النجعة »[٤٠] . وطلوعها لتسع خلون من حزيران .

---

(٣٦) المجدح : نجم من النجوم ، قيل : هو الدبران ، وقيل : هو ثلاثة كواكب كالاثافي تشبيها بالمجدح الذى له ثلاث شعب . وهو عند العرب في الانواء الدالة على المطر . (ينظر النهاية لابن الاثير ج١ ص ٢٤٣ واللسان (جدح) .

(٣٧) قلاص النجم : هى العشرون نجما التي ساقها الدبران في خطبة الثريا ـ كما تزعم العرب ـ (اللسان ـ قلص) .

(٣٨) في المخصص ج ٩ ص ١٥ : « اذا طلع الدبران توقدت الحزان واستعرت الذبان ونشت الغدران » .

(٣٩) الهقعة : ثلاثة كواكب نيرة قريب بعضها من بعض فوق منكب الجوزاء . وقيل : هى رأس الجوزاء كأنها أثافى ، وهى منزل من منازل القمر . (اللسان ـ هقع) .

(٤٠) النجعة : طلب العشب فى مواضعه . وفى المخصص ج ٩ ص ١٥ : « عن النجعة » .

ثم الهَنْعَة[41] ، وهي كوكبان أبيضان بينهما قيد سوط على أثر الهقعة في المجـرة وهي في أنواء الجوزاء لا تفرد • وفي الجوزاء يقول ساجعهم : « اذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء وكنست الظبـاء وعرقت العلباء »[42] •

وقال كعب الغنوي[43] في تشبيهها : [من الطويل]

وقـد مالت الجوزاء حتى كأنهـا
فساطيط ركبٍ بالفـلاة نزول[44]

وقال ابن هرمة[45] : [من الكامل]

وكواكب الجوزاء مثـل عوائدٍ
تُمرى لهـنَّ قوادمٌ وأواخـرُ

[٢٤١]

وكأنَّ مرزمهـا عـلى آثارهـا
فَحْلٌ عـلى آثارِ شولٍ هـادرُ

وقال البحتري في نابل : [من الكامل]

---

(٤١) الهنعة : منكب الجوزاء الايسر ، وهو من منازل القمـر • (ينظر اللسان ـ هنع) •

(٤٢) المعزاء : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة •

كنست الظباء : دخلت واستترت في كناسها ، والكناس : بيـت الغزال في الشجر • العلباء : عصبة صفراء ممتدة في العنق •

(٤٣) هو كعب بن سعد بن عمرو الغنوى شاعر جاهلى توفى نحو سنة ١٠ قبل الهجرة • (ينظر خزانة الادب ج٣ ص٦٢١) •

(٤٤) البيت من قصيدة طويلة ذكرهـا الاصمعى في الاصمعيات ص٧٣ • وفي ديوان المعاني ج١ ص٣٣٧ : « وأجود ما قيـل في الجوزاء من الشعر القديم قول كعب الغنوى : وقـد مالـت •• ولـو شبهها بفسطاط واحد كان أشبه » وينظر التشبيهات ص ٦ •

(٤٥) هو ابراهيم بن هرمة توفى سنة ١٧٦هـ • (الشعر والشعراء ج٢ ص٦٣٩ وخزانة الادب ج١ ص٢٠٤) •

فتراه مطرداً على أعواده

مثل اطّرادِ كواكب الجوزاءِ[٤٦]

ومنها الشعرى العبور[٤٧] ، وهي التي ذكرها الله ـ تعالى ـ فقال ـ جَلَّ اسمه ـ : « وانه هو ربُّ الشعرى »[٤٨] ؛ لانَّ قوماً في الجاهلية عبدوها وفتنوا بها ، وكان أبو كبشة الذي كان المشركون ينسبون رسول الله ـ صلى الله عليه ـ اليه ، أول من عبدها وخالف قريشاً ، فلما بُعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعاهم الى عبادة الله وتَرْكِ أديانهم قالوا : « هذا ابن [٢٤٢] أبي كبشة » • أي : يشبهه ومثله في الخلاف كما قال بنو اسرائيل لمريم : « يا أُخْتَ هارونَ ما كان أبوك امرءَ سَوْءٍ »[٤٩] • يا شبيهة هرون في الصلاح • وهما شعريان : احداهما هذه العبور • قال أبو نواس يصف الدرهم ويشبهه بها لغزاً : [من الرجز]

أنعتُ صقراً يغلب الصقورا　　مظفراً أبيضَ مستديرا

تخاله في قدّه العبورا

والأخرى الغُميصاء[٥٠] يقابلهما ، وبينهما المجرة • والغميصاء في الذراع المبسوطة من كواكب الأسد • وتقول الأعراب في أحاديثها [٢٤٣] إنَّ سهيلاً والشعريين كانت مجتمعة فانحدر سهيل فصار يمانيا ، وتبعته العبور فعبرت المجرة وأقامت الغميصاء فبكت حتى غمصت عينها[٥١] •

---

(٤٦) ينظر ديوانه ج٢ ص٣٨٣ •

(٤٧) الشعرى : كوكب نير يقال له المرزم ، يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر وهما الشعريان : العبور التى في الجوزاء والغميصاء التي في الذراع ، تزعم العرب أنهما اختا سهيل •

(٤٨) سورة النجم ، الآية ٤٩ •

(٤٩) سورة مريم ، الآية ٢٨ •

(٥٠) الشعري الغموص والغميصاء ، ويقال : الرميصاء من منازل القمر ، وهى في الذراع أحد الكوكبين واختها الشعرى العبور ، وهى التى خلف الجوزاء • وانما سميت الغميصاء بهذا الاسم لصغرها وقلة ضوئها • (اللسان ـ غمص) •

(٥١) ينظر النهاية لابن الاثير ج ٣ ص ٣٨٧ ، واللسان (غمص) •

والعبور تسمى كلب الجبار وأسفل منها خمسة كواكب بيض في المجرة تلي الهَنْعة يقال لها العذارى • وطلوع الهنعة لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من حزيران • ثم الذراع : وهي ذراع الأسد المقبوضة ، وله ذراعان : مقبوضة ومبسوطة • فالمقبوضة تلي الشام ، وهي كوكبان بينهما قيد سوط ، وكذلك [٢٤٤] المبسوطة مثلها في الصورة إلا انّها أرفع في السماء فسميت مبسوطة؛ لانها أمدُّ منها ، وهي تلي اليمن • وبين الذراعين كواكب يقال لها الأظفار تقرب من المقبوضة • وأحد كوكبي المبسوطة النير هو الشعرى الغميصاء ، والآخر أحمر صغير سُميَ المِرْزَم[٥٢] • يقول ساجع العرب : « اذا طلعت الذراع حسرت الشمس القناع ، وأشعلت في الأرض الشعاع ، وترقرق السراب بكل قاع • »[٥٣] • وهي أول أنواء الأسد ، وربما نسبوا النوء الى الشعرى ، يعنون الغميصاء ؛ لانَّ القمر ربما عَدَل [٢٤٥] عن المقبوضة فنزل بالمبسوطة • قال بشر بن أبي خازم[٥٤] : [من الطويل]

جادَتْ له الدَّلوُ والشِعرى ونوءُهما

بكل أَسْحَم داني الوَدْقِ مُرْتَجف[٥٥]

ولم يرد العبور لانها ليست من منازل القمر ولا من ذوات الأنواء ، ولكن ربما جمعوهما فنسبوهما اليهما فيقولون : « مُطرنا بالشعرين » كما

---

(٥٢) المرزمان : نجمان من نجوم المطر وقد يفرد • (ينظر اللسان ـ رزم) •

(٥٣) في المخصص ج ٩ ص ١٥ : « واشعلت في الافق » •

(٥٤) شاعر جاهلي قريب الزمن من ظهور الاسلام • (الشعر والشعراء ج١ ص١٩٠ ومقدمة ديوانه) •

(٥٥) الدلو : برج من بروج السماء ، منازله في سعد السعود • الشعرى : نجم • نوءهما : وقت طلوعهما • الأسحم : الاسود ، يريد السحاب الأسحم • الودق : المطر • المرتجف : الذي يتحرك ويضطرب • (ديوانه ص ١٥٧) •

قال تعالى « مَرَجَ البحرين يلتقيان »[٥٦] • ثم قال : « يَخْرُجُ منهما اللؤلؤ والمرجان »[٥٧] ، وانما يخرج من أحدهما وهو الملح • وكذلك قوله : «يامَعْشَرَ الجنِّ والاِنْسِ أَلَمْ يأتِكُمْ رُسُلٌ منكم»[٥٨] • والرسل من الانس • فمن نسب النوء الى الشعريين معاً أبو وجرة السعدي فقال : [من الطويل] [٢٤٦]

زئير أبي شبلين في الغيل أثجمتْ
عليه نجاء الشعريين وأَثْجما[٥٩]

أثجمت : دامت • وأثجم : أقام • والنجاء : السحاب •

وأما قولهم : « اذا طلعت الشعرى نشف الثرى ، وأجن الصرى ، وجعل صاحب النخل يرى » • أي : تبين ثمرة نخله ، فيحتمل أنْ يكون للعبور والغميصاء • وكذلك قولهم : « اذا طلعت الشعرى سفراً ولم تَرَ مطراً فلا تعقرن إمّرا وأرسل العُراضات أثرا »[٦٠] •

سفرا : أي صبحا • الأمر : الخروف • العراضات : الابل • وطلوع الذراع لأربع خلون من تموز •

ثم النَّثْرة[٦١] وهي ثلاثة كواكب متقاربة أحدها كأنه لطخة غيم [٢٤٧] وهي بعد الذراع • وأنواء الأسد غزار محمودة • قال الشاعر يصف سنة جدب : [من المتقارب]

---

(٥٦) سورة الرحمن ، الآية ١٩ •
(٥٧) سورة الرحمن ، الآية ٢٢ •
(٥٨) سورة الانعام ، الآية ١٣٠ •
(٥٩) أثجمت السماء : دام مطرها •
(٦٠) في المخصص ج ٩ ص ١٥ : « اذا طلعت الشعرى سفرا ، ولم تر مطرا ، فلا تغدون امرة ولا امرا ، وأرسل العراضات أثرا ، يبغينك في الأرض معمرا » •
(٦١) النثرة : نجم من نجوم الاسد ينزلها القمر ، والنثرة كوكب في السماء كأنه لطخ سحاب حيال كوكبين تسميه العرب نثرة الأسد وهي من منازل القمر • والعرب تقول : « اذا طلعت النثرة قنأت البسرة » أي : داخل حمرتها سواد • وطلوع النثرة على أثر طلوع الشعرى • (اللسان نثر) •

تواضع ما قد بنته اليدان والأنف حولين والكاهل

اليدان : ذراعا الأسد • والأنف : النثرة • والكاهل : زبرة الأسد • وقال ساجع العرب : « اذا طلعت النثرة قنأت البسرة وجني النخل بكرة ولم تترك في ذات در قطرة »[٦٢] •

وطلوعها لسبع عشرة تخلو من تموز •

ثم الطَّرْف[٦٣] طرف الأسد كوكبان بين يدي الجبهة وقدّام الطرف كواكب صغار يقال لها الأشفار • قال ساجع العرب : [٢٤٨] « اذا طلعت الطرفة بكرت الخرفة وكثرت الطرفة وهانت للصيف الكلفة »[٦٤] • يريدون : خرفة الثمر تبكر في وقت طلوعه • وأنث الطرف ؛ لانّ العين مؤنثة • وطلوعه لليلة تخلو من آب •

ثم الجبهة[٦٥] جبهة الأسد أربعة كواكب خلف الطرف ، وفيها اختلاف بين كل كوكبين في رأي العين قيد سوط ، وهي معترضة من الجنوب الى الشمال • والجنوبي منها هو قلب الأسد • وحيال الجبهة كوكب منفرد يسمى الفرد • وقال ساجع العرب : « اذا طلعت الجبهة تحانّت الولهة [٢٤٩] وتنازت السفهة ، وقلّت في الأرض الرفهة »[٦٦] • وانما تتحانّ الولهة ؛ لانّ أولادها قد فُصلت عنها ، وتتنازى السفهة لانهم في خصب من اللبن والتمر فيبطرون • قال الشاعر : [من الرجز]

يا ابن هشام أهلك الناس اللبن

فكلهم يغدو بقوس وقرن

---

(٦٢) قنأ : أحمر • البسرة : ثمرة النخل الذي لون ولم ينضج • (ينظر المخصص ج٩ ص١٥ ، واللسان (نثر)) •

(٦٣) الطرف : من منازل القمر كوكبان يقدمان الجبهة وهما عينا الأسد ينزلهما القمر • (اللسان ـ طرف) •

(٦٤) ينظر المخصص ج ٩ ص ١٥ •

(٦٥) الجبهة : اسم منزلة من منازل القمر ، أو هي النجم الذي يقال له جبهة الأسد وهي أربعة أنجم ينزلها القمر (اللسان ـ جبه) •

(٦٦) ينظر المخصص ج ٩ ص ١٥ •

واذا تناءت السفهة قلَّت الرفاهة واحتاجوا الى حفظ أموالهم وجمع مواشيهم ونعمهم خوف الغارة • وطلوع الجبهة لاربع عشرة ليلة تخلو من آب مع طلوع سهيل •

ثم الزُبْرة(٦٧) وهي كاهل الأسد وهي كوكبان نيّران [٢٥٠] على أثر الجبهة بينهما قيد سوط • ويقال : زبرته شعره الذي يزبئر(٦٨) في قفاه عند الغضب • وتحت النجمين نجوم صغار يقال هي شعره ، وبها سُمّيت الزبرة • وطلوعها لأربع ليالٍ يبقين من آب وعند طلوعها يرى سهيل بالعراق•

ثم الصَّرْفة(٦٩) وهي كوكب واحد على أثر الزبرة مضيء عنده كواكب صغار طُمْسٌ • يقولون : هو قُنْبُ(٧٠) الأسد ، أي : وعاء قضيبه • وسمي صَرْفة لانصراف الحر عند طلوعه قال الساجع : « اذا طلعت الصرفة احتال كل ذي حرفة [٢٥١] وجفر كل ذي نطفة وامتيز عن المياه زلفة »(٧١) • يريد انهم يخرجون متبذين • جفر الفحل : عدل عن الضراب • يريد انّ المخاض وهي الحوامل قد ظهر حملها • وفي طلوعها يزيد النيل وأيام العجوز في نوئها • وطلوعها لتسع خلون من أيلول •

ثم العَوّاء(٧٢) ، وهي أربعة أنجم على أثر الصرفة تشبه كافاً غير مشقوقة وتشبه أيضا بكتاب ألف مردودة الأسفل ، وهم يجعلونها كلاباً

---

(٦٧) الزبرة : الشعر المجتمع للفحل والاسد وغيرهما ، والزبرة كوكب من المنازل على التشبيه بزبرة الأسد •

(٦٨) يزبئر : ينتفش •

(٦٩) الصرفة : منزل من منازل نجم واحد نير تلقاء الزبرة • (اللسان ــ صرف) •

(٧٠) القنب : جراب قضيب الدابة • (اللسان) •

(٧١) ينظر المخصص ج ٩ ص ١٥ •

(٧٢) العواء : اسم نجم • قال ساجع العرب : « اذا طلعت العواء وجثم الشتاء طاب الصلاء » • والقصر فيها أكثر ، قال ابن سيده : « العواء منزل منمنازل القمر يمد ويقصر » •

تتبع الأسد • وقيل : هي وركا الأسد • وقد ذكرها بعض الشعراء فقال : [من الطويل]

وقد بَرَدَ الليل التمام عليهم

وأصبحت العوّاء للشمس منزلا

[٢٥٢] وقال ساجع العرب : « اذا طلعت العوّاءُ ضُربَ الخباء ، وطاب الهواء ، وتشنَّنَ السقاء »(٧٣) • أي : يَبس ؛ لانهم استقلوا اسقاء الماء • وطلوعها لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من أيلول •

ثم السِّماك(٧٤) الأعزل ، وهو الذي ينزل به القمر ، وهو كوكب أزهر ، والرامح سمي بذلك لكوكب بين يديه صغير يقال له : راية السماك ، فصار ذا رمح به ، وصار الآخر أعزل • والعرب تجعلهما ساقي الأسد ، وأصحاب الحساب يسمون الأعزل السنبلة ، وربما عدل القمر فنزل بعجز الأسد ، وهي أربعة كواكب بين يدي السماك الأعزل منحدرة عنه في الجنوب [٢٥٣] مربعة يقال لها عرش السماك ، وتسمى الخباء أيضا • ونسب ابن أحمر النوء اليها فقال يذكر الثور : [من الكامل] :

باتَت عليه ليلة عرشيةٌ

شريت وبات الى نقا متهددِ

شريت : لجت بالمطر •

والسماك الأعزل حدٌ ما بين الكواكب اليمانية والشامية ، فما كان منها أسفل من مطلعه فهو من اليمانية ؛ لانّ ذلك النصف من الفلك في شق الجنوب وشق اليمن •وماكان مطلعه فوق السماك فهو من الشامية ؛ لانّ هذا النصف من الفلك في شق الشمال وهو شق الشام • قال ساجع

(٧٣) ينظر المخصص ج ٩ ص ١٥ ، واللسان (عوى) •
(٧٤) ينظر اللسان (سمك) •

العرب: [٢٥٤] « اذا طلع السماك ذهب العِكاك وقلَّ على الماء اللكاك[٧٥]».
يريد الازدحام على الماء . ونوء السماك غزير يصل الخطائط . والخطيطة: ارض غير ممطورة بين أرضين ممطورتين الا انه يذم من قبل ان النشر ينبت عنه ، وهو نبت يطلع بمطره في أصول كلأ قد هاج ويبس فاذا رعته الابل مرضت وسُهمت[٧٦] .

قال الشاعر في جمل كان يرعى النشر فسَهَم فمات : [من الكامل]:

ليت السماك ونوءَه لم يخلقا

ومشى الاويرق في البلاد سليما

وطلوع السماك لخمس ليالٍ يمضين من تشرين الأول . [٢٥٥]

ثم الغَفْر[٧٧] وهو ثلاثة كواكب خفية بين السماك الأعزل وزبانى العقرب على نحو من خلقة العوّاء . قال ساجع العرب : « اذا طلع الغفر اقشعر السَّفْر وتزيّل النضر وحسن في العين الجمر »[٧٨] . النضر : يعني النضارة عن الأرض والشجر . واذا نزل القمر بالغفر كانت من ليالي السعود . وطلوعه لثماني عشرة تخلو من تشرين الأول .

ثم الزُّبانى[٧٩] زباني العقرب قرناها ، وهما كوكبان بينهما قاب قوس . ويصفون نوءها لهبوب البوارح وهي الشمال الشديدة وتكون في الصيف حارة . [٢٥٦] قال ساجع العرب : « اذا طلعت الزباني أحدثت لكل ذي عيال شانا ، ولكل ذي ماشية هوانا ، وقالوا : كانَ وكانا ، فاجمع

(٧٥) في المخصص ج ٩ ص ١٥ : « اذا طلع السماك ذهبت العكاك واستفاهت الأحناك ، وقل على الماء اللكاك » .
(٧٦) سهم : ضعف .
(٧٧) ينظر اللسان (غفر) .
(٧٨) في المخصص ج٩ ص١٦ : « اذا طلع الغفر جاد القطر » . وقيل : « اذا طلع الغفر اقشعر السقر وتربل النضر وحسن في العين الجمر » .
(٧٩) ينظر اللسان (زبن) .

لاهلك ولاتواني »[٨٠] . أي ابتذل صاحب الماشية نفسه في تتبع صالحها وكثر الحديث والقول . وطلوعها آخر ليلة من تشرين الاول .

ثم الاكليل[٨١] ، وهـو رأس العقرب ثلاثة كواكب زهر مصطفه معترضة . قال الساجع : « اذا اطلع الاكليل هاجت الفحول ، وشُمِّرت الذيول ، وتُخوفت السيول »[٨٢] . وطلوعه لثلاث عشرة ليلة تخلو من [٢٥٧] تشرين الآخر .

ثم القَلْب[٨٣] ، وهو كوكب أحمر وراء الاكليل بين كوكبين ، يقال لهما النياط . قال الساجع : « اذا طلع القلب جاء الشتاء كالكلب ، وصار أهل البوادي في كرب ولم يمكن الفحل الا ذات ثرب »[٨٤] . أي : ذات شحم وسمن ؛ لانها أحمل للبرد من الهزيلة فهي تتقدمها في الضبعة ، ونوءُه غير محمود . ويكرهون السفر اذا كان القمر نازلاً به . وطلوعه لست وعشرين ليلة تخلو من تشرين الآخر مع النسر الواقع ، ويسميان الهرّارين .

ثم الشَوْلة[٨٥] ، وهي كوكبان [٢٥٨] متقاربان يكادان يتماسان في ذنب العقرب ويقال : « شال بذنبه » اذا رفعه . وبعدها ابرة العقرب كأنّها لطخة ، قال الساجع : « اذا طلعت الشولة أعجلت الشيخ البولة ، واشتدت على العيال العولة ، وقتل شتوة زولة »[٨٦] .

العولة : الحاجة ، والعائل : المحتاج الفقير ، زولة : عجيبة منكرة لشدة البرد في ذلك الوقت ، وطلوعها لتسع يخلون من كانون الاول .

---

(٨٠) ينظر المخصص ج ٩ ص ١٦ .
(٨١) ينظر اللسان (كلل) .
(٨٢) ينظر المخصص ج ٩ ص ١٦ .
(٨٣) قلب العقرب : منزل من منازل القمر ، وهو كوكب نير وبجانبيه كوكبان . (اللسان ـ قلب) .
(٨٤) ينظر المخصص ج ٩ ص ١٦ .
(٨٥) ينظر اللسان (شول) .
(٨٦) ينظر المخصص ج ٩ ص ١٦ .

ثم النَعَائم[٨٧] ، وهي ثمانية كواكب على أثر الشولة ، أربعة في المجرة ، وهي النعائم الوارد كأنه شَرَع في المجرة وأربعة تسمى [٢٥٩] الصادر ، كأنه شَرب ثم رَجع • وكل أربعة منها على تربيع ، وفوق الثمانية كوكب اذا تأملته معها شبهته بناء قبة • قال الساجع : « اذا طلعت النعائم توسَّقَت البهائم ، وخلص البرد الى كل نائم ، وتلاقت الرعاء بالنمائم »[٨٨] • يريد انهم يتفرغون ولا يشغلهم رعي فيتلاقون ويوشي بعضهم الى بعض أخبار الناس • وطلوعها لاثنتين وعشرين تخلو من كانون الاول •

ثم البَلْدة[٨٩] ، وهي رقعة في السماء لا كوكب بها بين النعائم وبين سعد الذابح ، ينزل القمر بها وربما عدل فنزل [٢٦٠] بالقلادة وهي ستة كواكب مستديرة خفية تشبه بالقوس ، وحيالهن كوكب يقال له سهم الرامي • وهي امام سعد الذابح • قال ساجع العرب : « اذا طلعت البلدة حَمَّمت الجعدة وأكلت القشدة وقيل للبرد اهده » ![٩٠] والجعدة : نبت • والقشدة : ما خلص من السمن في أسفل القدر ، يريد كثرة الزبد • ويقال للبرد اهدأ لشدة ما يقاسون منه • وطلوعها لاربع يخلون من كانون الآخر •

ثم سعد الذابح[٩١] وهو كوكبان غير نيرين بينهما في رأي العين [٢٦١] قدر ذراع • أحدهما مرتفع في الشمال ، والآخر هابط في الجنوب • وبقرب الأعلى منهما كوكب صغير يكاد يلصق به • تقول العرب : « هو

---

(٨٧) النعام والنعائم : من منازل القمر ثمانية كواكب ، أربعة صادر وأربعة وارد • قال الجوهري : كأنها سرير معوج • قال ابن سيده : أربعه في المجرة وتسمى الواردة ، وأربعة خارجة تسمى الصادرة • (اللسان ـ نعم) •

(٨٨) ينظر المخصص ج٩ ص١٦ •

(٨٩) البلدة : من منازل القمر بين النعائم وسعد الذابح خلاء الا من كواكب صغار ، وقيل : لا نجوم فيها البتة • وقيل : هي ستة أنجم من القوس تنزلها الشمس في أقصر يوم في السنة • (اللسان ـ بلد) •

(٩٠) ينظر المخصص ج ٩ ص ١٦ •

(٩١) ينظر اللسان (سعد) •

شاته التي يذبحها » . قال ساجعهم : « اذا طلع سعد الذابح حمى أهله النابح ،ونفع أهله الرائح ،وتصبح السارح ، وظهر في الحي الأنافح »[٩٢]. يريدون الكلب يلزم أهله لشدة البرد . واذا طلع سعد الذابح بالغداة طلع سهيل مغرب الشمس . قال الراجز : [من الرجز]

اذا سُهَيْلٌ مغربَ الشمس طلع

فابن اللبون الحقُّ والحقُّ جَذَع[٩٣]

وهو الوقت الأوسط للنتاج . وطلوعه لسبع عَشرة [٢٦٢] تخلو من كانون الآخر .

ثم سعد بُلَع[٩٤] ، وهو نجمان مستويان في المجرى ، أحدهما خاف ، وسمي بلع كأنه بلع الخفي وأخذ ضوءه . قال الساجع : « اذا طلع سعد بُلَع اقتحم الرُبَع ولحق الهُبَع وصيد المرع وصار في الأرض لمع »[٩٥] .

المُرَع : طير واحدته مرعة ، كأنه في هذا الوقت يقطع ، وطلوعه لليلة تبقى من كانون الآخر .

ثم سعد السعود[٩٦] ، وهو ثلاثة كواكب ، أحدها نيِّرٌ والآخران دونه ، وهم يتيمنون به . قال الساجع : « اذا طلع سعد السعود نضر العود ولانت الجلود [٢٦٣] وكره الناس في الشمس القعود »[٩٧] . وطلوعه لاثنتي عشرة تمضي من شباط .

---

(٩٢) ينظر المخصص ج٩ ص١٦ .

(٩٣) كذا في الاصل ، أما في اللسان (سهل) :

اذا سهيل مطلع الشمس طلع فابن اللبون الحق والحق جذع

(٩٤) قال أبو يحيى : « وزعمت العرب انه طلع حين قال الله : « يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي » . (اللسان — سعد) .

(٩٥) ينظر المخصص ج ٩ ص ١٦ .

(٩٦) يشبه سعد الذابح في مطلعه . (اللسان—سعد) .

(٩٧) ينظر المخصص ج ٩ ص ١٦ .

ثم سعد الأخبية[٩٨] ، وهو أربعة كواكب متقاربة ، واحد منها في وسطها وهي تُمثل برجلٍ بطةٍ يقال انَّ السعد منها واحد وهو أنورها ، والثلاثة أخبيته • قال ساجع العرب : « اذا طلع سعد الأخبية ذهبت الأسقية ، وتركت الأحوية ، وتجاورت الأبنية »[٩٩] •

الحواء : جماعات البيوت ؛ لانهم ينتقلون عن مشتاهم ويتجاورون • وطلوعه لخمس وعشرين تخلو من شباط •

ثم الفرغ المقدَّم[١٠٠] [٢٦٤] فرغ الدلو مصب الماء بين العَرْقُوَتين[١٠١] والدلو أربعة كواكب مربعة اثنان منها الفرغ المقدم ، واثنان الفرغ المؤخر • قال ساجع العرب : « اذا طلع الدلو هيب الجزو وأنْسَل العَفْو[١٠٢] ، وطلب اللهوَ الخِلْو »[١٠٣] • فجمع في السجع القول للفرغين بذكر الدلو • قوله : « هيب الجزو » يريد قد خيف أن لا تكتفي الابل بالرطب من الماء • العفو : ولد الحمار • انسل : سقط نسله • وطلوعه لتسعٍ خلون من آذار •

ثم الفَرْغ المؤخر ، وهو يلي الفرغ المقدم ونوآهما محمودان [٢٦٥] قال أمية بن أبي عائذ وذكر حميراً : [من المتقارب] •

وأوردها فيح نجم الفروغ
من صَيْهَد الحر برد السمال[١٠٤]

الصيهد : شدة الحر ، والسملة : الفضلة •

وطلوعه لاثنتين وعشرين تخلو من آذار •

---

(٩٨) ينظر اللسان (سعد) •
(٩٩) ينظر المخصص ج ٩ ص ١٦ •
(١٠٠) الفرغ : نجم من منازل القمر • (اللسان ـ فرغ) •
(١٠١) العرقوة : خشبة معروضة على الدلو ، والجمع عرق •
(١٠٢) العفو ـ بفتح العين وكسرها وضمها ـ والعفا ـ بفتح العين وكسرها ـ : الجحش • وفي التهذيب : ولد الحمار • والجمع أعفاء وعفاء وعِفوة • (اللسان ـ عفا) •
(١٠٣) ينظر المخصص ج ٩ ص ١٦ •
(١٠٤) فسر المؤلف الفاظه •

ثم بطن الحوت[١٠٥] • الحوت كواكب كثيرة مثل خلقة السمكة ؛ وفي موضع البطن من أحد شقي كواكبها نجم منير يسمى بطن الحوت ، ويسمى قلب الحوت • قال الساجع : « اذا طلعت السمكة أمكنت الحركة ، وتعلقت الحسكة ، ونصبت الشبكة ، وطاب الزمان للنسكة »[١٠٦] • الحسكة : شوكة السعدان • [٢٦٦] يعني قد اشتد النبت فتعلقت الحسكة بالثوب ونصبت الشبكة للطير ؛ لانها تسقط حينئذ في الرياض ، وربما عدل القمر فنزل بالسمكة الصغرى ، وهي أعلى في الشمال على مثال صورة الحوت الا انها أعرض وأقصر ، وهي تحت نحر الناقة • وقد يسمى الحوت الرشاء • وطلوعه لأربع خلون من نيسان • ثم يطلع بعد طلوع الحوت السرطان ، ويعود الأمر على ما كان عليه في السنة الأولى • والقمر ينزل بهذه المنازل مقاربا ، وربما نزل مقاربا للمنزل ، وربما نزل [٢٦٧] بالفرجة بين المنزلين ، ويستحبون نزوله بالفرج ويكرهون المكالحة • يقال: كالح القمر اذا لم يعدل عن المنزل • ومن البروج ما يشاكل اسمه صورته كالعقرب والحوت ، ومنها ما لا يشاكل اسمه صورته • ومن المشاكل الاسم للصورة وما يكون بعض صورته له وبعضها لغيره ، ولذلك زاد بعضها على عدد منازله ونقص بعض ، فاذا قطع القمر دائرة الفلك بتنقله في هذه المنازل عاد كما قال تعالى « كالعُرْجُون القديم »[١٠٧] والعرجون: [٢٦٨] عود العذق ، فاذا دَقَّ وصغر واستقوس فحينئذ يشبه الهلال • وتقدير عُرجون : « فُعْلون » من الانعراج • وقال بعض العرب وقد ضَلَّ في مفازةٍ سار فيها والقمر بدر حتى عاد الى النقصان يخاطب جمله :

اسقِ ما الشاربهُ الأكما ‏ ‏ ‏ ‏ إنَّ عيشاً أن ترَى علَما[١٠٧ب]
كيفَ لا تغويك سيرةُ من ‏ ‏ ‏ ‏ عادَ طِفلاً بعدَ ما هرِما

---

(١٠٥) الحوت : برج في السماء • (اللسان) •
(١٠٦) المخصص ج ٩ ص ١٦ •
(١٠٧) سورة يس ، الآية ٣٩ •
(١٠٧ب) كذا في الاصل ، وهي غير واضحة •

وقد شبهت الشعراء القمر في أول طلوعه فأكثرت ولم تأْتِ بتشبيه القرآن مع استقصائها وبحثها في ذلك ، وطلب الآخر التقدم على الأول واعتماد [٢٦٩] كل منهم الاغراب في القول والزيادة في التشبيه على غيره حتى شبّهه بعض العرب بقلامة الظفر فقال : [من المتقارب] •

كأنَّ ابنَ مُزْنتِها جانحاً
قُسيطٌ لدى الأُفقِ من خِنْصرِ (١٠٨)

وزاد الآخر في معنى التشبيه فقال : [من الطويل] •

ولا قمرٌ إلاّ صغيرٌ كأنّه
قلامةُ اظفورِ الفتاة المخضّبِ

وقال العباسي (١٠٩) في هذا التشبيه وذكر زائداً : [من البسيط]

ولاح ضوءُ هلالٍ كاد يفضحه
مِثلَ القُلامةِ قدْ قُدّتْ من الظُفُرِ (١١٠)

وقال بعض العرب في غير هذا التشبيه وأحسن : [من الطويل] [٢٧٠]

لقد سرَّني أنَّ الهلال غُديّةً
بدا وهو محقور الخيال دقيقُ
طواه مرور الدهر حتى كأنّه
عنانٌ لواه باليدين رفيقُ

وللمحدثين فيه تشبيهات مخترعة منها قول ابن المعتز : [من الكامل]

وانظر اليه كزورقٍ من فضة
قد أثقلته حمولة من عنبر (١١١)

---

(١٠٨) في التشبيهات ص ١٣ : وأنشدنا ثعلب ••• والبيت لعمرو بن قميئة (ينظر ديوانه ص ٢٦٤ وديوان المعاني ج ١ ص ٣٣٩) •

(١٠٩) هو ابن المعتز •

(١١٠) كذا في الاصل والتشبيهات ص ١٣ وديوان المعاني ج ١ ص ٣٤٠ ، أما في أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق ص ١٨٨ : قد قصت •

(١١١) ينظر ديوان ابن المعتز ص ٣١٣ والتشبيهات ص ١٢ ،وديوان المعاني ج ١ ص ٣٤٠ •

وقوله ـ أيضا ـ : [من الرجز] .

وقد بَدَتْ فوق الهلال كرته
كهامة الأسود شابت لحيته[112]

وقوله أيضا : [من الكامل]

في ليلةٍ أكلَ المُحاقُ هلالَها
حتى تَبَدَّى مِثلَ وقْفِ العاجِ[113]

[271] وقال الآخر : [من الرجز]

ما للهلالِ ناحلاً في المغربِ
كالنونِ إذ خُطَّ بماء الذهبِ

وقد شَبَّهوا أنضاء الركائب بالأهلة فقال بعض العرب ، وهو من أبيات المعاني : [من الكامل]

ضَمِنَتْ لهم أرماقَهم أسآرُها
وجرومُها كأهِلَّةِ المَحْلِ[114]

يصف قوماً افتظوا ابلهم فشربوا ما في كروشها بعد ما أنضاها السير.

وقال ذو الرمة : [من الطويل]

ألمَّتْ بنا والعيسُ حَسْرى كأنَّها
أهِلَّةُ مَحْلٍ زال عنها قتامُها[115]

وقال أيضاً في تشبيه النؤي[116] بالأهلة : [من الطويل] [272]

---

(112) ينظر التشبيهات ص 13 وديوان المعاني ج 1 ص 340 .
(113) وقف العاج : سوار من عظم ناب الفيل . (ديوان ابن المعتز ص 262 ، والتشبيهات ص 12) ..
(114) السؤر : بقية الشيء ، وجمعه أسار . (اللسان ـ سأر) .
(115) العيس : الابل البيض . حسرى : معيية كأنها أهلة محل لانها خفيفة العجاج بالغبار . (ينظر ديوانه ص643) .
(116) في هامش المخطوطة : « وهو جانب الحوض » . وسيأتي تفسيره .

فلم يَــدْرِ الاّ اللهُ ما هيَجتْ لنا

أهِلّةُ أنْآء الديارِ وشــامُها(١١٧)

وقال جرير يذكر ما أبلت السنون من جديده وحنت من عوده حتى عاد كالهلال ، وأحسن : [من الوافر]

أرى مَرَّ الســنينَ أخَذْنَ منّي

كما أخذ السّرارُ من الهلال(١١٨)

فأما تشبيههم الوجوه بالأهلة والقمران فمشهور كثير في أشعارهم •

ومنه قول ذي الرمة : [من الوافر]

كأنَّ النــاسَ حينَ تَمرُّ حتى

عواتِق لم تكن تــدع الحِجالا

قيــاماً ينظــرون الى بــلالٍ

رفاق الحجِ أبصرتِ الهلالا(١١٩)

ويستحسن قول الأول : [من الكامل] [٢٧٣]

بيضــاء آنسة الحديث كأنَهــا

قمرٌ توسَّط جنح ليــلٍ مبردِ

ومن بليغ الكلام وأخصره قول بعض العرب وقد خلا بمن أحبه : « ما زال القمر يُرينيها حتى اذا غاب أرتنيه » • وأخذ ذلك البحتري فقال : [من الطويل]

---

(١١٧) أناء : جمع نؤي ، والنؤي : ما كان حول البيت يمنع المطر الدخول • الشام : العلامات ، واحدتها شامة • (ديوان ذي الرمة ص ٦٣٦) •

(١١٨) كذا في الأصل ، أما في ديوانه ص ٤٢٦ : رأت مر السنين • السرار : آخر ليلة من الشهر اذا كان ناقصا ، وليلتان اذا كان تامــا يستتر فيهما بضيائه •

(١١٩) العواتق : الأبكار • الحجال : بيت تستتر فيـه الفتـاة • قياما : نصب على الحال • (ينظر ديوانه ص ٤٤٣) •

أَضَرَتْ بضوءِ البَدْرِ والبدرُ طالعٌ

وقامت مقام البدرِ لما تَغَيَّبا[120]

الا أن قول الاعرابي أسبق وأحذق ، أنشده أحمد بن يحيى :

[من الطويل]

اذا احتجبتْ لم يكْفِكَ البدر دونها

وتكفيك منها البدر إنْ فُقِدَ البَدْرُ[121]

وحدثني الامير أبو محمد الحسن بن عيسى ـ رحمه الله ـ قال : قال علي بن الجهم[122] . قلت لجارية لي : نجعل الليلة [274] مجلسنا في القمر . فقالت : « ما أولعك بالجمع بين الضرائر » .

وأنشدني لأبي بديل الوضّاح بن محمد التميمي يمدح المستعين[123] :

[من الطويل]

وقائلةٍ والليل قد نشر الدجى

فغشى به ما بين سهل وفرددِ

أرى بارقاً يبدو من الجوسق الذي

به حَلَّ ميراث النبي محمدِ

فظَلَّ عذارى الجزع ينظمن حوله

ظفار به الجزع الذي لم يُسَرَّدِ

---

(١٢٠) ينظر ديوانه ج ١ ص ٩٦ .

(١٢١) في الهامش : وتكفيك ضوء .

(١٢٢) هو ابو الحسن علي بن الجهم ، ولد في حدود سنة ١٨٨هـ أو قبلها بيسير ، وقتل في عام ٢٤٩هـ . (تنظر ترجمته في مقدمة ديوانه ص ٣ـ٣٧ ، والاغاني (طبعة دار الكتب) ج١ ص ٢٠٣ وما بعدها

(١٢٣) هو احمد بن محمد بن المعتصم من خلفاء الدولة العباسية . توفي سنة ٢٤٩هـ . (ينظر تاريخ الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ٣٧ـ٥٦، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٨٤) .

فقلت : هو البـــدر الذي تعرفينـــه

وإلاّ يكن فالنور من وجـــه أحمد

وأنشدني الجبلي لبعض المحدثين أيضا : [من الطويل]

ومأخـــوذة بالطـرف من كل جـانب

مقسمة بـين الظنـــون الـكواذب

لهـــا منظر لو كان للبـــدر مثلـــه

تأخر كبراً عن جوارِ الكواكبِ

[٢٧٥]

وقد عكسوا التشبيه أيضا في هذا الباب فقال الآخر : [من الكامل]

والبـــدر في أفْقِ السماءِ كأنَّـــه

وجـــه أحـــاط به قنـــاع أزرق

وقال ابن المعتز في المعنى وجمع بين تشبيهين ، إلاّ انه أورد ذلك في بيتين : [من مجزوء الرمل]

وكأنَّ البـــدرَ لمـــا لاح من تحت الثـريّا

ملـــك أقبـــل في تا جٍ يُفـدَّى ويُحيّا[١٢٤]

وقد قرن تشبيه الهلال بتشبيه الثريا أيضا في غير هذا المعنى ، فجمع بين تشبيهين في بيت فقال : [من المنسرح]

يتلو الثـــريا كفـــاغرٍ شَـرِهٍ

يفتـــح فاه لأكْلِ عنقودِ[١٢٥]

[٢٧٦]

وأهل العلم بالشعر مجمعون على أنَّ أحسن التشبيه ما يقـــابل به تشبيهان بمشبهين وان أحـــداً لم يقـــل أحسن من قول امريء القيس : [من الطويل]

---

(١٢٤) ينظر ديوان ابن المعتز ص ٢٥٥ ، وديوان المعاني ج ١ ص ٣٣٦ .

(١٢٥) البيت لابن المعتز . (ينظر اشعار أولاد الخلفاء من كتاب الاوراق ص٨٧ ، وديوان المعاني ج١ ص٣٣٤) .

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رطبا ويابساً
لدى وكرها العنّاب والحشف البالي[126]

وحكي أنَّ بشار قال : ما زلت مذ سمعت امرء القيس أزاول أن أقابل تشبيهين بتشبيهين حتى قلت : [من الطويل]

كأنَّ مثارَ النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه[127]

وبذكر بيت امريء القيس ما حدثني به سالم بن المحسن الكاتب املاءا من حفظه قال : قال الأصمعي : استدعاني [٢٧٧] الرشيد في بعض الليالي فراعني رسله ، فلما مثلت بين يديه إذا في المجلس يحيى بن خالد وجعفر والفضل ، فلما لحظني الرشيد استدناني فدنوت وتبيّن ما لبسني من الوجل ، فقال ليفرخ روعك[128] فما أردناك إلا لما يراد له أمثالك ، فمكثت هنيهة ثم ثابت نفسي ، فقال : إني نازعت هؤلاء في أشعر بيت قالته العرب في التشبيه ولم يقع اجماعنا على بيت يكون الايماء اليه دون غيره ، فأردناك لفصل هذه القضية واجتناء ثمرة الخطار فيها . فقلت : يا أمير المؤمنين : التعين على بيت واحد [٢٧٨] في نوع قد توسعت فيه الشعراء ونصبته معلماً لأفكارها ومسرحاً لخواطرها لبعيدٌ أنْ يقع النص عليه ، ولكنَّ أحسن الناس تشبيهاً أمرؤ القيس ، قال : في ماذا ؟ قلت : قوله : [من الطويل]

كأنَّ عيون الوَحْشِ حول خبائنا
وأرْحلنا الجزعُ الذي لم يُثَقَّبِ[129]

---

(١٢٦) العناب : شجر حبه كحب الزيتون أجوده الأحمر . (ديوان امريء القيس ص ٣٨) .
(١٢٧) ينظر ديوان بشار ج١ ص٣١٨ .
(١٢٨) فرخ روعه : زال خوفه واطمأن .
(١٢٩) ينظر ديوان امريء القيس ص ٥٤ .

وقوله أيضا : [من الطويل]

كأنَّ قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العُنّابُ والحشف البالي(١٣٠)

وقوله أيضا : [من الطويل]

سَموتُ اليها بعدما نامَ أهلُها

سُمُوَّ حباب الماء حالاً على حالِ(١٣١)

[٢٧٩] قال : فالتفت الى يحيى وقال : هذه واحدة قد نصَّ على ان امرءَ القيس أبرع تشبيهاً . فقال يحيى : هي لك يا أمير المؤمنين . ثم قال لي الرشيد : فما أبرع تشبيهاته ؟ قلت : قوله في صفَةَ الفرس : [من المتقارب]

كأنَّ تشوُّفَه بالضحى

تشوُّف أزرق ذي مخلبِ

اِذا بُزَّ عنه جِلالٌ له

تقول سليب ولم يُسلبِ(١٣٢)

فقال الرشيد : هذا حسن ، وأحسن منه قوله : [من الطويل]

فَرُحْنا بكابنْ الماء يُجْنَبُ وسْطنا

تصعَّدُ فيه العين طوراً وترتقي(١٣٣)

فقال جعفر : يا أمير المؤمنين ما هذا هو التحكيم . [٢٨٠] قال الرشيد : وكيف ؟ قال : يذكر أمير المؤمنين ماكاناختياره وقع عليه ونذكر

---

(١٣٠) مر ذكره .
(١٣١) ينظر ديوانه ص ٣١ .
(١٣٢) لم نعثر عليهما في ديوانه .
(١٣٣) كذا في الأصل ، أما في ديوان امريء القيس ص ١٧٦ :تصوب فيه العين . وفي الهامش : « تحدر فيه العين ، وتصوب أيضا » .
يقول : رحنا بفرس كانه ابن الماء في خفته وسرعة عدوه ، وابن الماء طائر .

ما اخترناه ويكون الحكم واقعا من بعد . فقـال الرشيد : أمرضت ؟ قال الأصمعي : فاستحسنتها منه .

يقال : أمرض الرجل اذا قارب الصواب(١٣٤) .

ثم قال الرشيد : تبدأ يا يحيى ؟ فقال يحيى : أشعر النـاس تشبيها النابغة في قوله : [من الكامل]

نظرت اليـك بحاجة لم تَقْضِها
نَظَرَ المريضِ الى وجـوه العُوَّدِ(١٣٥)

وفي قوله أيضا : [من الطويل]

فانَّكَ كالليـلِ الذي هو مُدْرِكي
وإنْ خِلْتُ أنَّ المنتأى عنك واسع(١٣٦)

[٢٨١] وفي قوله أيضا : [من البسيط]

من وَحْشِ وجـرةَ موشيٍّ أكارِعُـه
طاوي المصـير كسيف الصيقلِ الفـردِ(١٣٧)

قال الأصمعي : فقلت : أما تشبيهه مرض العيون فحسنٌ إلاّ أنه قد هجّنه بذكر العلة ، وتشبيه المرأة بالعليل . وأحسن منه قول عَدي بن الرقاع(١٣٨) : [من الكامل]

---

(١٣٤) أمرض أمراضا : قارب الصواب في الرأي .
(١٣٥) ينظر ديوان النابغة الذبياني ص ٥٣ .
(١٣٦) ينظر ديوانه ص ١١٤ .
(١٣٧) وجرة : مكان بين مكة والبصرة فيه وحرش كثيرة . موشي الأكارع : هو الأبيض في قوائمه نقط سود . الطاوي : الضامر . المصير: واحد المصران ، وكنى بـه عـن البطن . كسيف الصيقل : أي يلمـع ، والصيقل : الذي يجلو السيوف . الفرد : الذي لا مثيل له . (ديوانه ص ٣٩) .
(١٣٨) هو عدي بن الرقاع من عاملة حي من قضاعة ، وكان ينزل الشام ، وهاجى جريرا واجتمعا عند عبدالملك . توفي نحو سنة ٩٥هـ . (الشعر والشعراء ج ٢ ص ٥١٥ ، ومعجم الشعراء ص ٨٧) .

وكأنَّهـا بين النسـاءِ أعـارها

عينيـه أحـورُ من جـاذرِ جاسم(١٣٩)

وسـنان أقْصده النعـاس فرنَّقتْ

في عينـهِ سِنَةٌ وليس بنـائمِ(١٤٠)

وأما تشبيه الادراك بالليل فقد يتساوى الليل والنهار فيما يدركانه ، وانما كان سبيله أن يأتي بما ليس له قسيم [٢٨٢] حتى يأتي بمعنى ينفرد به • ولو شاء قائل أن يقول قول النمري أحسن لوجد مساغاً ، وهو قوله :

[من الكامل]

لو كنت بالعنقـاء أو بأسـومها

لخلتـك إلا أنْ تصـدَّ تـراني

وأما قوله : « كسيف الصيقل الفرد » ، فالطرماح أحق بهذا المعنى؛ لانه أخذه فجوَّده وزاد عليه وان كان النابغة افترعه • وقول الطرماح :

[من الكامل]

يبـدو وتضمره البـلاد كأنَّه

سيفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمدُ(١٤١)

---

(١٣٩) كذا في الاصل ، أما في الشعر والشعراء ج ٢ ص ٥١٧ والاغاني (طبعة دار الفكر) ج ٨ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ : وسط النساء •

(١٤٠) أقصده : صرعه • رنقت : خالطت ، والترنيق : الدنو من الشيء • (ينظر حماسة ابن الشجري ص ١٩٤ ، والايجاز والاعجاز ص ٤٤ ، والكامل ج ١ ص ١٢٧ ، والحماسة البصرية ج ٢ ص ٥١٦ ،وأمالي المرتضى ج ١ ص ٥١١ ، والتشبيهات ص ٩٠ ، وشرح الشريشي ج ٤ ص ٧١ ، والبديع في نقد الشعر ص ١٧٣ ، وخاص الخاص ص ٨٣ والمصون ص ٥١ ، ونهاية الارب ج ٢ ص ٥٠ ، والموازنة ج ٢ ص ١٨٦، ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٣٣٦ ، والمختار من شعر بشار ص ٢١٦ ومعجم البلدان (جاسم) •

(١٤١) ينظر ديوانه ص ٩١ • والاغاني (دار الكتب) ج١٢ ص٤١ •

فقد جمع في هذا البيت استعارة لطيفة بقوله : « وتضمره البلاد » ، وتشبيه اثنين بائنين في قوله : « يبدو ويختفي [٢٨٣] ويسل ويغمد » وجمع حسن التقسيم(١٤٢) ، وصحة المقابلة(١٤٣) . قال : فاستبشر الرشيد وبرقت أسارير وجهه حتى خلت برقاً يومض منها . وقال ليحيى : نضلتك(١٤٤) ورب الكعبة ، وامتقع يحيى ، فكأنَّ المَلَّةَ(١٤٥) ذُرَّ على وجهه ، فقال الفضل : لا تعجل يا أمير المؤمنين حتى يمر ما قلته أيضا بسمعه . فقال : قل . قال : قول طرفة : [من الطويل]

يَشُقُ حبابَ الماء حيزومُها بهـا
كمـا قَسمَ الترب‌َ المفـايل‌ُ باليد(١٤٦)

وقوله أيضا : [من الطويل]

لعَمرك إنَّ المـوت ما أخطـأ الفتى
لكالطِّوَلِ المُرْخى وثنيـاه باليـدِ(١٤٧)

[٢٨٤]

وقوله أيضا : [من الطويل]

وجـه كـأن الشمس حلت قناعهـا
عليه نقي اللونِ لم يتَخَدَّدِ(١٤٨)

---

(١٤٢) ينظر نقد الشعر ص ١٤٩ .
(١٤٣) ينظر نقد الشعر ص ١٥٢ .
(١٤٤) نضل : سبق وغلب .
(١٤٥) الملة : الرماد الحار .
(١٤٦) حباب الماء : أمواجه . الحيزوم : الصدر . الفيال : ضرب من اللعب . (ينظر ديوانه ص ٣١ ، وشرح المعلقات السبع ص ٧٩) .
(١٤٧) الطول : الحبل الذي يطول للدابة فترعى فيه . الارخاء : الارسال . الثني : الطرف ، والجمع الاثناء . (ينظر ديوانه ص ٥٣ ، والمعلقات ص ٧٩) .
(١٤٨) كذا في الاصل ، اما في ديوانه ص ٣٣ ، وشرح المعلقات ص ٥٨ ، حلت رداءهـا .

قال : فقلت : هذا حسن كله وغيره أحسن منه ، وقد شركه في هذا المعنى جماعة من الشعراء . وبعد فطرفة صاحب واحدة لا يقطع بقولة على البحور ، وانما يُعَدُّ مع أصحاب الواحدات . قال : ومن هم ؟ قلت : الحارث بن حلزة في قوله : [من الخفيف]

آذَنَتْنا ببينها أسماءُ

رُبَّ ثاوٍ يملُّ منه الثواءُ(149)

والأشعر الجعدي الجعفي في قصيدته التي أولها : [من الكامل]

هل تابَ قلبكَ من سليمى فاشتفى

ولقد عنيت بحبها فيما مضى

[285] والأفوه الأودي(150) في قوله : [من الطويل]

إنْ تَري رأسيَ فيها قَزَعٌ

وشواتي خَلَّةٌ فيها دوار(151)

وعلقمة بن عبدة الفحل(152) في قوله : [من الطويل]

طحا بكَ قلبٌ في الحسانِ طروبُ

بُعيد الشبابِ عَصْرَ حانَ مشيبُ(153)

وسويد بن أبي كاهل في قوله : [من الرمل]

---

(149) الايذان : الاعلام . البين : الفراق : الثواء والثوى : الاقامة . (ينظر شرح المعلقات السبع ص 197)

(150) هو صلاءة بن عمرو من الشعراء القدامى في الجاهلية . (الشعر والشعراء ج1 ص149 ، والاغاني (دار الكتب) ج12 ص169).

(151) القزع : بقايا الشعر ، الواحدة : قزعة . (ديوان الأفوه الاودي (الطرائف) ص 11 ، والشعروالشعراء ج 1ص149 ،والحماسة البصرية ج6 ص49) .

(152) شاعر جاهلي .) الشعر والشعراء ج1 ص145 ، وطبقات ابن سلام ص 116) . وقد نشر ابن أبى شنب ديوانه وطبعه في الجزائر سنة 1925 .

(153) طحابك : اتسع بك وذهب كل مذهب . (المفضليات ص391) .

بسطت رابعةُ الحبلَ لنـا

فمددنا الحبل منها ما اتسـع[١٥٤]

وعمرو بن كلثوم[١٥٥] في قوله : [من الوافر]

ألا هبّي بصحنـك فاصبحينـا

ولا تبقي خمـور الأندرينا[١٥٦]

وعمرو بن معدي كرب[١٥٧] [من الوافر] [٢٨٦]

أمن ريحانة الداعي السميـعُ

يؤرقني وأصحابي هجـوعُ[١٥٨]

قال : فاستخفت الرشيد الأريحية فقال : ادنـه ، فانـك جحيش وحدك .

قال : فزاد في عيني نبلاً فقال جعفر متمثلا : [من الرجز]

البثْ قليلا يلحق الهيجا جمل

يعرّض بانه يجوز أن يدرك هو ما يحاوله . فقال الرشيد : [من الكامل]

فأتتـك والله السوابق بعـدها

وجئت سـكيتاً ذا زوائـد أربـع

ورأيت الحمية في وجهه فقال جعفر : على شريطة حلمك يا أمير المؤمنين .

---

(١٥٤) ينظر المفضليات ص١٩١ .

(١٥٥) تنظر ترجمته في الشعر والشعراء ج١ ص١٥٧ .

(١٥٦) الاندرينا : قرى بالشام . (شرح المعلقات السبع ص١٥٠) .

(١٥٧) هو من مذحج ، ومن فرسان العرب المشهورين بالبأس في الجاهلية . (ينظر الشعر والشعراء ج١ ص٢٨٩) .

(١٥٨) ريحانة : امرأته المطلقة ، وقيل : أخته أم دريد بن الصمة . السميع : المسمع . (الاصمعيات ص١٧٢ والشعر والشعراء ج١ص٢٨٩)

فقال أتراه يسع غيرك ويضيق عنك ؟ فقال جعفر : لست أنص على شاعر واحد [٢٨٧] انه أحسن بيت واحد تشبيهاً ، ولكن قول امريء القيس : [من الطويل]

كأنَّ غلامي إذ علا حالَ متنه
على ظهر بازٍ في السماءِ مُحَلِّقِ (١٥٩)

وقول عدي بن الرقاع : [من الكامل]

يتعاوران من الغبار مُلاءةً
غبراء محكمةً هما نسجاها
تطوى إذا وردا مكانا جاسياً
وإذا السنابكُ أسهلت نَشَراها (١٦٠)

وقول النابغة الذبياني : [من الطويل]

فانك شمسٌ والملوك كواكبٌ
إذا طلعت لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ (١٦١)

قال : فقلت : هذا كله حسن بارع وغيره أبرع منه ، وانما يحتاج أن يقع التعبير على ما افترعه قائله فلم يتعرض له ، [٢٨٨] أو تعرض له شاعر فوقع دونه • فأما قول امريء القيس :

على ظهر بازٍ في السماء محلق

فمن قول أبي دؤاد (١٦٢) : [من المتقارب]

---

(١٥٩) ينظر ديوانه ص١٧٣ •
(١٦٠) كذا في الاصل ، أما في الطرائف ص٩٦ : بيضاء مخملة • (تنظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ١٥ص٣٤٠ـ٣٥٠ ، ففيها شعر ابن الرقاع الذي جمعه الاستاذ خليل مردم) •
(١٦١) ينظر ديوانه ص٢٥ •
(١٦٢) هو جارية بن الحجاج المعروف بأبي دؤاد الايادي (تنظر ترجمته في الشعر والشعراء ج١ص ١٦١ ، وشواهد المغني ج١ص ٣٥٩ ، ودراسات في الادب العربي لفون غرنباوم ص ٢٥٥) •

إذا شـاءَ راكبـهُ ضمّه

كما ضَمَّ بازٍ اليـه الجناحـا[163]

وأما قول ابن الرقاع :

يتعاوران من الغبار ملاءة

فمن قول الخنساء : [من الكامل]

جـارى أبــاه فأقبــلا وهمــا

يتعاوران مُـلاءَةَ الفَخْرِ [164]

وأول من نطق بهذا المعنى شاعر قديم من عقيل فقال : [من الطويل]

ألا يـا ديـارَ الحي بالبـردانِ

عَفَتْ حجج بعدي لهنَّ ثمانِ [165]

فلم يَبْقَ منها غير نؤى مهدمٍ

وغير أثـافٍ كـالركي دفـانِ

واثـار هابٍ أورق اللون سافرت

به الريح والأمطـار كـل مكانِ

[٢٨٩]

قفـارٌ مرورات يحار بهـا القطـا

ويُضحي بها الجأبانِ يعتركان[166]

---

(١٦٣) كذا في الاصل ، أما في شعر أبى دؤاد (دراسات في الادب العـربى ص ٣٠٢) :

اذا شاء فارسه ضمه كما ضم باز اليه الجناح

(١٦٤) الملاءة : الريطة ، استعارتها للفخر يلبسها أبوها مرة واخوها اخرى · (ديوان الخنساء ص ٧٦) ·

(١٦٥) البردان : مواضع كثيرة · والابيات لعميرة بن جعيل بن عمرو ابن مالك بن الحارث بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب · (ينظـر معجم البلدان (البردان) ·

(١٦٦) الجأب : الحمـار الغليظ من حمر الوحش ، ويقـال للظبية حين يطلع قرنها جابة المدرى · (اللسان) ·

يُثيران من نسج العجاج عليهما

قميصين اسمالاً ويرتديان

وأما قول النابغة :

فانك شَمْسٌ والملوك كواكبٌ

فقد تقدمه شاعر من شعراء كندة فيه يمدح عمراً بن هند ، وهو أحق به من النابغة إذْ كان أبا عذره ، فقال : [من الطويل]

تكاد تميد الأرضُ بالناس إنْ رأوا

لعمرو بن هندٍ غضبةً وهو عاتبُ

هو الشمس راقت يوم سعد فأفضلت

على كل ضوء والملوك كواكبُ

قال : فكأني ألقمت جعفراً حجراً فاهتز الرشيد من فوق سريره أشرا وكاد يطير منه عجبا وطربا [٢٩٠] وقال : يا أصمعي اسمع الآن ما وقع عليه اختياري . قلت : ليقل أمير المؤمنين أحسن الله توفيقه .

فقال : قد عيّنت على ثلاثة أشعار أقسم باللهِ انني أملك قصب السبق بأحدها . فقال يحيى : خفض على همتك يا أمير المؤمنين فيأبى الله إلا أن يكون الفضل لك . ثم قال الرشيد : أتعرف تشبيهاً أفخم وأعظم في أحقر مشبه وأصغره وأنزره في احسن معرض من قول عنترة الذي لم يسبقه اليه سابق ، ولا طمع في مجاراته طامع حين شبّه ذباب الروض العاذب في قوله : [من الكامل]

[٢٩١]

وخلا الذباب بها فليس ببارحٍ

غرداً كفعل الشاربِ المترنمِ

هَزِجاً يحك ذراعه بذراعه

قدح المكب على الزناد الأجذم[١٦٧]

ثم قال : هذا من التشبيهات العقم . قلت : هو كذاك يا أمير المؤمنين وبمجدك آليت ما سمعت أحداً وصف شعراً أحسن من هذه الصفة . فقال: مهلاً لا تعجل ، أتعرف أحسن من قول الحطيئة[١٦٨] يصف لغام ناقته[١٦٩] ، وتعلم أحداً قبله أو بعده شبّه تشبيهه فيه حيث يقول : [من الطويل]

ترى بين لحييها إذا ما ترغّمَتْ

لغاماً كبيت العنكبوت المُمَدَّدِ[١٧٠]

فقلت : يا أمير المؤمنين : لا واللهِ ما علمت أحداً تقدمه [٢٩٢] أو أشار الى هذا التشبيه قبله . فقال : أتعرف أبدع وأوقع من تشبيه الشماخ[١٧١] لنعامة سقط ريشها وبقي أثره حيث يقول : [من البسيط]

---

(١٦٧) البيتان من معلقته . (ديوانه ص ١٢٣ ، وشرح المعلقات السبع ص ١٧٩) . البراح : الزوال . التغريد : التصويت . الترنم : تردد الصوت بضرب من التلحين . هزجا : مصوتا . المكب : المقبل على الشيء . الاجذم : الناقص اليد .

(١٦٨) هو جرول بن أوس ، جاهلي اسلامي . (الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٣٨) .

(١٦٩) اللغام : زبد أفواه الجمال .

(١٧٠) يروى : تزغمت . والتزغم : صوت ضعيف ، وقيل : تزغمت : غضبت . (ينظر ديوان الحطيئة ص ٤٩) .

(١٧١) هو معقل وقيل : الهيثم . جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الجاهلية ، أدرك الاسلام فأسلم وحسن أسلامه . توفي في زمن عثمان رضي الله عنه . (ينظر الشعر والشعراء ج١ص ٢٣٢ ، والاغاني (دار الكتب) ج٩ ص١٥٨ ، والموشح ص٩٤) .

كأنما منثنى أقمـاع ما مرطت

مـن العفـاء بليتيها الثـآليـل[172]

فقلت : لا والله • فالتفت الى يحيى بن خالد فقال : أوَجَب ؟ قال : وجب • قال : فأزيدك • قال : وأي خير لم يزدني منه أمـير المؤمنـين • قال : قول النابغة الجعدي : [من الطويل]

رَمَى ضَرْعَ نـابٍ فاستقـل بطعنـةٍ

كحاشيةِ البُرْدِ اليماني المسهَّم[173]

ثم التفت الى الفضل فقال : أوجب ؟ قال : وجب • قال : [٢٩٣] ازيدك قال : ذاك الى أمير المؤمنين • قال : قول الأعرابي : [من الطويل]

بها ضرب أَذْناب العَظاء كأنَّـه

ملاعبُ ولدانٍ تخـط وتمصع[174]

ثم التفت الى جعفر فقال : أوجب ؟ قال : وجب • قال : أزيـدك ؟ قال : لأمير المؤمنين علو الرأي • قال : قول عدي بن الرقاع : [من الكامل]

تُزجي أغَنَّ كأنَّ إبـرةَ روقـه

قَلمٌ أصاب مـن الـدواة مدادها[175]

قال : فقلت : يا أمير المؤمنين هذا بيت حسد عدياً عليه جرير • قال:

---

(١٧٢) ويروى : اقمـام ما مرحت • (ديوان الشماخ ص٨٠) أقماع : جمع قمعة ، وهى بثرة تخرج في أصول الاشـفار • مرطت : أسرعت • الثآليل : البثور التي تكون في الجسد • (وينظر النهاية لابن الاثير ج١ ص ٢٠٥ واللسان (ثال) •

(١٧٣) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص ١٤٣ : فاستمر بطعنة • الناب : الناقة المسنة • البرد المسهم : المخطط بصور على شكل سهام•

(١٧٤) العظاية : على خلقة سام أبرص ، والجمع : عظايا وعظاء • يمصع : يسرع ، ويمصع الرجل في الارض : يذهب فيها •

(١٧٥) الروق : القرن • (ينظر الشعر والشعراء ج٢ ص٥١٦) •

وكيف ذاك ؟ قلت : زعم أبو عمرو أنَّ جريراً قال : لما ابتدأ عدي ينشد:

[من الكامل]

عرفَ الديار توهماً فاعتادها

من بعد ما شمل البلى أبلادَها(١٧٦)

[٢٩٤] قلت في نفسي : قد ركب مركباً صعباً سيبدع به • فما زال يتخلص من حسن الى حسن حتى قال :

تزجي أغنَّ كأنَّ ابرةَ روقه

قال : فرحمته ، وظننت أنَّ مادته ستقصر به • فلما قال :

قلم أصاب من الدواة مدادَها

حالت الرحمة حسداً •

قال : لله درك يا أصمعي • ثم أطرق ورفع طرفه اليَّ وقال : أتراك تغبنني عقلي بانحطاطك في هواي • فقلت : كلا ، واللهِ يا أمير المؤمنين انك لتجل عن الحرش(١٧٧) • قال : انظر حسناً • قلت : قد نظرت •

قال : فالسبق لمن ؟ قلت : لأمير المؤمنين • قال : قد أسهمت [٢٩٥] لك فيه العشر ، والعُشْر كثير • ثم رمى بطرفه الى يحيى وقال : المال تهدداً ووعيدا الساعة وأولى لك • قال : فما كان إلا كلا ولما حتى نضدت البِدَر(١٧٨) بين يديه الى أن كادت تحول بيني وبينه ، ورأيت ضوء الصبح قد غلب على ضوء الشمع فأشار الى خادم على رأسه أنْ مكِّنْه • وقال : هي ثلاثة ألف ألف درهم ، فدونك فاحتمل ثلاثين بدرة وانصرف الى منزلك• ونهض عن مجلسه وأمر الخدم لمعاونتي على تعجيل حمله ، فاحتمل كل

---

(١٧٦) تنظر القصة أيضا في معجم الشعراء ص٧٦ •

(١٧٧) الحرش • الخشن •

(١٧٨) البدرة : كيس توضع فيه كمية من الدراهم •

خادم بدرةً ولا يكاد يستقل بها فكانت أسعد ليلة ابتسم فيها [٢٩٦] الصباح عن ناجذ الغنى •

قوله عز وجل : « لا الشمس ينبغي لها أنْ تدرك » متعلق بما قبله من التشبيه فوجب الكلام فيه ، وذلك ان عود القمر هلالاً انما هو لانحراف النور فيه لقربه من الشمس ، فاخبر ــ جَلَّ اسمه ــ بحال الادراك في القرب وان ذلك ليس من جهة الشمس بل من جهة القمر لسرعة سيره• ثم قال تعالى : « ولا الليل سابق النهار » أي : هما على نظام لا يزول عن نسبته ولا يختلف في كيفيته • وجائز أنْ يكون خَصَّ النهار بالسبق ، لانه موجود بوجود الشمس [٢٩٧] من غير أن يكون اسم الليل والنهار وقع على الزمان ووجب السبق للنهار لمّا كان الدليل منه • قال الله تعالى مالو تأملته لوجدت بين الكلامين تفاوتاً بيناً يخبر باعجاز القرآن وقصور القدرة عن مماثلته • وهذه حال كافة العرب على عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهم أرباب الفصاحة وأمراء البلاغة ، ومنهم الخطباء والشعراء ومن لا يقعد به بيان ولا يخذله خاطر ولا لسان ، ولا يدرك مداه في براعة القول واقامة الحجة واستيفاء المعاني ومواتاة القريحة مع وقوع التحدي لهم [٢٩٨] بما لا يخرج عن شأنهم ولا ينافي سنة طباعهم لولا مكان الآية فيه وظهوراً لمعجزته ، فكانت القرائح مصروفة عن معارضته والخواطر مفحمة عن مضاهاته والألسنة مكفوفة عن النطق بمثله ، وذلك قوله تعالى : « قُلْ لئن اجتمعتِ الأِنْسُ والجِنُّ على أنْ يأتوا بمثل هذا القرآنِ لا يأتون بمثله ولو كَان بعضهم لبعضٍ ظهيرا »[١٧٩] •

---

(١٧٩) سورة الاسراء ، الآية ٨٨ •

سورة الصافات

قوله ـ عزوجل ـ : « وعندهم قاصرات الطَّرْفِ عِينٌ • كأنهنَّ بيض مكنون »(١) •

وصف نساء أهل الجنة بانهن [٢٩٩] قاصرات الطرف مع حسن العيون لا من شينٍ يمنعهن من طموح النظر وانما ذلك للعفة والخفر • ثم شبههن بالبيض المكنون تأكيداً للصفة بالتشبيه فأخبر بذلك انهن في سترٍ وكن عن التبرج ، وجعل وصف البيض دالاً على هذه الحال من وصفهن • وهذا الكلام غاية في مناسبة الوصف ومطابقته وبلاغة معنى التشبيه وموافقته• وجاء في التفسير انه تعالى وصفهن بقصور الطرف على أزواجهنّ وشبههن بالبيض لحسنه وصفائه ورونقه • وقد تناقل الشعراء هذا التشبيه [٣٠٠] فقال العبادي(٢) : [من الخفيف]

كدمى العاجِ في المحاريب أوكالـ
بَيْضِ في الروضِ زَهْرُه مُستنيرُ(٣)

وقد استحسن هذا البيت جماعة من أصحاب المعاني وذكروا فيه انه شبَّه ألوان الثياب التي عليهن بألوان نور الرياض وزهوة حمرته وصفرته ، وجعل البيض في الروض ليكون أحسن له ، وكذلك قات

---

(١) سورة الصافات ، الآيتان ٤٨ ، ٤٩

(٢) هو عدي بن زيد العبادى الشاعر الجاهلى • (الشعر والشعراء ج١ص ١٥٠ ، ومعجم الشعراء ص ٨٠ ، ومقدمة ديوانه) •

(٣) ينظر ديوانه ص ٨٤

الأوسية : «أحسن الأشياء القصور البيض في الحدائق الخضر» إلاّ انه لم يوصف البيض في هذا الباب بأحسن ولا أجمع لمعاني الوصف مما نطق به التنزيل ، فانّ لفظة «مكنون» متضمنة [٣٠١] معنى السلامة والخلوص من جميع العوارض التي تنتقص رونقه ، وتشين بياضه وتكسف بهاه مع ما قدمنا فيه من القول الأول في تأويل الآية • وهذه الجملة زيادة على ما ذكره الشاعر ، لان نساء الجنة يستغنين عن الوصف الذي أشار بالتشبيه إذ كانت الجنة أنضر من الروض حسنا ، وأبهى منظراً • وعلى اكثر الشعراء من تشبيه النساء بالبيض ووصفه بما يدل على حال المشبه به فما أتوا ببلاغة تشبيه القرآن ، ولا قدروا على نقل لفظه من هذا المكان • [٣٠٢] وقد أطالوا وأقصروا ، وأوردوا وأصدروا ، فقال زهير : [من الكامل]

أو بيضة الأدْحيّ بات شعارها
كَنَفا النعامة جُؤْجُؤٌ وعِفاء[٤]

وقال الآخر [من الطويل]

ولا بيضة بالوعس من فوق مطرقٍ
يجللها رق الجناح ظليمُ
بأحسنَ منها يوم قالت بدّلها
كأنك مذ خفت الفراق سقيمُ

وقال المخبّل[٥] وذكر امرأة أيضا : [من الكامل]

وتُريك وجهاً كالوذيلة لا
ظمآن مختلج ولا جهمُ

---

(٤) في الأصل : وهواء • شعارها : غطاؤها • كنف الشيء : جانبه • الجؤجؤ : الصدر • الأدحي : موضع بيض النعامة • وكنفا النعامة : جناحاها • العفاء : الريش ، ويقال الزغب معه أيضا • (شرح ديوان زهير ص٣٤٠) •

(٥) هو الربيع بن ربيعة ، شاعر فحل من المخضرمين • (الشعر والشعراء ج١ ص٣٣٣ ، والاغاني (دار الكتب) ج١٣ ص١٨٩) •

أو بيضة الدعص التي وضعت
بالأرض ليس لمسها حجم

[٣٠٣]

سمت قرائنها وأدفأها
هيقٌ كأنَّ جناحه هدم[٦]

وقال ابن ميادة[٧] في مثله : [من السريع]

كأنَّها وهي على طيبها
يفوح منها المسكُ والعنبرُ
بيضة أدحيٍّ لها حاضن
هجنَّع ذو هَدَبٍ أزعرُ
في روضة خضراء موسومة
بات يدنيها إذا تمطرُ
حتى إذا الصبح بدا ضوؤه
لاح ومنها واضح أزهرُ
أقلع عنها وهي في رأدها
لها شعاع ولها منظرُ

وقال عبد بني الحسحاس[٨] : [من الطويل]

---

(٦) الوذيلة : المرآة (طائية) ، والوذيلة : السبيكة من الفضة .
الدعص : تل الرمل المجتمع المستدير .
الهيق : ذكر النعام .
(٧) هو الرماح بن يزيد ، وقد أدرك بنى العباس . (الشعر والشعراء ج٢ ص٦٥٥ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٠٦ ، والاغانى (دار الكتب) ج٢ ص٢٦١) .
(٨) هو أبو عبدالله سحيم ، قتل في حدود سنة ٣٥هـ وقيل : فى حدود الاربعين . (الشعر والشعراء ج١ ص٣٢٠ ، ومقدمة ديوانه) .

فما بيضةٌ بـاتَ الظَّليمُ يحفُّها
ويرفــع عنهـا جؤجـؤاً متجافيـا[٩]

[٣٠٤]

ويجعلها بـين الجنــاح ودفّـه
ويُفرشُها وحفاً من الزِفِّ وافيـا

ويرفـع عنهـا وهي بيضـاء طلـة
وقد صادفت قرنا من الشمس ضاحيا[١٠]

بأحسن منهـا يـوم قالت : أرائحٌ
مـع الـركب أم ثاوٍ لدينـا لياليا

وأول من نطق بهذا التشبيه من الشعراء امرؤ القيس في قوله : [من الطويل] •

كبــكر المقاناة البيــاض بصفـرةٍ
غذاها نمير المـاء غـير محلــلِ[١١]

وهو من الهجنة والكلفة وتعسف العبارة على ما تراه •

وأما قوله : [من الطويل]

وبيضة خدر لا يرام خباؤها[١٢]

---

(٩) ينظر ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ص ١٨ •
(١٠) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص ٨ :
فيرفـع عنهـا وهي بيضـاء طلة وقدواجهت قرنا من الشمسضاحيا
(١١) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص ١٦ ، وشرح المعلقــات السبع ص ٢٢ : غير المحلل •
البكر : البيضة الاولى من بيض النعـام ، وهي ـ أيضـا ـ الدرة التى لم تثقـب •
المقاناة : الخلط • يريد ان المرأة بيضاء يخالط بياضها صفرة •
غير المحلل : أي : لم ينزل عليه فيكدر •
(١٢) وعجزه : تمتعت من لهو بها غير معجل • (ينظر ديوان أمريء القيس ص ١٣) •

فهو من باب الاستعارة . وقد كنى ذو الرمة عن البيض بصفة النساء فقال : [من الطويل]

وبيض رفعنـا بالضحى عن متونها
سماوةَ جَوْنٍ كالخباء المقوّضِ (١٣)

[٣٠٥] وقال ذو الرمة أيضا يشبه البيض بالنجوم ، وذكر الظليم : [من الطويل]

يغادر في الادحيّ بَيْضاً كأنّه
نجومُ الثريا لاح بين السحائبِ (١٤)

وعكس ابن المعتز هذا التشبيه فقال : [من الكامل]

وترى الثريا في السماء كأنها
بيضات أدحي يلحن بفدفدِ (١٥)

والشعر في هذا الباب كثير جدا ، وحسبك ما بلغك المحلا .

تشبيه آخر من هذه السورة : قوله ـ عز وجل ـ : « إنّها شَجَرةٌ تخرجُ في أصل الجحيم . طلْعُها كأنّه رؤوس الشياطين » (١٦) .

قال ابن عباس : كان لأهل مكة جبال قبيحة المنظر ، وكانوا يسمونها [٣٠٦] رؤوس الشياطين لقبحها اذا نظروا اليها ، فشبه لهم ثمر الزقوم في المنظر بتلك الجبال . ويجوز أيضا حمل ذلك على مذهب العرب في

---

(١٣) وبيض : يعني بيض النعام . جون : أسود ، يعنى الظليم وهو ذكر النعام . السماوة : شخصه . رفعناه : أي فزعناه فقام عن بيضه . الخباء : البيت . المقوض : الذى هلك وقلعت أوتاده ، وقوضت البيت : اذا هدمته . (ديوان ذي الرمة ص ٣٢٤) .

(١٤) كذا في الاصل ، أما فى الديوان ص ٦٥ :

تبادر بالادحي بيضا بقفرة كنجم الثريا لاح بين السحائب

(١٥) كذا في الاصل ، أما فى الديوان ص٣٣ : بيض بادحي يلحن بفدفد .

(١٦) سورة الصافات ، الآيتان ٦٤،٦٥

تسميتهم كل ما يستعظمونه شيطانا ، وتشبيههم بالشياطين على سبيل التهويل، وهو وجه حسن مأثور • قال الشاعر : [من الرجز]

ما ليلة الفقيرِ إلا شيطانْ[١٧]

الفقير : بئر معروفة •

قال امرؤ القيس وذكر رجلا : [من الطويل]

أيقتلُني والمَشْرَفيّ مضاجعي
ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أَغْوالِ[١٨]

الغُول : الشيطان • يعني كأنياب الشياطين على التهويل • [٣٠٧]

ولما ذكر الله تعالى شجرة الزقوم افتنّ بذكرها المشركون فقال بعضهم: « النار تأكل الشجر فكيف ينبت فيها الشجر ؟ » فلذلك قال سبحانه : « وما جَعَلْنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً للناس والشجرةَ الملعونةَ في القرآن »[١٩] يعني : الملعون آكلها •

وقال : عز وجل ـ في سورة أخرى : « إنَّ شجرةَ الزَّقوم • طعامُ الأثيم • كالمُهْلِ يغلي في البطون • كغلي الحميم • »[٢٠]

وقال ـتعالىـ : « فإنّهم لآكلون منها ، فمالئون منها البطون »[٢١]•

الزقوم : كل ما أكل بتكره شديد ، ولهذا يقال : « قد تزقّم هذا الطعام تزقماً » • أي : هو في حكم ما أكله بتكره شديد ؛ لانه يحشو به [٣٠٨] فمه ويأكله بشره فيه • ومن هنا غلط بعض المشركين فأتى بتمر وزبد ،

---

(١٧) وعجزه : مجنونة تودي بروح الانسان •
الفقير : ركية بعينها • والعرب تقول للشيء اذا استصعبوه : « شيطان » • (اللسان ـ فقر) •

(١٨) المشرفي : سيف نسب الى قرى بالشام يقال لها المشارف • (ديوانه ص ٣٣) •

(١٩) سورة الاسراء ، الآية ٦٠

(٢٠) سورة الدخان ، الآيات ٤٣ـ٤٦

(٢١) سورة الصافات ، الآية ٦٦

وقال : « ما نعرف الزقوم إلا هذا فتزقموا » أي : املأوا به أفواهكم .

المهل : الشيء يذاب حتى يماع بالنار ، وهو مهل لانه يمهل في النار حتى يذوب . وهم يصفون كل مذموم من الطعام بأنه يغلي في البطون كأكل الربا والغصب ونحوه . وكذلك يقولون : «الحقد يغلي في قلبه» و «العداوة تغلي في صدره» على الاستعارة . قال الشاعر : [من الكامل] [٣٠٩]

وألـــد ذي حنـــقٍ عليّ كأنما

تغلي عـــداوة صـــدره في مرجـلِ

وقرأ ابن كثير وعبدالله بن عامر وحفص عن عاصم : «يغلي» بالياء ، والباقون بالتاء . الاول : على تذكير المهل ، والثاني : على تأنيث الشجرة .

ســورة فصلت

قوله ـ عز وجل ـ : « ولا تَسْتوي الحَسَنَةُ ولا السيئةُ ، ادفَعْ بالتي هي أَحْسَنُ ، فاذا الذي بينَك وبينه عداوةٌ كأنّه وليٌ حميم »[١].

المعنى : ولا تستوي الحسنة والسيئة ، ف «لا» زائدة مؤكدة . قوله : « ادفع بالتي [٣١٠] هي أحسن » . أي : ادفع السيئة بالتي هي أحسن

قال الشاعر : [من الطويل]

وحييَ بني الأضغان تَسْبِ عقولَهم
تحيتك الحسنى ، فقد تُرْقَع النَّعْلُ[٢]

فالحسنة : يعني المداراة . والسيئة : يعني الغلظة فأدب الله عباده بهذا الأدب ، وقال النبي ـ عليه السلام ـ : « انكم لن تَسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم »[٣] . وقال ـ صلى الله عليه ـ : « بعث

---

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٤ . وفي الاصل : سورة السجدة .

(٢) في عيون الاخبار ج ٢ص١٨ : «وفد العلاء بن الحضرمي على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « اتقرأ من القرآن شيئا ؟» فقرأ: «عبس» وزاد من عنده : « وهو الذى اخرج من الحبلى نسمة تسعى، من بين شراشيف وحشى » ، فصاح به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال له : « كف فان السورة كافية » . ثم قال : « هل تروي من الشعر شيئا ؟ » فأنشده : حيي .. فقال النبى ـ عليه السلام ـ : « ان من الشعر حكما ، وان من البيان سحرا » .

(٣) ينظر النهاية ج٥ ص١٨٤ .

الحنيفية السهلة »[٤] • وقال له رجل : « يا رسول الله أوصني » • قال : « لا تغضبْ » • قال : « زدني » • قال : « لا مزيد » •

ومن كلام أكثم[٥] لولده : « يا بني الق عـدوك بحسن البشر ، واخْفِ عنه ما في الصدر» • وقال سالم بن وابصة [٣١١] في ابن عم له وكان يعاديه ويعتدي عليه ، فلم يزل سالم يداريه وينزع عن قلبه ، حتى عاد الى مودته : [من البسيط]

داويت صـدراً مبيناً غلّـه حقـداً
منـه وقلمت أظفـاراً بلا قلـمِ
فأصبحت قوسـه دوني مقوسـة
ترمي عـدوي جهـلاً غـير مكتتمِ[٦]

وقال عمر بن ذر : « إني لا أكافىء من عصى الله فيَّ بأكثرِ من أن أطيع الله فيه » •

ومَرَّ الشعبي بقوم ينتقصونه فأنشد قول كثير : [من الطويل]

هنيئاً مريئاً غـير داءٍ مخـامرٍ
لعزة من أعراضنـا ما استحَلتِ[٧]

وأسمعه يوماً رجلٌ كلاماً فقال له : إنْ كنت صادقاً فغفر [٣١٢] الله لي ، وإنْ كنت كاذباً فغفر الله لك » •

وحكي ان رجلاً شتم الحسن البصري[٨] ـ رحمه الله ـ وأربى ،

---

(٤) في النهاية ج١ص٤٥١ : « بعثت بالحنيفية السمحة السهلة » •
(٥) هو اكثم بن صيفي المتوفي سنة ٩هـ • (الاصابة ج١ص١١٣) •
(٦) في الحاشية : جهدا •
(٧) ينظر ديوان كثير ج١ ص٤٩ ، والشعر والشعراء ج١ ص٤٢٢ ، والنوادر للقالي ج٢ ص١٠٤ •
(٨) هـو الحسن بن يسار البصري أحـد العلماء الفقهـاء الفصحاء الشجعان الاولياء ج٢ ص١٣١ ، وأمالي المرتضى ج١ ص١٠٦) •
وحلية الاولياء ج٢ ص١٣١ ، وأمالي المرتضى ج١ ص١٠٦) •

فقال له الحسن : « أما أنت فما أبقيت شيئاً ، وما يعلم الله أكثر » .

وقال الاحنف بن قيس[٩] : « رب حلم قد تجرعته مخافة ما هو أشد منـــه » . وكان يقول : « وجدت الحلم أنصر لي من الرجال » . وقال يوماً : « تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري[١٠] بينا هو قاعـد بفِنائه ، مُحتبٍ[١١] بكسائه ، أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف ، فقيل : هذا ابنك قتله ابن أخيك . فوالله ما حَلّ حُبوته[١٢] [٣١٣] حتى فرغ من كلامه ، ثم التفت الى ابن له في المجلس فقال : قم فاطلق عن ابن عمك ، ووارِ أخاك ، واحمل الى أمه مائة من الابل فانّها غريبة . ثم أنشأ يقول:

إني امــرؤ لا يطبّي حسـبي
دنس يغيّــره ولا أَفْـــن[١٣]
مـــن منْقَرٍ في بيت مكـرمةٍ
والغُصْنُ يَنْبُتُ حولـه الغُصْنُ
خطبـــاء حـــين يقول قائلهـــم
بيض الوجـوه أعفّةٌ لُسْن[١٤]
لا يَفطِنــون لعيبِ جــارهم
وهم لحفظ جـواره فُطْن[١٥]

---

(٩) هو الاحنف بن قيس المنقري التميمي ، أحد العظماء الدهـاة الفصحاء ، يضرب به المثل في الحلم . توفي سنة ٧٢هـ (طبقات ابن سعد ج٧ ص٦٦ ، ووفيات الاعيان ج١ ص٢٣٠) .

(١٠) هو قيس بن عاصم بن سنان ، شاعر ، فارس ، شجاع ، حليم أدرك الجاهلية والاسلام . (الاغاني دار الكتب) ج١٤ ص٦٩ .

(١١) احتبى بكسائه : اشتمل به والتف .

(١٢) الحبوة : ما يحتبي به ، أي يشتمل في ثوب أو نحوه .

(١٣) كذا في الاصل ، أما في شرح ديوان الحماسة ج٤ ص١٥٨٨ ومجمع الامثال ج١ ص٢٢٠ :

اني امرؤ لا يعتري خلقي دنس يفنــده ولا أفـــن

(١٤) كذا في الاصل ، اما في الحماسة ومجمع الامثال :

خطباء حين يقوم قائلهم بيض الوجوه مصاقع لسـن

(١٥) كذا في الاصل ، أما في مجمع الامثال : وهم لحسن جواره فطن .

ثم أقبل على القاتل ، فقال له : قتلت قرابتك ، وقطعت رحمك ، وأقللت عددك ، لا يبعد الله غيرك(١٦) . [٣١٤]

وفي قيس ابن عاصم يقول الشاعر : [من الطويل]

عليك سلامُ اللهِ قيسَ بن عاصمٍ
ورحمته ما شاء أنْ يترحما(١٧)

تحيــة من ألبسته ثوب نعمـة
إذا زار عن شحطٍ بلادك سلّما(١٨)

فلم يك قيسٌ هُلْكه هُلْكَ واحدٍ
ولكنــه بنيان قومٍ تهدّما(١٩)

وكان الأحنف يقول : اختلفنا الى قيس بن عاصم في الحلم كما تختلف الفقهاء الى الفقه .

---

(١٦) ذكر الخبر الشريف المرتضى في أماليه ج١ ص٧٦ ، وأبو الفرج في الاغاني ج١٤ ص ٧٤ (دار الكتب) والميداني في مجمع الامثال ج١ ص٢٢٠ .

(١٧) في الاغاني ج١٤ ص٨٣ : « كان بين قيس بن عاصم وعبدة ابن الطبيب لحاء فهجره قيس بن عاصم ، ثم حمل عبدة دما في فومه فخرج يسأل فيما تحمله فجمع ابلا ومر به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدية فقال : فيم يسأل عبدة ؟ فأخبر فساق اليه الدية كاملة من ماله ، وقال : قولوا له ليستمتع بما صار اليه وليسق هذه الى القوم . فقال عبدة : أما والله ، لولا ان يكون صلحي أياه بعقب هذا الفعل عاراً علي لصالحته ، ولكني انصرف الى قومي ثم أعود فأصالحه . ومضى بالابل ثم عاد فوجد قيسا قد مات فوقف على قبره وانشأ يقول :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

ويقول ابو الفرج بعد ذلك في ص٩٠ : « ولما مات قيس رثاه مرداس ابن عبدة بن منبه فقال : وما كان قيس ... » . والابيات منسوبة الى عبدة بن الطبيب في الحماسة البصرية ج١ ص٢٠٧ .

(١٨) كذا في الاصل ، اما في الحماسة البصرية ج١ ص٢٠٧ : تحية من غادرته غرض الردى .

(١٩) كذا في الاصل ، اما في الحماسة البصرية : فما كان قيس .

وحدثني عبدالله بن بكر قال : كان المتشمس بن معاوية عم الأحنف يفضل على الأحنف فأمره أبو موسى أن يقسم خيلاً من بني تميم ، فقال رجل من بني سعد : ما منعك أنْ تعطيني [٣١٥] فرساً ووثب اليه فهرش وجهه فقام اليه القوم ليأخذوه فقال : اني لا اعان على واحد . ثم انطلق به الى أبي موسى ، فلما رآه سأل عما بوجهه ، فقال : دَعْ هذا ، ولكن ابن عمي ساخط فاحمله على فرس ، ففعل .

وحدثني العُشارِيُ باسناد عن أبي هريرة ان رجلاً جاء الى رسول الله ـ صلى الله عليه ـ يستعينه في دم فأعطاه شيئا ، وقال : هل أحسنت اليك ؟ فقال الأعرابي : لا ، ولا أجملت . فغضب بعض المسلمين وهموا به ، فأشار اليهم النبي ـ صلى الله عليه ـ أنْ يكفوا عنه ، وقام الى منزله ودعا [٣١٦] الأعرابي فزاده شيئاً . ثم قال : هل أحسنت اليك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً . فقال النبي ـ صلى الله عليه ـ : انك جئتنا فأعطيناك ، وقلت ما قلت وفي أنفس أصحابي عليك من ذاك شيء ، فقل بين أيديهم مثل ما قلت بين يدي ليذهب من صدورهم ما فيها عليك . فلما جاء الأعرابي قال رسول الله ـ صلى الله عليه ـ انَّ صاحبكم سأل فأعطيناه ، وقال ما قال وقد دعوناه فأعطيناه ورضي ، أكذاك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال النبي ـ صلى الله عليه ـ : ان مثلي ومثل هذا الأعرابي [٣١٧] مثل رجل شردت ناقته ، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا . فقال صاحب الناقة : خلوا بيني وبين ناقتي ، فأنا أرفق بها . ثم أخذ لها من ثمام[٢٠] الأرض هوبى هوبى[٢١] حتى جاءت فاستجابت ، وشدَّ رحلها واستوى عليها . واني لو أطعتكم حيث قال ما قال فقتلته دخل النار .

---

(٢٠) الثمام : عشب زهره كالسنبلة ، والثمامة واحدة الثمام .

(٢١) هاب : زجر للخيل ، وهبي مثله ، أي أقدمي واقبلي . والهاب : زجر الابل عند السوق ، يقال : هاب هاب . والاهابة : الصوت بالابل ودعاؤها . (اللسان ـ هيب) .

وفي هذا ونحوه من فعل الرسول ـ صلى الله عليه ـ تمثيل للمكافة في استعمال المداراة والدفع بالحسنى ، وكانت الغلظة غالبة على طباع القوم ، والحلم في خاصتهم ورؤسائهم دون عامتهم وسوقيّهم ٠

والتشبيه في الآية [٣١٨] للمقاربة ، وانما أكّد الصفة بتعديد اللفظ دلالة على قوة السبب في وقوع التشبيه ، وحَضّاً على استعماله والأخذ بمثاله ٠

سورة محمد

ـ صلى الله عليه ـ

قوله ـ عز وجل ـ : « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام »[1] .

معنى تشبيههم بالانعام في الأكل التخسيس لهم والازدراء بهم في هذه الحال ووصفهم بالجهل والدناءة ، وانهم يأكلون للشره والنهم كالبهائم . وذلك ان الأكل على ضربين : أكل نهمة ، وأكل [٣١٩] حكمة . فأكل النهمة للشهوة فقط ، وأكل الحكمة للشهوة والمصلحة . والعرب تمدح بقلة الأكل وخفــة الرزء ، كما تذم بالرَغَب[2] والبطنة والشره . قال الشاعر يصف رجلاً : [من الطويل]

تراه خميص البطن والزاد حاضــرٌ

عتيد ويغـدو في القميص المقـددِ

وقال الآخر : [من البسيط]

تكفيــه حــزة فلـذان ألـمَّ بهـا

من الشــواء ويروي شربه الغمر

وأنشد الأصمعي لبعضهم : [من الطويل]

---

(١) سورة محمد ، الآية ١٢ .

(٢) حركت في الاصل راء الكلمة بالفتح والضم ، والغين بالفتح والسكون ، وكتب فوق الكلمة «معا» . (وينظر اللسان ـ رغب) .

إذا ما امتـــذقنا كل يومين مذقـــة

لخمسٍ تُميراتٍ صغارٍ كوانزِ[٣]

[٣٢٠]

فنحن ملوك الناس خصباً ونعمةً

ونحن رجال الحرب عند الهزاهز[٤]

ومما يجري في كلامهم كالمثل قولهم : « البطنـة تذهب بالفطنة » .

وقال بعضهم : « الشبع داعية البشم ، والبشم داعية السقم » . وقال الحارث بن كَلَدَة[٥] : « خير الدواء الأَزم[٦] ، وشر الدواء ادخال الطعام على الطعام » .

ووصى بعضهم ولده فقال : « يا بني عَوِّد نفسك الأثرة ومجاهدة الشهوة ، ولا تنهش نَهْشَ السباع ، ولا تخضم خضم البراذين[٧] ، ولا تدمن الأكل إدمان النعاج ، ولا تلقم لقم الجمال . إنّ الله جعلك انسانا [٣٢١] فلا تجعل نفسك بهيمة ، واحذر سرعة الكظة[٨] وسرف البطنة ، فقد قال بعض الحكماء : إذا كنت بطيناً فعد نفسك مع الزمنى»[٩] .

وقال الأصمعي : بلغني ان الحسن قال : إنّ قوماً لبسوا هذه المطارف[١٠] العتاق والعمائم الرقاق ، وأوسعوا دورهم ، وضيّقوا قبورهم ، وأسمنوا دوابهم ، وأهزلوا دينهم . طعام أحدهم غصب ، وخادمه سخرة ،

---

(٣) في الحاشية : ويروى : كل يوم مذيقة . والمذقة : الشربة من اللبن الممذوق ، أي الممزوج بالماء .

(٤) كتب فوق الناس : الارض .

(٥) طبيب العرب المشهور ، توفي نحو سنة ٥٠ هـ . (طبقات الاطباء ج١ ص١٠٩) .

(٦) الازم : الامساك عن الطعام . (ينظر النهاية ج١ ص٤٦ ، واللسان (أزم) .

(٧) خضم : قطع ، والطعام : أكله . البرذون : دابة دون الفرس غليظة الاعضاء ضخمة تتخذ للحمل خصوصا ، ج براذين .

(٨) كظه الطعام : ملأه حتى لا يطيق التنفس .

(٩) الزمن : المصاب بالزمانة وهي العاهة أو المرض ج : زمني .

(١٠) المطارف : أردية من خز .

يتكيء على شماله ، ويأكل من غير ماله ، حتى إذا أدركته الكظَّة قال : يا جارية ، هاتي حاطوما . ويلك وهل [٣٢٢] تحطم إلا دينك ؟ أين مساكينك ؟ أين يتاماك ؟ أين ما أمرك الله به ؟ أين أين ؟ » .

وقال عروة بن الورد[١١] يخاطب رجلاً من قومه : [من الطويل]

إني امرؤٌ عافي إنائي شِرْكةٌ
وأنت أمرؤ عافي إنائك واحد[١٢]

أتهزأُ مني أَنْ سَمِنْتَ وأَنْ ترى
بوجهي شحوبَ الحقِ والحقُ جاهد[١٣]

أُقَسِّمُ جسمي في جسومٍ كثيرةٍ
وأحسو قراحَ الماء والماءُ بارد[١٤]

وقال الآخر : [من الطويل]

أَبيتُ هضيمَ الكشح مُضْطَمِر الحشا
من الجوع أخشى الذمَّ أَنْ أتضلعا[١٥]

ومثله قول الآخر : [من الطويل] [٣٢٣]

لقد كنت أختار القِرى طاوي الحشا
محافظةً من أَنْ يقالَ لئيم[١٦]

---

(١١) من بني عبس ، وكان يلقب عروة الصعاليك من شعراء الجاهلية . (الشعر والشعراء ج٢ ص٥٦٦) .

(١٢) عافي انائي : أي يأتيني من يشركني فيه . وأنت امرؤ عافي انائك واحد : اي تستأثر لنفسك وحدك دون أضيافك .

(١٣) والحق جاهد : أي يجهد الناس .

(١٤) الجسم : ههنا طعامه . الماء القراح : الذى لا يخالطه لبن ولا غيره . (تنظر الابيات في ديوان عروة بن الورد ص٥١ ، وعيون الاخبار ج٣ ص٢٦٤) .

(١٥) ينظر شرح ديوان الحماسة ج٤ ص١٧١٢ ، ولم ينسب فيه الى أحد .

(١٦) ينظر شرح ديوان الحماسة ج٤ ص١٧١٥ ، ولم ينسب فيه الى أحد .

وقال الآخر يخاطب زوجته : [من الطويل]

إِذا ما صَنَعْتِ الزادَ فالتمسي لـه
أكيلاً فاني لست آكلــه وَحْـدي

أخاً طارقاً أو جــار بيت فانني
أخاف مذمات الأحاديث من بَعْدي(١٧)

وقولهم في هذا الباب كثير مشهور • والعلة ههنا في التمدح بزهادة الأكل والاقتصاد فيه من جهة الرغبة منهم في بذل الزاد والانفة من الاستئثار به دون الطارق والجار ، والتذكر بالطوى من حال ذوي الحاجة ما ينسيه الشبع [٣٢٤] والبطنة • وكذلك حكي عن غنية بنت عفيف(١٨) أم حاتم ، وكانت من كرمها لا تُليق(١٩) شيئاً ، فحظر عليها اخوتها حتى حبسوها ومنعوها الطعام ، ثم أخرجوها ودفعوا اليها صِرمة(٢٠) ، فأتتها امرأة من هوازن فأعطتها الصرمة وقالت(٢١) : [من الطويل]

لعمري لقــدْماً عضَّني الجوع عَضَّــةً
فآليت أنْ لا أمنع الدهرَ جائعـــا

---

(١٧) البيتان لحاتم الطائي يخاطب امــرأته ماوية بنت عبدالله • (ديوانه ص٤٣ وعيون الاخبار ج٣ ص٢٦٣) • وهما كذلك في الاصل والديوان ، أما في عيون الاخبار :

اذا ما عملت الزاد فالتمسي له ... اكيلا فاني غير آكله وحــدي
بعيدا قصيا او قريبــا فانني ... أخاف مذمات الاحاديث من بعدي

(١٨) كذا في الاصل ، وفي عيون الاخبار ج١ ص٣٣٦ : عنبة • وذكر المحقق : انها تروى (غنية) ، وفي الاغاني (بيروت) ج١٦ ص١٨٩ : عتبة •

(١٩) لا تليق : لا تمسك •

(٢٠) الصرمة : القطعة من الابل •

(٢١) في الاغاني ج١٦ ص١٨٩ : « فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها في كل سنة تسألها فقالت لها : دونك هذه الصرمة فخذيها ، فوالله لقد عضني من الجوع ما لا امنع معه سائلا ابدا • ثم انشأت تقــول : لعمري •• » •

فهل ما يرون اليوم إلاّ طبيعةً
وكيف بتركي يا ابن أمّ الطبائعا[22]

ولما كانت هذه الحال عندهم من أشرف مدائح الذكر وأنفس ما نطق به لسان الشعر كان نفيها عن المشار [٣٢٥] بالقول اليه من أبلغ صفات الذم وأبعد غايات الهجو والسب ، وذلك كقول الأعشى في هجو علقمة بن علاثة[23] : [من الطويل]

تبيتون في المشتى ملاءاً بطونكم
وجاراتكم غرثى يَبِتْنَ خمائصا[24]

ومثله قول الآخر : [من البسيط]

وضيف عمروٍ وعمرو ساهران معاً
فذاك من كظّةٍ والضيف من جوعٍ[25]

وقال الأخطل على ما به من الافراط والزيادة في الهجو : [من البسيط]

قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلبَهم
قالوا لأمهم : بولي على النار[26]

(٢٢) كذا في الاصل ، أما في عيون الاخبار : ولا ما ترون الدهر ، وفي الاغاني ج١٦ ص١٩٠ : وماذا ترون اليوم ·

(٢٣) هو علقمة بن علاثة العامري ، وكانت بينه وبين عامر بن الطفيل منافرة · (الشعر والشعراء ج١ ص١٨٢) ·

(٢٤) المشتى : بيت الشتاء أو زمن الشتاء · الغرثان والخميص : الجائع الضامر البطن (ينظر ديوان الاعشى ص١٤٩ ، وعيون الاخبار ج٣ ص٢٦١) ·

(٢٥) كذا في الاصل وعيون الاخبار ج٣ ص٢٦١ ، اما في ديوان دعبل ص١٧٠ ، والبخلاء للبغدادي ص٧٢ :

وضيف عمرو وعمرو يسهران معا عمرو لتخمته والضيف للجوع

(٢٦) يقول الاصمعي : « هذا البيت أهجى بيت قالته العرب ، لانه جمع ضروبا من الهجاء » ينظر الطراز ج٢ ص٢٦٦ وتعليق العلوي عليه ، والتبيان في علم البيان ص٩٢ ، وينظر ديوان الاخطل ص٢٢٥ ·

وقيل لجرير : أيّما أشعر ؟ أنت في قولك : [من الكامل]

حيّ الغـداة برامةَ الأطلالا[٢٧]

أم الأخطل في جوابها[٢٨] ؟ فقال : [٣٢٦] هو أشعر مني ، غير اني قلت فيها بيتاً لو ان الأفاعي نهشت أستاههم ما حكوها بعده : [من الكامل]

والتغلبي إذا تنحنـح للقِـرى
حكَّ استَه وتَمثَّلَ الأمثـالا[٢٩]

وكأنما انتزع جرير معنى بيته من قول الحطيئة : [من الطويل]

كددتُ بأظفـاري وأعملت معولي
فصادفت جلموداً من الصخرِ أملسا[٣٠]

تشاغل لما جئت في وَجْـهِ حاجتي
وأَطرق حتى قلتُ : قد مات أو عَسى

فأجمعْتُ أَنْ أنعـاه حتى رأيتـه
يفوقُ فُواقَ الموتِ حتى تنفّسا[٣١]

فقلت لـه : لا بأسَ لستُ بعـائدٍ
فأفْرَخَ تعلوه السمادير مُبْلِسا[٣٢]

وكما ان فيهم من يتمدح ببذل القِرى ومعاناة الطّوى[٣٣] [٣٢٧] وتحمل الكلفة ومواساة ذوي الخلة ، فكذلك فيهم البخيل الجامع ، واللئيم

---

(٢٧) وعجزه : رسما تحمل اهله فأحالا .
رامة : ماء لبني قيس . أحال : أتت عليه أحوال ، أو تحول وتغير . (ينظر ديوان جرير ص٤٤٨) .
(٢٨) ينظر ديوان الاخطل ص٤١ .
(٢٩) ديوان جرير ص٤٥١ .
(٣٠) كذا في الاصل ، اما في ديوان الحطيئة ص٢٦٢ : كدحت .
(٣١) كذا في الاصل ، اما في الديوان : واجمعت .
(٣٢) السمادير : ما يتراءى للانسان عند السكر .
(٣٣) الطوى : الجوع .

الراضع ، ومن يؤثر التفرد بنـاره والاستئثار بزاده دون ضـيفه وجاره
وينشد لبعضهم : [من الكامل]

أعددت للأضـيافِ كلباً ضـارياً
عندي وفضل هِراوةٍ من أَرْزَنِ[٣٤]

وقال الآخر : [من الطويل]

وإني لأجفو الضيفَ من غير بغضةٍ
مخافةَ أَنْ يغرى بنا فيعودُ[٣٥]

وقال الأصمعي : مَرَّ ابن حمامة بالحطيئة ، فقال : السلام عليك • قال : قلْتَ ما لا ينكر • قال : إني أردت الظل • [٣٢٨] قال : دونك ، والجبل حتى يفيء عليك • قال : إني خرجت من عند أهلي بغير زادٍ • قال : ما ضمنتُ لأهلك قراك • قال : اني ابن حمامة • قال : كن ابن النعامة • فمضى عنه آيساً •

قال : وخرج الحطيئة يوماً من خبائه وبيده عصا ، فقال له رجل : ما هذه ؟ قال : عجراء من سلم[٣٦] • قال : إني ضيف • قال : للضيف أعـددتها •

وكان أبو الأسود يقول : لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسـوأ حالاً منهم •

قال المدائني : ضاف رجل من كلب أبا الرمكاء الكلبي ومع الرجل [٣٢٩] فضلة من حنطة • فراحت معزى أبي الرمكاء فحلب وشرب ، ثم حلب وسقى امرأته • فقال الرجل : ألا تسقون ضيفكم ؟ قال : ما فيها

---

(٣٤) الارزن : شجر صلب تتخذ منه العصي • والبيت من انشاد ابن برى • (ينظر عيون الاخبار ج٣ ص٢٤٢ ، واللسان (رزن) •
(٣٥) كذا في الاصل ، اما في عيون الاخبار ج٣ص٢٤٢ :
واني لاجفو الضيف من غير عسرة مخافة أن يضرى بنا فيعـود
(٣٦) العجراء من العصي : التي فيها عقد • السلم : الشجر •

فضل . فاستخرج ما في عكمه[٣٧] من الحنطة ، ثم قال : هل من رحى ؟ فأسرعوا بها نحوه ، وطحن وخبز خبزته فأخرجها فنفضها ، واذا برسول أبي الرمكاء يقول : لا عهد لنا بالخبز . فقال الرجل : ما فيها فضل . ثم أكل وارتحل ، وقال : [من الطويل]

بات أبو الرمكاء لم يَسْقِ ضَيْفَه
من المحْضِ ما يَطوي عليه فَيَرْقُدُ[٣٨]

[٣٣٠]

فقمت الى حنَّانةٍ فوق أُختها
ونارٍ فباتت وهي بالليل توقد[٣٩]
فلما نَفَضْتُ الخبز بالعودِ أَقْبَلَتْ
رسائل تشكو الجوع ، والحيُّ سُهَّدُ[٤٠]
فقلت : أَلا لا فَضْلَ فيها لباخلٍ
ولا مَطْمَعٌ حتى يلوحَ لنا الغَدُ
فبات أبو الرمكاء من فَضْلِ ريحها
يئِنُّ كما أَنَّ السليمُ المُسَهَّدُ[٤١]

ولذلك كان صعاليك العرب ولصوصهم وأرباب الغارة منهم يرون أَنَّ ما يحوونه من النعم بالغارة ، وينالونه بالسرق والسلة ، انما ذلك مال منعت منه الحقوق ، ودوفع عنه بالبخل والعقوق ، فأرسلهم الله اليه وسببه

---

(٣٧) العكم : العدل الذى فيه متاع .
(٣٨) القصة والابيات في عيون الاخبار ج٣ ص٢٤٠ .
(٣٩) كذا في الاصل ، اما في عيون الاخبار ج٣ ص٢٤١ : ونار وباتت وهي تورى وتوقد .
(٤٠) وقبله بيت ذكره ابن قتيبة في عيون الاخبار ، هو :
وقال ابو الرمكاء بالخبز عهده ... قديم له حول كريب مطرد
(٤١) كذا في الاصل ، اما في عيون الاخبار : من فرط ريحها .

لهم ورزقهم [٣٣١] إياه كما قال عروة الصعاليك[٤٢] : [من الطويل]

لعلَ انطلاقي في البلادِ وعزمتي
وشدي حيازيم المطيــة بالرحْل[٤٣]

سيدفعني يوماً الى رب هجمــةٍ
يدافع عنهــا بالعقوقِ وبالبُخْلِ[٤٤]

ولشدة افراطهم ومبالغتهم في ذم الرغب والنهم ، ما ضمنوه الأهاجي وقرنوه بالمثالب كما قال جرير يصف قوما بسفاهة الأحلام والحرص على المبادرة الى الطعام[٤٥] : [من الكامل]

وبنو الهجيــم ســفيهة أحلامهــم
ثُطُ اللحى متشــابهو الألــوانِ[٤٦]

لو يسمعونَ بأكْلَةٍ أوْ شَــربةٍ
بعمانَ أمْسَــى جَمْعُهم بعمانِ[٤٧]

[٣٣٢]

متأبطــين بنيهــم وبنــاتِهم
صُعْرُ الأنوف لريح كلِّ دُخانِ[٤٨]

---

(٤٢) هو عروة بن الورد .

(٤٣) كذا في الاصل ، اما في ديوان عروة بن الورد ص١١٥ : في البلاد وبغيتي . الحيازيم : جمع حيزوم ، وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر .

(٤٤) ينظر ديوان عروة ص١١٦ .

(٤٥) قالها جرير يهجو الهجيم بن عمرو بن تميم . (ينظر ديوانه ص٥٨١) .

(٤٦) كذا في الاصل ، أما في الديوان : ان الهجيم قبيلة مخسوسة . وآخر البيت في الاصل : الاخلاق .
الثط : قلة شعر الذقن مع انعدامه في العارضين .

(٤٧) كذا في الأصل ، أما في الديوان : أصبح جمعهم .

(٤٨) كذا في الأصل ، أما في الديــوان : متوركــين .. ويــروى : يتناعبون تناعب الغربان .

وكما قال الآخر : [من الوافر]

إذا ما مات ميتٌ من تميمٍ
فسرَّكَ أنْ يعيشَ فجيءْ بزادِ[49]

بخبزٍ أوْ بتمرٍ أوْ بلحمٍ
أو الشيءِ الملففِ في البجادِ

تراه يطوّفُ الآفاق حرصاً
ليأكل رأس لقمان بن عادِ[50]

وعلى ذم هذه الحال ففيهم من يمتّ بها ويعجب بذكرها ، أنشد الأصمعي للمزرد[51] ، وكان جشعاً نهماً : [من الطويل]

ولما غَدَتْ أمي تزور بناتها
أغَرْتُ على العِكْمِ الذي كان يمنع[52]

لبَكْتُ بصاعَي حنطةٍ صاعَ عجوةٍ
الى صاعِ سَمْنٍ فوقه يتربع[53]

[333]

وقلت لبطني ابشري اليومَ إنه
حمى أُمّنا مما تحوزُ وترفعُ[54]

---

(٤٩) ذكر ابن حبيب ان هذا الشعر لابي مهوش الفقعسي ، وذكر دعبل انه لابي المهوس الأسدي . (ينظر الكامل للمبرد ج ١ ص ١٤٧) .

(٥٠) كذا في الأصل ، اما في الكامل : تراه ينقب البطحاء حولا .

(٥١) هو يزيد بن ضرار الذبياني الشاعر الفارسي المخضرم . (الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٣٢ ، ومقدمة ديوانه ص ٧ وما بعدها) .

(٥٢) كذا في الأصل ، اما في ديوان المزرد ص ٧٩ وعيون الأخبار ج ٣ ص ٢٠٤ : تمير بناتها .

(٥٣) لبكت : خلطت ، واللبيكة : أقط ودقيق أو تمر ودقيق يخلط ويصب عليه السمن . وفي عيون الاخبار : يتريع ، أي : يتميع ، لايستقر له وجه لكثرته .

(٥٤) كذا في الاصل ، أما في عيون الاخبار والديوان : ابشر .

فانْ تَكُ مصفوراً فهــذا دواؤه

وانْ تَكُ غَرثاناً فذا يومَ تَشْبَعُ[55]

وأنشد لأعرابي سقط بعيره فنحره وأكله : [من الرجز]

ان الســعيد من يمــوت جملـه

يشــبع لحمــاً ويقــل عملـه

قال : وقال المعتمر بن سليمان : قلت لهلال بن الأشعر المازني : ما أكلة بلغتني عنـك ؟ قال : جعت مرة ومعي بعير لي فنحرته وأكلتـه الا ما حملت منه على ظهري فلما كان الليل راودت أمة لي فلم أصل اليها فقالت كيف تصل اليّ وبيننا جمل ؟ فقلت : بكم تكفيك هذه[٣٣٤] الأكلة ؟ فقال : أربعة أيام وحدثنا بذلك دونذكر الأمة الأمير أبو محمد فيما رواه لنا عن اليشكري • وحدثنا أيضا قال : مر رجل بجميل فأضافه وخبز خبزة من مكّوكٍ[56] وثردها في لبن وسمن ، ثم أتاه بها ، فجعل يحدث جميلا عن بنت عم له يحبها ويأكل حتى أتى على الخبزة فقال جميل : [من الطويل]

لقــد رابني مــن زهــدمٍ انّ زهدمــاً

يلح على قرصي ويبكي على جملِ[57]

فلو كنت عــذريّ العلاقـة لم تكــن

بطيناً ونَســاك الهــوى كثرة الأكــل

وقال الراجز يصف أكولاً ، أنشده الاصمعي : [من الرجز] [٣٣٥]

(٥٥) كذا في الأصل ، أما في عيون الأخبــار والديوان : فان كنت مصفورا • المصفور : من به الصفر ، وهو داء في البطن يصفر منه الوجه • غرثان : جائع • (وتنظر الأبيات في ديوان المعاني ج١ ص٣٠٥ ، والعقد الفريد ج٣ ص٣٨٥ واللسان (ريع) و (عكم) •

(٥٦) المكوك : مكيال سعته صاع ونصف •

(٥٧) زهدم : اسم رجل •

يلقـــم لقمـــاً ويفـــدّي زاده
يرمي بأمثال القطا فـــؤاده(٥٨)

وأنشد ثعلب عن ابن الأعرابي في صفة أكول : [من الرجز]

وزاد عـــونٌ لقمـــاً علينـــا
لقمـاً يواري الانفُ منـه العينا

قال : وسمع أعرابي هذا الشعر فقال : سبحان الله لشد ما فغر فاه •

وقال حُميد الارقط(٥٩) وذكر رجلا : [من الطويل]

أتانا ولم يعـدله سُحبانُ وائـلٍ
بيانـــاً وعلماً بالـــذي هو قائـِلُ
فمازال عنه اللقـــمُ حتى كأنَـــه
من العيِّ لما أن تكلم باقلُ(٦٠)

وقال الآخر وذكر قوماً : [من البسيط]

باتوا وجلتنـــا الشـــهريز بينهـــم
كأنَّ اظفـــارهم فيها السكاكين(٦١)

[٢٣٦]

فأصبحوا والنوى عالي مُعَرَسِهم
وليس كل النوى يُلقي المساكين(٦٢)

---

(٥٨) اللقم : سرعة الأكل والمبادرة اليه •

(٥٩) شاعر اسلامي من شعراء الـــدولة الأموية • (ينظر خزانة الادب ج٢ ص ٤٥٤ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج٤ ص١٨٣٢) •

(٦٠) البيتان في ديوان حميد بن ثور الهلالي ص١١٧ •

(٦١) في الاصل : وجلبنا ، أما في هامش ص٣٥ ج١ من كتاب سيبويه وفي هامش شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج١ ص٢٤٥ • باتوا وجلتنا الصهباء •

الشهريز : ضرب من التمر ، معرب • (اللسان) • الجلة : قفـــة التمر تتخذ من سعف النخل وليفه •

(٦٢) ينظر كتاب سيبويه ج١ ص٣٥ ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج١ ص٢٤٥ •

وقال الاصمعي : قرى فضالة الطائي رجلا من ربيعة الجوع تمـراً فجعل يأكله ويسترط النوى ، فقال له : ويحك ما تصنع ؟ قال : شدة خيبة تبعثني على أني أجعل نواه معه في بطني • قال : وخاطر[٦٣] رجل منهم رجلا أن يشرب ثلاث علب من لبن ويُرى صاحبه انه لا يقـدر فشربهن ، فلما استوفاهن تجشأ ، فقال صاحبه • أتراها راحة الموت ؟

وكان هلال بن الاشعر المازني توضع القمع على فيه ويصب اللبن [٣٣٧] أو النبيذ • وكان غليظا عبلا[٦٤] ، فقال رجل : ماهذه الكدنة[٦٥] قال : عنوان الخصب •

وقال الأصمعي : قيل لاعرابي : ما أسمنك ؟ قال : قلة الفكر ، وطول الدعة ، والنوم على الكظة[٦٦] •

وقال آخر لرجـل رآه سميناً : أرى عليك قطيفـة من نسـج أضراسك[٦٧] • وقد قدمنا القول في ذم هذه الحال للمعاني التي ذكرناها ، وللزهاد وارباب التصوف والعبادة معنى آخر في ذم ذلك ومقته وأخـذ النفوس بقلة الرزء وخفة الطعم مغالبة لسلطان الشهوة واضرابا عن[٣٣٨] لذات الدنيا ، وشوقا الى نعيم الآخرة •

حـدثني بعض الشيوخ قال : قال حاتم الأصـم : ما من صـباح الا والشيطان يقول : ما تأكل وما تلبس ؟ فأقول : آكل الموت ، وألبس الكفن ، وأسكن القبر • قال : وقال يحيي بن معاذ الرازي : الزهد ثلاثة أشياء : القلة والخلوة والجوع • وكان يقول : جوع التوابين تجربة ، وجوع الزاهدين سياسة ، وجوع الصديقين تكرمة •

---

(٦٣) خاطر : راهن •
(٦٤) العبل : الضخم •
(٦٥) الكدنة : كثرة الشحم واللحم •
(٦٦) الكظة : شيء يعتري الانسان عند الامتلاء من الطعام •
(ينظر الخبر في عيون الاخبار ج٣ ص٢٢٤) •
(٦٧) ينظر عيون الاخبار ج٣ ص٢٢٥ •

وكان أبو القاسم الجنيد(٦٨) يقول : « ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، لكن عن الجوع ، وترك الدنيا ، وقطع المألوفات »(٦٩) [٣٣٩] •

وكان داود بن نصير الطائي يأكل الخبز اليابس ، فقيل له : كيف تشتهي مثل هذا ؟ فقال : ادعه حتى اشتهيه • وكان يشرب الماء في الصيف من دن مقير •فقيل له : لو بردت ماءك • فقال : إذا شربت البارد في الصيف فمتى أشتهي الموت •

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وهو السابق الى هذه الغاية والآخذ بأدب الآية ، والدليل في هذه السبيل ، وقد حضر بعض الوفد طعامه • اني قد ارى تعذيركم ، ولو شئت لكنت أطيبكم طعاما ، وأرقكم عيشاً ، [٣٤٠] والله ما أجهل عن كراكر وأسنمة وعن صلائق(٧٠) ولكن وجدت الله ـ تعالى ـ عيّر قوماً بأمر فعلوه فقال « أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا »(٧١) •

ومن كلام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما ضربه مثـلا لمتاع الدنيا قوله ـ عليه السلام ـ : « إن مما يُنبت الربيع لما يقتل حبطاً أو يُلم »(٧٢) الحبط : أن تأكل الدابة حتى ينتفخ بطنها وتمرض •

وسمي الحارث بن مازن بن عمرو بن تميم : « الحبط » ، لانه

---

(٦٨) هو الجنيد بن محمد أبو القاسم الخزاز • توفي سنة ٢٩٧هـ • (ينظر طبقات الصوفية للسلمي ص١٥٨) •

(٦٩) في طبقات الصوفية ص ١٥٨ : « سمعت محمد بن عبدالله الرازي يقول : سمعت أبا محمد الحريري يقول : سمعت الجنيد يقول : « ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، لكن عن الجوع ، وترك الدنيا ، وقطع المألوفات والمستحسنات • »

(٧٠) التعذير : التقصير ، والمراد التقصير في الاكل • الكراكر : ج كركرة وهي رحى زور البعير والناقة • الصلائق : الرقاق ، وقيل : الحملان المشوية •

(٧١) سورة الاحقاف ، الاية ٢٠ •

(٧٢) في النهاية ج١ ص ٣٣١ : « وذلك ان الربيع ينبت أحرار العشب فتستكثر منه الماشـية » • ورواه بعضهم بالخاء المعجمة من التخبط وهو الاضطراب • يلم : يقرب من القتل • (النهاية ج٤ ص٢٧٢) •

أصابه مثل ذلك في سفر • وبنوه يسمون : «الحبطات» ، والنسبة اليه : «حبطي» تخفيفاً لاجتماع الكسرات • [٣٤١] فأراد صلى الله عليـــه أن الماشية يروقها المرعى فربما أكلت فوق طورها فحبطت • وكان في دعائه عليه السلام [يقول] : « أعوذ بك من الجشع والهلع » •

فقد بيّن الله ـ تعالى ـ بقوله ـ : « إن الله يُدخِلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهـــار ، والذين كفـروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعامُ ، والنارُ مَثْوى لهم »(٧٣) • انـه ـ تبارك وتعالى ـ حبا بالجنة من أخذ فيما ذكرناه بأدب الكتاب والسنة •

---

(٧٣) سورة محمد ، الآية ١٢ •

سورة الفتح

[٣٤٢] قوله ـ عز وجل ـ : « محمدٌ رسولُ الله والذين معه » الى قوله تعالى : « ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شَطأه فآزَرَهُ فاستغلظَ فاستوى على سُوقه يُعجب الزُّراعَ ليغيظَ بهم الكفارَ »[1] .

الشطء : النبت يخرج في جوانب النبت . ومنه شاطيء النهر : جانبه . يقال : أشطأ الزرع فهو مشطيء[2] ، إذا افرخ في جوانبه . والشكير[3] : ـ أيضا ـ من نظائر الشطء ، وهو النبت في جوانب النبت . ويستعار في الريش كما قال الحكمي[4] وقد استشهد [٣٤٣] بشعره في كلام العرب دون غيره من المحدثين لفصاحته وصحة روايته ، يذكر العقاب: [من الطويل]

طوت ليلتين القوتَ عن ذي ضرورةٍ
أُزيغبَ لم يَنْبُتْ عليه شكير[5]

---

(١) سورة الفتح ، الآية ٢٩ . والمحذوف منها هو : « أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ... »

(٢) في مفردات الراغب ص٢٦١ : « شطء الزرع : فروخ الزرع ، وهو ما خرج منه وتفرع في شاطئيه ، أي : في جانبيه ، وجمعه أشطاء » .

(٣) الشكير ، من الشعر والريش والنبت : ما نبت من صغاره بين كباره . وقيل : هو أول النبت على أثر النبت الهائج المغبر . وقيل : هو الشجر ينبت حول الشجر . (اللسان ـ شكر) .

(٤) هو أبو نواس .

(٥) ينظر ديوان أبي نواس ص٤٨٠ .

قوله : « فآزره » أي : آزر صغارُه كبارَه فاستوى بعضه مع بعض حتى قوي واشتد . قال الاسود بن يعفر[٦] : [من الكامل]

ولقد غدوت لعازبٍ متحفزٍ
أحوى المذانب مونق الروّاد[٧]

جادت سواريه وآزر نَبْتَه
نُفَأٌ من الصفراء والزُّباد[٨]

فاذا صار كذلك فهو متناقل . قال أبو عبيد[٩] : يقال : [٢٤٤] « أنشرت الأرض وأمشرت »[١٠] اذا بدأت باخراج النبات . و « نضح الشجر »[١١] اذا بدأ باخراج الورق .

قال أبو طالب بن عبدالمطلب : [من الخفيف]

ليت شعري مسافر ابن أبي عَمـ
ـرٍو ، وليتٌ يقولها المحزون

---

(٦) شاعر جاهلي . (الشعر والشعراء ج١ ص١٧٦ ، والمفضليات ص٢١٥) .

(٧) كذا في الاصل ، أما في المفضليات ص٢١٩ : لعازب متناذر . العازب : البعيد . المذنب : المسيل الصغير . الاحوى : الذي اشتدت خضرته حتى ضرب الى السواد . الرواد : جمع رائد .

(٨) السارية : السحابة تمطر ليلا . النفا بضم ففتح وآخره همزة : القطع من النبات المتفرقة ههنا وههنا ، الواحدة : نفأة . الصفراء والزباد : ضربان من العشب .

(٩) هو القاسم بن سلام من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه . توفي سنة ٢٢٤هـ . (تذكرة الحفاظ ج٢ ص٥ ، ووفيات الاعيان ج١ ص٤١٨ وبغية الوعاة ج٢ ص٢٥٣) .

(١٠) في اللسان (نشر) : « وعم أبو عبيد بالنشر جميع ما خرج من نبات الارض » أمشرت الارض : أخرجت نباتها . (اللسان ــ مشر)

(١١) نضح الغضا نضحا : تقطر بالورق والنبات ، وعم بعضهم به الشجر (اللسان نضح) .

بورك الميت الغريب كما بو
رك نضح الرمان والزيتون[١٢]

فاذا غطى النبات الأرض قيل : قد استحلس[١٣] ، فاذا بلغ والتف قيل : استأسد[١٤] ، فاذا آزر صغاره كباره قيل : تناتل[١٥] .

أنشدنا الأمير أبو محمد لسعيد بن حميد[١٦] يصف تمايل النبات في هذه الحال [من الخفيف] [٣٤٥]

حركته الرياح فاعتدل النبـ
ـت ، ومالت طواله بالقصار

عائذ بعضه ببعض كقوم
في عتاب مكرر واعتذار

قوله تعالى : « فاستغلظ » أي : طلب الغلظ ، والسوق : جمع ساق ، وهو حامل الشجرة . وسوق الزرع : عوده الذي يقوم عليه . وهذا مثل ضربه الله تعالى للنبي – صلى الله عليه – إذ خرج وحده ثم قوي بالأصحاب ، وكانت قريش تقول : إن محمداً ضبور ، والضبور النخلة يدق اسفلها وينجرد كربها . يقال : ضبر النخل اذا صار كذلك فشبهوه – صلى الله عليه – بالنخلة [٣٤٦] في هذه الحال تفاؤلا له بالضعف وقلة الأعوان ، فأكذب الله ظنونهم فيه وشبهه في الآية بعكس ذلك التشبيه . وقد وهم أبو عبيد في هذا الحديث مالا وجه له ، وأخذ

(١٢) ذكره ابن منظور في اللسان (نضح) ونسبه الى أبي طالب .
(١٣) قال الأصمعي : « اذا غطى النبات الارض بكثرته قيل : قد استحلس ، فاذا بلغ والتف قيل : قد استأسد » . (اللسان – حلس) .
(١٤) استأسد النبت : طال وعظم . (اللسان – أسد) .
(١٥) تناتل النبت : التف وصار بعضه أطول من بعض .
(١٦) هو سعيد بن حميد أبو عثمان ، كاتب مترسل من الشعراء ، توفي سنة ٢٥٠هـ . (الاغاني ج١٧ ص٢) .

عليه أبن قتيبة[١٧] فيه غير موضع الاخذ ، وخالفا صواب التأويل فذكر أبو عبيد عن أبي عبيدة أن الضبور النخلة تخرج في أصل النخلة لم تغرس . قال : وقال الاصمعي : الضبور النخلة تبقى مفردة ويدق أسفلها . قال : وقول الاصمعي أعجب اليَّ ، [٣٤٧] يعنون انه فرد ليس له ولد ولا أخ ، فاذا مات انقطع ذكره . وليس في التشبيه بالنخلة على تلك الصفة أو غيرها ما يدل على انقطاع الذكر ولا اختصاص الولد والاخ بهذا القول ، وانما الوجه في الحديث ما ذكرناه بدليل الآية . وأما ابن قتيبة فانه صوب قول أبي عبيدة في تفسير الضبور وقال : انما أرادوا ان محمداً ناشيء حدث بمنزلة الضبور الذي يخرج في أصل النخلة يقولون : فكيف تتبعه المشايخ والكبراء وهو كذلك ؟ [٣٤٨]

وهذا تأويل غير صحيح ، لان القوم أبوا اتباعه جحداً لما جاء به ، لا انهم صدقوه . ولم يدخلوا تحت دعوته من أجل انه ناشيء حدث وعلى أن النبي ـ صلى الله عليه ـ بعث حين بلغ أشده وبلغ الاربعين ، وانما الناشيء الذي لم يخرج وجهه ولم يسود شعره .

قال أبو زيد : يقال للغلام اِذا راهق : جَحوش[١٨] ، ثم يافع على غير قياس ، فاذا شارف الاحتلام فهو كوكب[١٩] ، ثم هو ناشيء ، ثم طارٌ[٢٠] بعد ذلك اِذا خرج شعره .

والذي ذكره القُتبي غلط قبيح في اللفظ والتأويل [٣٤٩] والتشبيه

(١٧) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ . (تنظر ترجمته في بغية الوعاة ج٢ ص٦٣ ومقدمة كتابه عيون الاخبار) .

(١٨) الجحوش : الغلام السمين ، وقيل : هو فوق الجفر ، والجفر فوق العظيم . الجوهري : الجحوش الصبي قبل أن يشتد . (اللسان ـ جحش) .

(١٩) غلام كوكب : ممتليء ، اذا ترعرع وحسن وجهه . (اللسان ـ كوكب) .

(٢٠) يقال : طرّ شارب الغلام ، فهو طار .

في الآية من أوقع التشبيهات وأوضحها ، وأبلغ التمثيلات وأفصحها .
وقد نقلت العرب كثيراً من اوصاف النبات والشجر الى أوصاف [الناس] واطرد ذلك في كلامهم لوقوع المناسبة بين الحالين . ويحسن ذلك بحسن التشبيهات والاستعارات في هذا الباب فقالوا : « فلان كريم المغرس » و « عريق الحسب » و « ما أنجب عوده » و «أزكى نباته » .

وقال الله تعالى في ذكر مريم : « فتقبلها ربها بقبول حَسَنٍ »(٢١) ، وقال ـ جل اسمه ـ : « والله أنبتكم [٣٥٠] من الأرض نباتاً »(٢٢) . وقال النبي ـ صلى الله عليه ـ في قوم : « يخرجون من النار فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل » .

قال الكلبي : مَرَّ مروان بن الحكم(٢٣) سنة بويع له على ماء لبني جزء عليه زرارة بن جزء ، وهو شيخ كبير ، فقالوا : كيف انتم آل جزء ؟ فقال : بخير أنبتنا الله فأحسن نباتنا ، ثم حصدنا فأحسن حصادنا وكانوا هلكوا في الجهاد بالروم .

وقال الشاعر يمدح رجلاً : [من الكامل]

وأبو اليتامى ينبتون فناءه
نبت الربيع بكالىء معشاب

[٣٥١] وقالوا : غلام أمرد ، إذا كان عاري الوجه من الشعر . قال الأعشى : [من الكامل]

وأرى الغواني لا يواصلن امرءاً
فقدالشباب وقد يَصِلْنَ الامردا(٢٤)

---

(٢١) سورة آل عمران ، الآية ٣٧ .
(٢٢) سورة نوح ، الآية ١٧ .
(٢٣) هو الخليفة الأموي المتوفى سنة ٦٥هـ . (الاصابة ت٨٣٢٠ ، وأسد الغابة ج٤ ص٣٤٨ ، والكامل لابن الاثير ج٤ ص٧٤ ، وتأريخ الطبري ج٧ ص٣٤) .
(٢٤) كذا في الأصل ، أما في ديوانه ص٢٢٧ : ان الغواني .

وأخذ المعنى أبو تمـام ، فقال وأحسن عبارته : [من الكامل]

أحلى الرجـال من النسـاء مواقعـاً
من كان أشبههم بهن خـدوداً[٢٥]

وقال حيان بن حنظلة : [من الكامل]

واذا دعـوت بني جديلـة جـاءني
مُردٌ على جرد المتون طـوال[٢٦]

والأمرد : مأخوذ من الشجرة المرداء ، وهي العارية من الورق • ومنه قولهم : «شيطان مريد» أي : عارٍ [٣٥٢] معناه : قد عري من الخير • ومن ذلك قيل : « بناء ممرد » أي : مملس • وفي التنزيل : « قال : إنَّه صَرحٌ مُمردٌ من قوارير »[٢٧] • ومارد[٢٨] :حصن دومة الجندل[٢٩] قالت الزباء[٣٠] : « تمَرَّدَ مارد وعزَّ الأبلق »

والمرد : ثمر الأراك [٣١] قال طرفة : [من الطويل]

---

(٢٥) ينظر ديوانه ص٦٧ •

(٢٦) حرك (طوال) بالكسر والضم معا •

(٢٧) سورة النمل ، الآية ٤٤ •

(٢٨) في معجم البلدان (مارد) : « مارد : حصن بدومة الجندل ، وفيه وفي الابلق قالت الزباء وقد غزتهما فامتنعا عليها : «تمرد مارد دريد وعز الأبلق » فصارت مثلا لكل عزيز ممتنع » •

(٢٩) دومة الجندل ــ بضم أوله وفتحه ــ وقد أنكر ابن دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين • وقال أبو عبيد السكوني : « دومة الجنـدل حصن ، وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طيء » • (معجم البلدان) •

(٣٠) هي الزباء بنت عمرو بن الظـرب بن حسان بن أذينـة بن السميذع ، الملكة المشهورة في العصر الجاهلي ، صاحبة تدمر وملكة الشام والجزيرة • وينظر المثل في فصل المقال لابي عبيد البكري ص ١١٦ •

(٣١) المرد : الغض من ثمر الأراك ، وقيـل : هو النضيج منـه ، واحدته : مردة • (اللسان) •

وفي الحي أحوى ينفُضُ المَردَ شادنٌ
مظاهرُ سمطي لؤلؤ وزبرجدِ (٣٢)

وقال : طرَّ شاربُ الغلام ، فهو طارٌّ ، إذا بدا ، منقول من طرَّ النبت يطر طروراً ، إذا ظهر . وكذلك [٣٥٣] يقال : حَمَمَ النبت : اذا استحلس ، فهو محمم ، وحمم وجه الغلام : اذا اسودَّ شعره وأخذ بعضه بعضا (٣٣) .

قال كثير : [من الطويل]

وإني لأستأني ولولا طماعةٌ
بعزة قد جمَّعت بين الضرائرِ
وهمَّ بناتي أنْ يبِنَّ وحممتْ
وجوه رجالٍ من بنيَّ الأصاغرِ (٣٤)

وقالوا : بقل وجهه (٣٥) ، كما قالوا : أبقلت الارض . يقال في الأرض بالألف . قال الأعشى : [من المتقارب]

فلا مُزْنةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها
ولا أرض أبقل ابقالها (٣٦)

---

(٣٢) البيت من معلقته . (ينظر ديوان طرفة ص٣١) .
الأحوى : الذي في شفتيه سمرة والانثى الحواء . الشادن أحوى : لشدة سواد أجفانه ومقلتيه . والشادن : الغزال الذي قوى واستغنى عن أمه . السمط : الخيط الذي نظمت فيه الجواهر .

(٣٣) ينظر اللسان (حمم) .

(٣٤) كذا في الأصل ، أما في ديوان كثير ج١ ص١٢١ ، وذيل الأمالي ص١٣٠ : ولولا طماعتي . والبيت الثاني في أسرار البلاغة ص٢٠٠ .
حممت : اسودت منابت لحاهم لنبت الشعر .

(٣٥) أبقلت الارض : خرج بقلها ، ويقال للامرد اذا خرج وجهه : قد بقل .

(٣٦) لم يذكر في ديوان الأعشى ، ونسبه سيبويه في كتابه ج١ ص٢٤٠ ، وابن منظور في (بقل) الى عامر بن جوين الطائي . وهو من شواهد النحو المعروفة ، والشاهد فيه حذف التاء من أبقلت لان الارض بمعنى المكان ، فكأنه قال : ولا مكان أبقل أبقالها .

واكتهل الرجل : إذا انتهى شبابه ، وكذلك النبت : إذا انتهى طوله
[٣٥٤] قال الأعشى يصف روضة : [من البسيط]

يُضاحك الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ
مُؤَزَّرٌ بعميم النَبْتِ مُكْتَهل[٣٧]

وقال تعالى في صفة عيسى ـ عليه السلام ـ • « ويكلم الناسَ في المَهْدِ وكهلاً »[٣٨] • وقال أبو خراش الهذلي[٣٩] يذكر ما جاء به الاسلام من الكف عن الجهل : [من الطويل]

فليس كعهد الدار يا أمَّ مالكٍ
ولكن أحاطت بالرقابِ السلاسل[٤٠]

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائلٍ
سوى الحق شيئاً واستراح العواذِل[٤١]

وقالوا : جرثومة القوم : اصلهم • ويقال : « الأزد جرثومة العرب ، فمن أضلَّ نسبه فليأتهم » • وقال ذو الرمة : [من البسيط] [٣٥٥]

وحائلٌ من سفير الحَوْلِ جائلُهُ
حول الجراثيم في ألوانهِ شَهَبُ[٤٢]

---

(٣٧) ينظر ديوان الأعشى ص٥٧ •
(٣٨) سورة آل عمران ، الآية ٤٦ •
(٣٩) هو خويلد بن مرة ، مات في زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ (ينظر الشعر والشعراء ج٢ ص٥٥٤) •
(٤٠) أراد : الاسلام أحاط برقابنا فلا نستطيع أن نعمل شيئا •
(٤١) كذا في الاصل والاغاني (ط• بيروت) ج٢١ ص٩٢ ، اما في ديوان الهذليين ج٢ ص١٥٠ : سوى العدل شيئا فاستراح العواذل •
(٤٢) وحائل : أي متغير اللون ، وهو ورق قد يبس وتغير • وسفير : ما سفرته الريح • جائلة : من الجولان • الجراثيم : جمع جرثومة وهو التراب المجتمع حول الشجرة وأصله • وقد يستعمل في أصل الشجرة • وقوله : « شهب » أي : بياض • (ينظر ديوان ذي الرمة ص١٩)

يصف ما تجول به الريح من يبس الورق حول أصول الشجر •

والجرثومة : أصل الشجرة ، وكذلك الأرومة ـ أيضا ـ •

والأرومة : أصل القوم ، أنشدني أبي ـ رحمه الله ـ لعلي بن الخليل في مدح المهدي أو الرشيد : [من الكامل]

مــن عتــرةٍ طــابت أرومتهــم
أهــل العفــاف ومنتهى القــدسِ

دون الســماء فـــروع نبعتهــم
ومـــع الحضيض منـــابت الغَرْسِ[٣٤]

وقالوا في الدعاء : « لحاه الله » واللحاء : قشر الشجرة ، ومنه اشتقاق اللاحي ، كأنّه يقشر بالملامة • وفي المثل : [٣٥٦] « مَنْ لاحاك فقد عاداك » •

ومما يجري في كلامهم من الاستعارة والنقل قولهم : « عجم عوده »[٤٤] و « نحتَ أثلته »[٤٥] و « قرع نبعته »[٤٦] • ومعانيهن مختلفة • وقال زفر بن الحارث الكلابي[٤٧] • يوم مرج راهـط [من الطويل]

---

(٤٣) ينظر أمالي المرتضى ج ١ ص ١٤٧ ، والاغاني ج١٤ ص١٧٥ •

(٤٤) عجم العود : عضه ليعرف صلابته من خوره • قال الحجاج : « وان أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها ، فوجدني أمرها عوداً ، وأصلبها مكسرا ، فرماكم بي » • (ينظر جمهرة خطب العرب ج٢ ص٢٧٦) •

(٤٥) الأثل : شجر صلب الخشب جيده يكثر قرب المياه في الاراضي الرملية •

(٤٦) النبعة : واحدة شجرة النبع ، والنبع شجر صلب ينبت في الجبال تعمل منه القسي •

(٤٧) أحد بني عمرو بن كلاب ، كان قد خرج على عبدالملك بن مروان ، وظل يقاتل تسع سنين ثم رجع الى الطاعة • (ينظر المؤتلف ص١٢٩ ، وشرح شواهد المغني ج٢ ص٩٣١ ، وشرح ديوان الحماسة ج١ ص١٥٥) •

وكنا حَسِبْنا كُلَّ بيضاءَ شحمةً

ليالي لاقينا جُذامَ وحميرا[٤٨]

فلما قَرَعْنا النَّبْعَ بالنبع بعضَه

ببعض أَبت عيدانُه أَنْ تكسَّرا[٤٩]

ومن أمثالهم في الرجل الحازم قولهم : « جُذَيْلُها المُحكَّكُ وعُذَيْقُها المُرَجَّب »[٥٠] ، يريدون العذق الراكب يقطع الذي تحته ويترك من عرجونه سناداً له . [٣٥٧]

والرجبة : دكان يبنى تحت النخلة واذا مالت تعتمد عليه . قال الشاعر : [من الطويل]

ليست بسنهاءٍ ولا رَجَبيةٍ[٥١]

ولكن عرايا في السنين الجوائح[٥٢]

وقد شبهوا قامات الرجال بالنخل ، كما قال ملْحة الجرمي[٥٣] يذكر رجلاً : [من الطويل]

---

(٤٨) كذا في الاصل وشرح شواهد المغني ج٢ ص٩٣٠ . أما في شرح الحماسة ج١ ص١٥٥ : ليالي قارعنا .. حكى الاصمعي في الامثال : « ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة » . (ينظر مجمع الامثال ج٢ ص٢٨١) .

(٤٩) ينظر شرح ديوان الحماسة ج١ ص١٥٥ .

(٥٠) في اللسان (جذل) : « ومنه قول سعيد بن عطارد ، وقيل : بل هو الحباب بن المنذر : « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المحكك . وفي حديث السقيفة : «أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب» وهو تصغير تعظيم . (ينظر النهاية لابن الاثير ج١ ص٢٥١ ، وج٣ ص١٩٩) .

(٥١) ضبطت (رجبية) بتنوين الفتح والضم والكسر معا .

(٥٢) البيت لسويداء بن صامت ، يصف نخلة بالجودة وانها ليس فيها سنهاء ، والسنهاء : التي أصابتها السنة . يعني : أضر بها الجدب . وقيل : هي التي تحمل سنة وتترك اخرى . العرايا : جمع عرية ، وهي التي يوهب ثمرها . الجوائح : السنون الشداد التي تجيح المال . (ينظر اللسان ــ رجب) .

(٥٣) من طيء ، ذكره المرزباني في معجم الشعراء ص ٤٤٤ .

كـــأنَّ زُرورَ القُبْطــرية علقت

علائقُهـا منـه بجذعٍ مقـومِ (٥٤)

وشبيه به قول عنترة : [من الكامل]

بَطَــلٌ كـأنَّ ثيابَه في سَرْحَةٍ

يُحْذي نعالَ السبتِ ليس بتوأَمِ (٥٥)

ومما يدخل في هذا الباب قول طرفة : [من الرمل] [٣٥٨]

ولي الأصـلُ الــذي في مثلـــه

يُصلح الآبرُ زَرْعَ المؤتَبِرِ (٥٦)

الآبر : الذي يصلح النخل ويخفف سعفه • قال الراجز : [من الرجز]

تـرى لهـــا بعـــد إبـار الآبـــرِ

مـــآزراً تطـــوى عـــلى مـآزر (٥٧)

وقال زهير يمدح قوماً : [من الطويل]

ومـــا يك من خـــيرٍ أتوه فانمـــا

توارثه آبـاءُ آبائِهـم قَبْـــلُ (٥٨)

---

(٥٤) ويروى : بجذع مشذب • ولكن رواية النص تتفق مع رواية ديوان الحماسة ج٤ ص١٧٤٩ • القبطرية : جنس من الثيـــاب رفيع • ومعنى البيت انه طويل القامة مديد •

(٥٥) البيت من معلقته • (ينظر ديوانه ص١٢٧ ، وشرح المعلقات السبع ص١٩٢) • السرحة : الشجرة العظيمة • يحذي : تجعل حـــذاء له • السبت : الجلد المدبوغ •

(٥٦) الآبر : المصلح للشيء والقائم عليه • المؤتبر : المستدعي الى الاصلاح • (ينظر ديوان طرفة ص٧٧) •

(٥٧) مر ذكره •

(٥٨) كذا في الاصل ، أما في ديوانه ص ١١٥ : فما كان •

توارثه : ورثه كابر عن كابر ، يريد ان مجدهم قديم •

وهـل يُنْبتُ الخَطيَّ إلاَّ وشيجه

وتُغرس إلاَّ في منابتها النخـل[٥٩]

وقال بعض المولدين في قوم نشأوا في عز ثم بادوا معا : [من الطويل]

لقـد غُرسوا غرس النخيـل وثاقـه

وما حُصدوا إلاَّ كما يُحْصَدُ البَقْلُ

وكمـا نقلوا أوصاف النبات والشجر الى أوصاف الناس [٣٥٩] لوقوع المناسبة بين الحالين ، فكذلك فعلوا في الأسماء فنقلوا كثيراً من أسماء هذا الجنس الى تسمية الناس لمثل تلك العلة أيضا . وقد سلكنا في هذا الكتاب مذهباً من بسط القول وتفريعه واستنباط غدره وينابيعه تبعث على ذكر المشهور من هذه الاسماء ومشهور المسمين بها . فمن ذلك ارطاة واحدة الأرطى : وهو الشجر ، قال ذو الرمة : [من الطويل]

أقـولُ بذي الأرْطى عشيَّةَ أتلعت

الى الركبِ أعناقُ الظباءِ الخواذِلِ[٦٠]

ومن المسمين بذلك أبو الوليد ارطاة بن سُهَيَّةَ[٦١] الشاعر [٣٦٠] وهو القائل : [من الوافر]

---

(٥٩) الخطي : الرماح ، نسبها الى الخط وهي جزيرة بالبحرين ترفأ اليها سفن الرماح . يقول : لا تنبت القناة الا القناة . الوشيج : القنا ، واحدتها وشيجة . (ينظر شرح ديوانه ص١١٥) .

(٦٠) أتلعت : مدت أعناقها مرعوبة . الخواذل : المتخلفات . ويروى : عشـــية أرشقت بمعنى أتلعت . (ينظر ديوان ذي الرمة ص ٤٩٥) .

(٦١) هو من بني مرة بن عوف بن سعد ، ويكنى أبا الوليد . دخل على عبدالملك بن مروان فقال : هل تقول شعرا ؟ فقال : كيف أقول وأنا ما أشرب ولا أطـــرب ولا أغضب ، وانما يكون الشعر على هذا وأنا الذي أقول : رأيت المرء .... » (ينظر الشعر والشعراء ج١ ص٤٢٧ ، وينظر الاغاني ج١٣ ص٣١ (ط. دار الكتب) .

رأيت المــرء تأكلــه الليــالي

كأكل الأرض ساقطة الحـديدِ

وما تُبقي المنيــة حــين تأتي

عـلى نفس ابن آدم من مـزيدِ

واعـلمُ انهــا ســتكرَ حتى

تِوفي نذرهـا بأبي الوليـد[٦٢]

ومن ذلك بشامة ، واحدة البشام ، وهو شجر طيب الريح يُستاك به •
قال الشاعر : [من الوافر]

أتنســى إذْ تودعنــا سُليمى

بفـرعِ بشـامة سُقي البشام[٦٣]

ومن المسمين به بشامة العَنَزي ، وهو أحد الفرسان • وله يقول محمد بن سلمة بن عبدالله الخير : [من الطويل] [٣٦١]

ولو أمكنتني مـن بشـامة مهـرتي

للاقى كمـا لاقى قـوارير قعنـبِ

ومن ذلك ثُمامة ، واحدة الثمام ، وهو شجر له ورق كالخوص قصير الأغصان • قال عبيد بن الأبرص[٦٤] يذكر بني أسد حين سخط عليهم حجر بن الحارث : [من مجزوء الكامل]

عيّــوا بأمرهم كمــا عيّت ببيضتها الحمامه

جعلت لها عودين من غرب وآخر من ثمامه[٦٥]

---

(٦٢) تنظر الابيات في الشعر والشعراء ج١ ص٤٢٧ ، والاغـاني (الكتب) ج١٣ ص٣١ •

(٦٣) البيت لجرير • (ديوانه ص٥١٢) •

(٦٤) شاعر جاهلي من المعمرين (ينظر الشعر والشعراء ج١ ص١٨٧)

(٦٥) ويروى : من نشم •

وممن سمي بذلك ثُمامة بن أُثال(٦٦) الذي مَنَّ عليه النبي - صلى الله عليه - بالاطلاق من الأسر فأسلم ، وقال : « يا محمد ما على الأرض دين أحب اليّ من دينك بعد أنْ لم يكن أبغض اليّ منه • [٣٦٢] واللهِ لا تأتي أهل مكة حبَّةٌ من طعام حتى يسلموا » • فقدم اليمامة فحبس عنهم الحمل حتى شقَّ عليهم ذلك ، وكتبوا الى النبي - صلى الله عليه - : « إنكَ تأمر بصلة الرحم ، وإنّا قد هلكنا » • فكتب الى ثمامة أنْ خلِّ اليهم الحمل ، فخلاه اليهم •

ومن المشاهير بهذا الاسم أبو معن ثُمامة بن أشْرَس النُميري البصري المتكلم(٦٧) ، وثمامة بن فالج بن مضرّس أخو بشر بن فالج سيد نمير • ومن ذلك حرملة ، واحدة الحرمل ، وهو شجر أيضا ، قال الأخطل : [من الطويل] [٣٦٣]

فرابيةُ السَّكران قَفْرٌ فما بها
لهم شَبَحٌ اِلاّسلامُ وحَرْمَلُ(٦٨)

ومن المسمين بذلك : حرملة بن هوذة بن خالد بن ربيعة الوافد على النبي - صلى الله عليه - وكتب يبشر باسلامه خزاعة • وحرملة بن الأشعر المازني المري أبو دريد وهاشم قاتلي معاوية بن عمرو بن الشريد السلمي • وحرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس جد مؤرج أيضا • يقول : « اسمي وكنيتي غريبان ، اسمي مؤرج ، والعرب تقول : أرّجَ

---

(٦٦) من بني حنيفة ، صحابي كان سيد أهل اليمامة له شعر • ولما أرتد اهل اليمامة في فتنة مسيلمة ثبت هو على اسلامه • توفي سنة ١٢هـ (الاصابة ج١ ص١١ ، والاستيعاب ج١ ص٢٠٣) •

(٦٧) من كبار المعتزلة ، وأحد الفصحاء البلغاء • توفي سنة ٢١٣هـ (لسان الميزان ج١ ص٨٣ ، وميزان الاعتدال ج١ ص١٧٣ ، والبيان والتبيين ج١ ص٦١ ، وتاريخ بغداد ج٧ ص١٤٥) •

(٦٨) كذا في الاصل ، اما في ديوان الاخطل ص٢ : فما لهم بهاشبح • السكران : موضع بالشام • سلام : حجارة واحدتها : سلمة • وسلام : شجرة واحدته سلامة •

بين القـوم وأرَّش[٦٩] إذا حرَّش • وأنا أبو فَيْد ، والفيـد ورد الزعفران »[٧٠] • حمزة : بقلة من احرار البقل[٧١] ، قال أنس[٧٢] : « كناني رسول الله [٣٦٤] ـ صلى الله عليه ـ ببقلة كنت أجتنيها »[٧٣] وكان يكنى أبا حمزة • وحمزة بن عبدالمطلب[٧٤] عم النبي ـ صلى الله عليه ـ ورضيعه •

وحمزة بن حبيب الفرائضي • وحمزة بن عبدالله بن الزبير الذي يقول فيه موسى شهوات[٧٥] : [من الرمل]

حمـزة المبتـاع بالمـال النـدى
ويرى في بيعـه أَنْ قـد غبَن[٧٦]
فهـو إِنْ أعطى عطـاءاً فاضـلاً
ذا إِخـاء لـم يكـدره بمـن

سَلمة : واحدة السلم ، وهو شجر من العضاه[٧٧] ، قال الشاعر : [من الطويل]

---

(٦٩) أرج البيت فهو أرج بريح طيبة ، والارج والاريج : توهج ريح الطيب ، والتأريج شبه التأريش في الحرب • وأرجت بين القوم تاريجا اذا أغريت بينهم وهيجت • وأرش بينهم: حمل بعضهم على بعض، والتأريش التحريش • (اللسان) •

(٧٠) الفيد : الزعفران المدوف ، والفيد : ورق الزعفران • (اللسان)

(٧١) حمزة : بقلة ، وبها سمي الرجل وكني • قال الجوهري : الحمزة : بقلة حريفة • (اللسان) •

(٧٢) هو أنس بن مالك الصحابي ، توفي سنة ٩٣هـ (طبقات ابن سعد ج٧ ص١٠) •

(٧٣) ينظر اللسان (حمز) •

(٧٤) قتل سنة ٣هـ يوم أحد • (الروض الانف ج١ ص١٨٥ ، و ج٢ ص ١٣١)•

(٧٥) هو الشاعر موسى بن يسـار المتوفى سنة ١١٠ هـ (الشعر والشعراء ج٢ ص٤٨١ ، والاغاني ج٣ ص٣٥١) •

(٧٦) كذا في الاصل ، اما في الاغاني ج٣ ص٣٥٧ : بالمال الثنا •

(٧٧) السلم : شجر من العظاه وورقها القرظ الذى يدبغ به الاديم ، وبه سمي الرجل ، ويجمع على سلمات • العظاه : كل شجر له شوك ، وقيل : العظاة أعظم الشجر •

فيا حجرات الدار حيث تحملوا

بذي سَلَمٍ لاجادكُنَّ ربيعُ

ومن المسمين بسلمة ابن عاصم صاحب أبي زكريا يحيى [٣٦٥] بن زياد الفراء • وسلمة بن ربيعة بن قيس بن الأضبط بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة • ومنهم سلمة الخير ، وسلمة الشر ابنا قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة • قال محمد بن عبدالله بن سلمة الخير : [من الوافر]

أنا ابن الغُرِّ في السلمات بيتي

ومن كعب حللْتُ بخير جارِ

وسلامَة ـ أيضاً ـ : واحدة السِلام ، وهو شجر(٧٨) ، وسلامة اسم أبي مالك سلامة بن جندل الشاعر(٧٩) ••

وعرفجة من أسمائهم أيضاً ، وهو اسم أبي مالك عرفجة بن مالك ابن عمرو بن كلاب •

والعرفج : شجر من نبات السهل(٨٠) • قال الأعرابي : [من الطويل] [٣٦٦]

عجبت لعطارٍ أتانا يسومنا

بدسكرة الفيوم دهْنَ البفسجِ

---

(٧٨) السلام : ضرب من الشجر ، الواحدة : سلامة ، (اللسان) •

(٧٩) هو من بني عامر بن عبيد بن الحارث ، جاهلي قديم • (الشعر والشعراء ج١ ص١٩٢ ، وخزانة الادب ج٢ ص ٨٦) •

(٨٠) العرفج : نبت ، وقيل : هو ضرب من النبات سهلي سريع الانقياد واحدته : عرفجة ، ومنه سمي الرجل • وقيل : هو من شجر الصيف ، وهو لين أغبر له ثمرة خشناء كالحسك • (اللسان ـ عرفج) •

فويحك يا عطـار هلاّ أتيتنـا
بضِغْث خزامى أو نحوصة عرفج[٨١]

وقال عمارة بن عقيل[٨٢] : [من الطويل]

لمستمطر بالرمل في بيت حرة
هجان بحبل ذي ألاء وعرفج
تخـور بـه الغزلان كـل عشية
الى كل خشف كالسوار وتخرج[٨٣]
أحب الينـا من قراقير ساحـل
بدجلة أو قصر ببغداد مرتج[٨٤]

ومن ذلك الشقيق والشقر ، وهو الشقائق . قال طرفة : [من الرمل]

وعلى الخيـل دمـاءٌ كالشَقَر[٨٥]

والواحدة : شَقِرة . وقد سموا بذلك وليس بمشهور ، وهو أبو بعض القبائل [٣٦٧] والنسبة اليه شَقَريّ بفتح القاف . وأنشـدني الجبلي في صفة الشقيق مما يتضمن هذا الاسم لابي بكر الصنوبري[٨٦] ، ووجدته بخط المرزباني : [من مجزوء الكامل]

---

(٨١) الضغث : ما جمعته من شيء مثل حزمة الرطبة ، وما قام على ساق واستطال ثم جمعته فهو ضغث . (اللسان ـ ضغث) .

(٨٢) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير . (معجم الشعراء ص ٧٨ وطبقات الشعراء لابن المعتز ص٣١٦ ، وتاريخ بغداد ج١٢ ص٢٨٢ ، والاغاني ج٢ ص٤٣٦ ، وكتاب بغداد لابن طيفور ص ١٥٤ ، وخزانة الادب ج٢ ص٤٩٧ ، وشرح ديوان الحماسة ج٣ ص١٤٣٢) .

(٨٣) فيه اقواء .

(٨٤) قراقير : السفن .

(٨٥) وصدره : وتساقي القوم كاسا مرة .
الشقر ـ بكسر القاف ـ شقائق النعمان ، ويقال : نبت أحمر ، واحدتها : شقرة ، وبها سمي الرجل شقرة . (ينظر ديوان طرفة ص٧٨) .

(٨٦) هو احمد بن محمد المتوفى سنة ٣٣٤هـ (فوات الوفيـات ج١ ص٦١) .

وكأنَّ محمرَّ الشقيقِ إذا تصوَّبَ أو تَصَعَّدْ

أعلامُ ياقوتٍ نشرن على رماحٍ من زبرجد[87]

وأنشد المرزباني أيضاً لابي أحمد يحيى بن علي المنجم : [من مجزوء الكامل]

وكأنما لمع السواد من الشقائق إذ تفرّج

كحلٌ جرى من مقلةٍ بالدمع في خدٍ مضرّج

ومن سمي بشقيق : ابن ابراهيم البلخي أحد الصلحاء ، وهو شيخ حاتم بن عنوان الأصم •

وممن سمي أيضا بهذا الاسم : أبو وائل [٣٦٨] شقيق بن سلمة الاسدي أدرك النبي ـ صلى الله عليه ـ ولم يلقه • وشقيق بن عبدالله بن معاوية بن جعونة بن الحارث بن نمير •

وشقيقة من أسماء النساء ، منهن : شقيقة بنت عك بن عدنان أم ربيعة وانمار ابني نزار بن مَعَدّ بن عدنان •

ومن ذلك : سمرة ، واحدة السمر ، وهو شجر •

قال الشاعر : [من البسيط]

يا ما أُميلحَ غِزلاناً شَدَنَّ لنا

من هَؤليّائكن الضال والسمر[88]

---

(٨٧) ينظر الايضاح للقزويني ص٢١٩ • والبيت من شواهد التشبيه الخيالى المدرك باحدى الحواس الخمس الظاهرة •

(٨٨) هذا البيت من الشواهد المعروفة ، ولكن أختلف في نسبته ، فنسبه قوم الى العرجي ونسبه جماعة الى بدوى سموه كاملا الثقفي ، ونسبه قوم الى الحسين بن عبدالرحمن (ينظر ديوان العرجي ص١٨٣ ، وشرح شافية ابن الحاجب ج١ ص١٩٠)

الضال : جمع ضالة وهو السدر البري • السمر : جمع سمرة ، وهي شجرة الطلح •

وسمرة بن جندب أحد الصحابة ، يحدث عنه •

وعلقمة : واحده العلقم ، وهو الحنظل • قال عنترة : [من الكامل]

[٣٦٩]

فاذا ظُلِمْتُ فانَّ ظلمي باسِلٌ

مُرٌّ مذاقته كطعمِ العلقمِ(٨٩)

وعلقمة بن زرارة بن عدس أحد الفرسان • وعلقمة بن جندح بن البكّاء ، وأبوه قاتل زهير بن جذيمة العبسي • وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص • وله يقول الحطيئة ، وخرج اليه حين استعمله عمر على حوران فمات علقمة قبل [أَنْ] يصل اليه الحطيئة : [من الطويل]

وما كان بيني لو لقيتك سالماً

وبين الغنى إلاّ ليالٍ قلائل(٩٠)

طلحة : واحدة الطلح ، وهو شجر من العضاه ، كل شجر له شوك وأنشد أبو عبيد : [من البسيط] [٣٧٠] •

قريانها من حديقاتٍ ملففةٍ

بالطلح والرند والرمان والتوتِ

وقال جرير : [من البسيط]

أَحْبِبْ اليَّ بذاك الجزع منزلةً

بالطلح طلحاً وبالسُّلاَنِ سُلاَّنا(٩١)

---

(٨٩) البيت من معلقته • (ينظر ديوانه ص١٢٥ ، وشرح المعلقات السبع ص ١٨٦) •

(٩٠) كذا في الاصل ، اما في ديوان الحطيئة ص ٢١٦ • فما كان •

(٩١) ينظر ديوان جرير ص٥٩٣ ـ ٥٩٥ وفيه :

احبب الي بذاك الجزع منزلة   بالطلح طلحا وبالاعطان أعطانا
نهوى ثرى العرق اذلم نلق بعدكم   كالعرق عرقا ولا السلان سلانا

وأنشدني بعض الأشراف ليحيى بن علي بن المنجم[٩٢] ووجدته بخط المرزباني أيضاً : [من المتقارب]

وبيت سماوته طلحة
تهدل بالورد أغصانُها
كأنَّ السماءَ أحاطت بنا
تهادي الكواكب أعنانها
يَدور مع الشمس نوارها
كما دار في العين اتسانها
وتمنع منها ابتذال الأكف
حراب صيانتها شانها

[٣٧١] والمشاهير بهذا الاسم كثير .

وممن غلب عليه بالشهرة طلحة بن عبدالله بن خلف فسمي طلحة الطلحات[٩٣] لانه فاق بمعروفه جماعة يسمون به في عصره .

وقال عُبيدالله بن قيس الرَقيات يرثيه ، أنشدنيه محمد بن علي بن المهتدي عن محمد بن المأمون عن محمد بن القاسم عن أبيه قال : انشدني أحمد بن عُبيد لعبيدالله بن قيس الرقيات : [من الخفيف]

نَضَّرَ اللهُ أعظماً دفنوها
بسجستان طلحة الطلحاتِ
كان لا يحرِمُ الصديقَ ولا يُعْرَ
فُ بالبخل طيّلَ العذراتِ[٩٤]

---

(٩٢) أديب متكلم من فضلاء المعتزلة ، توفي سنة ٣٠٠ هـ (وفيات الاعيان ج٢ ص٢٣٥) .

(٩٣) هو طلحة بن عبدالله المتوفى نحو سنة ٦٥هـ . (خزانة الادب ج٣ ص ٣٩٤) .

(٩٤) كذا في الاصل ، اما في ديوانه ص ٢٠ .
كان لا يحرم الخليل ولا يعتل   بالبخل ، طيب العذرات
وفي الحاشية : ويروى : طيب .

ولدته نســاء آل أبي طلحــة
أكــرمْ بهــنَّ من امهــاتِ

[٣٧٢]

سبط الكفِّ بالعطــاءِ إذا مــا
كان جود الجواد حسن العدات(٩٥)

هذا ما أحضره الذكر من هذه الأبيات ، وهي كثيرة(٩٦) . وفيما ذكرناه من هذا الفصل كفاية لما أردناه وشاهد فيما قدمناه .

ومما ورد من كلام النبي ــ صلى الله عليه ــ من التشبيه بالنبات قوله ــ عليه السلام ــ : « مثل المؤمن مَثَلُ الخامة من الزرع تميلها الريح(٩٧) مرة كذا ومرة كذا ، ومثل المنافق(٩٨) مثل الارزة المُجْذِيَة على الأرض يكون انجعافها مرة »(٩٩) .

قال أبو عبيد : الارز : شجر معروف بالشام ، وهو الصوبر بالعراق(١٠٠) [٣٧٣] المجذية : الثابتة في الأرض . فشبه المؤمن بالخامة تميلها الريح ؛ لانه مُرزأ في نفسه وأهله ، والكافر كالارزة التي لاتميلها الريح ، فهو لا يرزأ شيئاً حتى يموت . والانجعاف : : الانقلاع . وقوله ــ عليه السلام ــ في الرحم : « هي شجْنَةٌ من الله »(١٠١) ، يعني قرابة

---

(٩٥) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٢١ :
سبط الكف بالنوال اذا ما كان جود البخيل حسن العدات

(٩٦) تنظر في ديوانه ص ٢١ .

(٩٧) في النهاية ج٢ ص ٨٩ : تفيئها الريح .

(٩٨) كذا في الاصل والنهاية ج١ ص٣٨ ، اما في اللسان وتاج العروس (أرز) : مثل الكافر .

(٩٩) ذكره ابن الاثير في النهاية ج٢ ص٨٩ ، وذكر نصفه الثاني في ج١ ص٣٨ .

(١٠٠) ينظر تعليق أبن منظور عليها في اللسان (أرز) .

(١٠١) كذا في ألاصل ، أما في النهاية ج٢ ص٤٤٧ : « الرحم شجنة من الرحمن » ، أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق ، شبهه بذلك مجازا واتساعا وأصل الشجنة ــ بالكسر والضم ــ شعبة في غصن من غصون الشجرة .

مشتبكة كاشتباك العروق • ومنه في المثل : « الحديث شجون »[١٠٢] ، يراد اتصال بعضه ببعض • والشجنة : كالغصن تكون من الشجرة ، ويقال : شُجْنة • والمثل لضبة بن أد[١٠٣] ، وكان خرج ابناه في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد [٣٧٤] وكان اذا رأى شخصاً قال : « أسعد أم سعيد ؟ » فذهبت كلمته مثلاً • ثم بينا هو يسير مع الحارث بن كعب[١٠٤] في الشهر الحرام إذ أتيا على مكان فقال الحارث : لقيت ههنا فتى فقتلته ، وأخذت منه هذا السيف واذا صفيحة سعيد فقال ضبة : أرنيه • فناوله ، فقال عندها : « الحديث ذو شجون » • وضرب الحارث فقتله فقيل له : تقتل في الشهر الحرام ؟ فقال : « سبق السيفُ العَذَلَ »[١٠٥] • فذهبت كلمته الثالثة أيضاً مثلا • وفيه يقول الفرزدق : [من الطويل]

فلا تأمنن الحربَ إنَّ استعارَها

كضبَّةَ إذ قال : « الحديث شجون »[١٠٦]

[٣٧٥] وقوله ـ عليه السلام ـ : « مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآنَ مَثَل الأترجه ريحها طيب وطعمها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآنَ كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها • ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها • والمنافق الذي لا يقرأ القرآنَ

---

(١٠٢) أي ذو طرق ، الواحدة : شجن ـ بسكون الجيم ـ (مجمع الامثال ج١ ص ١٩٧) •

(١٠٣) ينظر الفاخر ص ٥٩ •

(١٠٤) في الفاخر ص ٥٩ : يسير والحارث •

(١٠٥) يقال ان هذا القول لخزيم بن نوفل الهمداني (مجمع الامثال ج١ ص٣٢٨) •

(١٠٦) كذا في الاصل والفاخر ص ٦٠ ومجمع الامثال ج١ ص ١٩٨ ، أما في ديوان الفرزدق ج٢ ص٣٣٣ : ان اشتغارها ••• أي : اتساعها واشتدادها •

كالحنظلة ريحها كريه وطعمها خبيث »[١٠٧] .

وقد مدح بعض المحدثين قوماً فشبههم بشـــجر الاترج على معنى كلام النبي ـ صلى الله عليه ـ فقال : [من البسيط]

كل الخـلال التي فيكم مناقبكم[١٠٨]
تشـابهت منكـم الأخـلاق والخُلُقُ

[٣٧٦]

كأنكم شــجر الاترج طـاب معـاً
أصلاً وفرعاً وطاب الحمل والورقُ

واسم المنافق مأخوذ من نافقاء اليربوع ؛ لانه يبطن غير ما يظهر . قال الشاعر يذكر حال النفاق والتباسها ، ويخاطب نفسه كالواعظ لها : [من مجزوء الكامل]

خَــلِّ النفـــاقَ لأهلـــه
وعليـــك فالتمـــس الطريقـــا
وارغـــب بنفســـك أنْ تـــرى
إلا عـــدوا او صديقـــا

وانما شبه ـ عليه السلام ـ قاريء القرآن من المنافقين بالريحانة ؛ لانه ظاهر حسن لا يعمل بحسبه ، فكذلك الريحانة لا تدل على طعم ينتفع به ، ثم بالغ في ذم المنافق الذي [٣٧٧] لا يقرأ القرآن فشبهه بالحنظلة ظاهراً وباطناً في ريحها وطعمها . يريد انه لو فاح ريحه لكان كريها .

قال أبو العتاهية : [من مجزوء الرمل]

---

(١٠٧) ينظر رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ص ٣٨٧ . وفتح الباري ج٩ ص٤٥٦ .

(١٠٨) كتب على الهامش : مباركة .

أَحْسَنَ اللهُ بنا أَنَّ الخطايا لا تفوحُ
فاذا المستور منا بين ثوبيه فضوح[109]

ونعود الى ذكر الآية ، قوله ـ عز وجل ـ : « سيماهم في وجوههم » أي : علامة السجود . وقيل : يبعثون يوم القيامة غراً محجلين بالنور من أثر الطهور .

وقوله ـ تبارك وتعالى ـ : « ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم [378] في الانجيل » . أي : ذلك صفة محمد وأصحابه في التوراة والانجيل كما قال تعالى : « مَثَلُ الجنةِ التي وُعِدَ المتقون فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ »[110] ، يعني صفتها .

قوله تعالى : « يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » . الزراع : محمد ـ صلى الله عليه ـ والدعاة الى الاسلام من أصحابه الذين ورد التشبيه في صفتهم . فقد تضمنت الآية ما في صفات الصحابة من المدح بشدتهم على الكافرين ورحمتهم للمؤمنين وطلبهم فضل الله ورضوانه في ركوعهم وسجودهم وما في المثل الذي ضربه لهم في كتبه من انهم [379] كزرع أفرخ ونما حتى قام على سوقه يعجب الزراع فيغيظ الكافر الحاسد .

---

(109) ينظر ديوانه (تحقيق ألدكتور شكري فيصل) ص ٩٧ـ٩٨ .
(110) سورة محمد ، الاية ١٥ .

ســورة الذاريات

قوله ـ عزوجل ـ : « وفي عادٍ إذْ أَرسلنا عليهم الريح العقيم • ما تَذَرُ من شيءٍ أَتتْ عليه إلاّ جعلته كالرميم »(١) •

أي : وفي عاد أيضا آية أخـــرى عى ما تقدم من قولـــه : « وفي موسى »(٢) •

والعقيم : التي لا يكون معها لقح ولا تأتي بمطر ، وانما هي ريح الاهلاك •

والرميم : الورق الجاف المتحطم ، وهو الهشيم ايضا • قال الطائي : [من الخفيف] [٣٨٠] •

أصبحتْ روضة الشبابِ هشــيما   وغدتْ ريحه البليل عقيمـــا(٣)

ومعنى التشبيه في الآية ان الريح جعلت ما أتت عليه في الخفـــة والذهاب كالرميم لشدة عصفها وسرعة مرّها • ويُروى عن النبي ـ صلى الله عليه ـ [انه] قــال : « نُصِرْتُ بالصَّبــا ، واهلكتْ عادٌ بالدَّبور »(٤) •

---

(١) سورة الذاريات ، الايتان ٤١ ، ٤٢ •

(٢) في الاية ٣٨ من السورة قال تعالى : « وفي موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين » •

(٣) كذا في الاصل ، اما في ديوانه ص ٢٢٠ : وغدت ريحه البليــل سموما • وكتبت هذه الرواية على الحاشية •

(٤) الدبور : الريح التي تقابل الصبا والقبول ، قيل : سميت به لانها اتأتي من دبر الكعبة ، وليس بشيء • (ينظر النهاية ج٢ ص ٩٨ ، واللسان • دبر) •

ولبعض الشعراء يهجو رجلاً : [من الرجز] .

لو كنت ماءاً لم تكن طهورا   أو كنت غيماً لم تكن مطيرا
أو كنت ريحاً كانت الدبورا   أو كنت برداً كنت زمهريرا
أو كنت أرضاً كنت أرضاً بورا   أو كنت مخاً كنت مخاً ريرا[٥]

والدَّبور تأتي من دبر الكعبة ، والقبول من تلقائها ، [٣٨١] والشمال من شمال الكعبة ، والجنوب من تلقائها . والنكباء[٦] كل ريح خالفت هذه الأربع . ومن أسماء الدبور مَحْوة[٧] لا تنصرف . أنشد أبو زيد : [من الرجز] .

قد بكرت مَحْوَةَ بالعجاجِ   ودمَّرت بقية الزَّجاج[٨]

الزجاج حاشية : الابل وضعافها[٩] .

وسميت الصَّبا : القبول لمقابلتها الدبور . ومن أسمائها : أَيْر وهِيْر ، وأَيَّر وهَيَّر[١٠] .

ومن أسماء الشمال : الجِرْبياء[١١] ، ونِسْع ومِسع[١٢] .

---

(٥) مخ رار ، ورير : ذائب فاسد من الهزال .

(٦) النكباء : كل ريح ، وقيل : كل ريح من الارياح الاربع انحرفت ووقعت بين ريحين ، وهي تهلك المال وتحبس القطر . (اللسان ـ نكب) .

(٧) المحوة : المطر تمحو الجدب ، وقيل محوة اسم الشمال . وقيل : أسم للدبور لانها تمحو الاثر (اللسان) .

(٨) ذكره ابن منظور في اللسان (محا) و (زجج) ونسبه الى القلاخ ابن حزن .

(٩) في اللسان (رجج) بالراء المهملة ، وهي المهازيل من الناس والابل .

(١٠) ينظر اللسان (اير) .

(١١) الجربياء ، على فعلياء ـ بالكسر والمد ـ : الريح التي تهب بين الجنوب والصبا . وقيل : هي الشمال ، وانما جربياؤها بردها . وقيل : هي النكباء التي تجرى بين الشمال والدبور وهي ريح تقشع السحاب .

(١٢) كلاهما من اسماء الشمال ، وزعم يعقوب ان الميم بدل من النون . (اللسان ـ نسع ومسع) .

ومن أسماء الجنوب : الأزيب[١٣] ، والنُعامى[١٤] ، والهَيْف[١٥] إذا هفت بحر • قال ذو الرمة : [من البسيط] [٣٨٢] •

وَصَوَّحَ البقلَ نئآجٌ تجيء به هَيْفٌ يمانية في مرّها نكَب[١٦]

ويقال : إن الجنوب أكثر ما تستحيل من الصَّبا • وقد دل على ذلك قول الشاعر : [من الطويل] •

وريح تبوع الشمس يممتُ نحـوها
ليشفي ما بي من سـقامٍ هبوبُهـا
تبدَّتْ صبا ثم اسـتدارت ضُحيَّةً
جنـوباً فمـاذا هيجت لي جنـوبهـا

ويقال للريح أول ما تبدو بشدة : النافحة[١٧] ، والزفزافة[١٨] التي لها زفزفة ، أي : صوت • والمُجفِلة[١٩] ، والجافلـة السـريعة •

---

(١٣) حكى ثعلب عن ابن الاعرابي : ان النكب من الرياح أربع : فنكباء الصبا والجنوب مهياف ملواح ميباس للبقل ، وهي التي تجيء بين الريحين • قال الجوهري : تسمى الازيب • (اللسان – نكب) وفي (زيب) : « الازيب : الجنوبية ، هذيلية ، أو هي النكباء التي تجري بين الصبا والجنوب »• وفي النهاية ج٢ ص٣٢٤ : « اسمها عند الله الازيب وعندكم الجنوب » •

(١٤) النعامي على فعالى – بالضم – : من أسماء ريح الجنوب ، لانها أبل الرياح وأرطبها •

(١٥) الهيف والهوف : ريح حارة تأتي من قبل اليمن ، وهي النكباء التي اتجرى بين الجنوب والدبور من تحت مجرى سهيل يهيف منها ورق الشجر • (اللسان – هيف) •

(١٦) صوّح : يبس • نئآج : ريح شديدة ، ونكب الريح ، أي : انحراف وعدول • هيف : ريح حارة • (ديوان ذي الرمة ص ١١) •

(١٧) نفحت الريح : هبت •

(١٨) الزفزفة : حنين الريح وصوتها في الشجر ، وهي ريح زفزافـة وريح زفزف ، وريح زفزفة وزفزافة وزفزاف : شديدة لهـا زفزفة ، وهي الصوت •

(١٩) ريح جفول : تجفل السحاب ، وريح مجفل وجافلة سريعة •

والسَّهول ، والسَّيْهوج[٢٠] • والسهوج : الشديدة • والهجوم[٢١] التي تشتد حتى تقلع الثُمام ، والبيوت ، والحجوج[٢٢] الشديدة [٣٨٣] المر • والدروج[٢٣] التي تدرج من مؤخرها حتى ترى لها مثل الذيل في الرمل •

قال شبيب بن البرصاء[٢٤] : [من الطويل]

فـلم تذرف العينـان حتى تحملت
مع الصبحِ أحفاضٌ لهم وحدوج[٢٥]
وحتى رأيت الحي تسـفي ديارهم
مزعزعـةٌ جنـح الظـلام دروج

وقيل : ان المراد بقوله تعالى : « كالرميم » : : العظم البالي المنسحق • يقال : رَمَّ العظم يَرِمّ رماً ورميماً : إذا نخر وبلي • والرِمة : العظم[٢٦] • ومنه الحديث انه نهى صلى الله عليه في الاستنجاء عن الروث والرِمة[٢٧] •

---

(٢٠) سهجت الريح سهجا : هبت هبوبا دائما واشتدت • وقيل :مرت مرورا شديدا • وريح سيهج وسيهجة وسهوج وسيهوج : شديدة •

(٢١) الهجوم : الريح التي تشتد حتى تقلع البيوت والثمام ، نبت في البادية • (اللسان – هجم) •

(٢٢) فسرها المؤلف •

(٢٣) الدروج من الرياح : السريعة المر • وقيل : هي التي تدرج أي: تمر مراً ليس بالقوي ولا الشديد • (اللسان – درج) •

(٢٤) هو شبيب بن يزيد ، شاعر اسلامي بدوي من شعراء الدولة الاموية • (الاغاني ج ١٢ ص ٢٧١ (ط الكتب) ، وشرح ديوان الحماسة ج ٣ ص ١١٢٣) •

(٢٥) الحفض : البيت ، او متاع البيت • وقيل : متاع البيت هيىء للحمل •

(٢٦) ينظر اللسان (رمم) والنهاية لابن الاثير ج٢ ص٢٦٦ •

(٢٧) في النهاية ج ٢ ص ٢٦٧ : « وفي حديث الاستنجاء : انه نهى عن الاستنجاء بالروث والرمة » • الرمة والرميم : العظم البالي • وأنما نهى عنها لانها ربما كانت ميتة ، وهي نجسة ، أو لان العظم لا يقوم مقام الحجر للاسته •

وقال تعالى : « وضَرَبَ لنا مَثَلاً ونسي خَلْقَه ، قال : مَنْ يُحيي العظام وهي رميم »[٢٨] [٣٨٤] ولما نزلت هذه الآيـة أتى أُبَيّ بن خلف الى النبي ـ صلى الله عليه ـ بعظم بالٍ فجعل يفته ويقول : أترى الله يا محمد يُحيي هذا بعد أنْ رَمّ[٢٩] .

وقال الشاعر : [من الطويل] .

وإنَّكَ لو ناديتــه وهو ميت ... أجاب ولو أنَّ العظــامَ رميم

وقولهم : « جاء بالطِمّ والرِمّ »[٣٠] . قيل فيه : ان الطم ما حمله الماء ، والرم : ما حملته الريح .

والوجه الأول أحسن في التشبيه[٣١] .

---

(٢٨) سورة يس ، الآية ٧٨ .

(٢٩) ينظر الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٢٣ .

(٣٠) في اللسان (رمم) : « الرم ـ بالكسر ـ الثرى ـ يقال : جاء بالطم والرم اذا جاء بالمال الكثير . وقيل : الطم بالبحر ، والرم ـ بالكسر ـ الثرى . وقيل : الطم ، والرم : اليابس » .

وفي أساس البلاغة (رم) : « من المجاز : له الطم والرم : المال الجم » .

(٣١) وهو تفسير الرميم في آية الذاريات بالورق الجاف المتحطم .

ســورة اقتربت

قوله ـ عزوجل ـ : « خُشَّعاً أبصارُهم يَخْرجون من الأجداث كأَنَّهم جرادٌ منتشر »(١) .

شبّه الناس في وقت البعث [٣٨٥] بالجراد المنتشر ، كما شبههم بالفراش المبثوث(٢) ؛ لانهم يؤمئذ يموج بعضهم في بعض .

قوله : «خشعاً» منصوب على الحال . وقرئت : « خاشعاً » وقرأ ابن مسعود(٣) : « خاشعةً أبْصارُهم »(٤) . ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد . ويجوز أيضاً التوحيد والتأنيث لتأنيث الجماعة . ويجوز الجمع تقول : « مررت بشباب حسنٍ أوجههم » و « حسان أوجههم » و « حسنة أوجههم » .

قال الشاعر : [من الرمل] :

وشبابٍ حَسَنٍ أوجههم
من أيادِ بن نزار بن معد

---

(١) سورة القمر ، الآية ٧ . وقد سماها المؤلف « سورة اقتربت » لانها تبدأ بقوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » .

(٢) قال تعالى في سورة القارعة ، الآية ٤ : « يوم يكون الناس كالفرش المبثوث » .

(٣) هو عبدالله بن مسعود الصحابي والمتوفي سنة ٣٢ هـ . (الاصابة ت ٤٩٤٥ ، وغاية النهاية ج١ ص٤٥٨) .

(٤) في الكشاف ج ٤ ص ٣٤٤ : « خاشعا ابصارهم » « حال من الخارجين » .

[٣٨٦] وأما قوله في سورة القارعة : يوم يكون الناسُ كالفراش المبثوث »[٥] • فالفراش : ما تراه كصغار البق يتهافت في النار ، وهذا التشبيه كالأول • وفي نحو ذلك يقول أبو كبير الهذلي[٦] ، وانى له بهذا الاختصار وما يدل على المراد من الكثرة في هذااللفظ الوجيز ، أنشدنيه الأسدي : [من الكامل]

لا يُجْفِلونَ عن المضاف ولو رأوا
أولى الوعاوِع كالغطاطِ المقبلِ[٧]

يقول : إذا رأوا أعداءهم حملوا عليهم كالغطاط إذا طار • وهو طائر كالقطا •

وقال امرؤ القيس وذكر الخيل [٣٨٧] : [من السريع] :

فهنّ أرسال كمثل الدّبى
أو كقطا كاظمة الناهلِ[٨]

وقال إياس بن قبيصة الطائي[٩] وذكر كتيبة : [من الطويل]

ومبثوثة بثّ الدّبى مسبطرةٍ
رددْتُ على بطائها من سراعِها[١٠]

---

(٥) سورة القارعة ، الآية ٤ •

(٦) هو عامر بن الحليس ، وهو جاهلي • ويرى لبعض انه مخضرم ذكره بعضهم في الصحابة • (الشعر والشعراء ج٢ ص ٥٦١ ، وخزانة الادب ج٣ ص٣٦٦ ، وديوان الهذليين ج٢ ص ٨٨ ، وشرح ديوان الحماسة ج١ ص٨٤) •

(٧) لا يجفلون : لا ينكشفون • المضاف : الملجأ • الغطاط : الطير (ديوان الهذليين ج٢ ص ٨٨) •

(٨) الدبى : القطعة من الجراد • لناهل : الذي دنا ليشرب الماء • (ديوان امريء القيس ص١٢١ ، ٢٥٧) •

(٩) كان عاملا لكسرى على عين التمر وما والاها من الحيرة • (ينظر الاغاني ج٢٠ ص ١٤٣ ، ١٣٨ ، والتنبيه والاشراف ج١ ص ٢٠٩ • وشرح ديوان الحماسة ج١ ص ٢٠٨) •

(١٠) ينظر شرح ديوان الحماسة ج ١ ص ٢٠٩ •

وقال الأعشى ، وذكر قوماً : [من الطويل]

متى أَدْعُ منهم ناصري تأتِ منهم
كراديس مأمونٌ عليَّ خذولُها[١١]

رِعالاً كأقْساط الجرادِ لخيلهم
عكوبٌ إذا سارتْ سريعٌ نزولها[١٢]

وقال أبو جندب الهذلي[١٣] : [من الطويل]

على حَنَقٍ صبَّحتهم بمغيرةٍ
كرجلِ الدَّبى الصيفيِّ أصبح سائما[١٤]

وقال أبو خِراش[١٥] في معنى آخر من هذا التشبيه : [من الطويل]
: [٣٨٨]

ترى طالبي الحاجاتِ يغشون بابَه
سِراعاً كما تهوي الى أُدْمَى النَّحْلُ[١٦]

---

(١١) خذولها : خذلانها ٠

(١٢) كذا في الاصل ، اما في ديوانه ص ١٧٥ : واذا ثابت بطيء نزولها رعالا : جمع رعيل ، وهو القطعة المتقدمة من الخيل والرجال وغير ذلك ٠ عكوب : غبار وأصوات ، من عكبت الابل اي :ازدوجت واعتكب الغبار : ثار ٠

(١٣) هو ابو جندب بن مرة اخو ابي خراش الهذلي ٠ (الشعر والشعراء ج ٢ ص ٢٥٥) ٠

(١٤) ينظر ديوان الهذليين ج ٣ ص ٨٦ ٠

(١٥) هو أبو خراش خويلد بن مرة نهشته حية فمات في زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ٠ (الشعر والشعراء ج٢ ص ٥٥٤) ٠

(١٦) كذا في الاصل ، اما في ديوان الهذليين ج٢ ص١٦٦ : الى أدمى ٠ وأدمى ـ بضم اوله وفتح ثانية ـ قال ابن خالويه : ليس في كلام العرب (فعلى) ـ بضم اوله وفتح ثانيه ـ مقصور غير ثلاثة الفاظ : شعبى : اسم موضع ، وادمى : اسم موضع و اربى : اسم للداهية ٠ وقال محمد بن ادريس : الأدمى جبل فيه قرية باليمامة قريبة من الدام ، وكلاهما بارض اليمامة ٠ (ينظر ديوان الهذليين ج ٢ ص ١٦٦ ، ومعجم البلدان (أدمى) ٠

ومنه أخذ المحدث قوله : [من الطويل]

ترى الناس أفواجاً الى باب داره
كأنهم رجلا دَبىً وجرادِ (١٧)

تشبيه آخر من هذه السورة : قوله ـ عزَ وجل ـ : « إنَّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نَحْسٍ مُستمر . تَنْزِعُ الناسَ كأنَهم أعجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ »(١٨) . « كأنهم » ههنا في موضع الحال . المعنى : تنزع الناس مشبهين النخل المنقعر وهو المقطوع من أصوله . وكانت الريح تكبهم على وجوههم . والنخل : يذكر ويؤنث . ويقال : [٣٨٩] هذا نخل وهذه نَخْلٌ ، فقال : « منقعر » على التذكير . وقوله في سورة الحاقة : « فترى القومَ فيها صَرْعى كأنَهم أعجاز نَخْلٍ خاوية »(١٩) على التأنيث . والهاء في قوله « فيها » عائدة على الريح التي أهلكتهم . وقوله : « أعجاز نخل » أي : أصول نخل .

ومما جاء في الشعر في نحو هذا التشبيه على تفاوت الموازنة بينه وبين لفظ القرآن وانحطاطه الى حال الهجنة واللكنة بالقياس الى تلك الفصاحة قولَ امريء القيس : [من السريع]

حتى تركناهم لدى مَعْرَكٍ
أرجلُهم كالخَشَب الشائلِ (٢٠)

[٣٩٠]

وقال آخر : [من البسيط]

كأنَهم خشبٌ بالقاعِ منجدل

---

(١٧) البيت لابي نواس . (ينظر ديوانه ص ٤٧٢ ، والتشبيهات ص ٢٤٨) .

(١٨) سورة القمر ، الآيتان ١٩ ، ٢٠ .

(١٩) سورة الحاقة ، الآية ٧ .

(٢٠) أي : قتلناهم وألقيناهم بعضهم على بعض فارتفعت أرجلهم فكأنهم الخشب الشائل ، وهي التي ألقي بعضها على بعض فارتفعت . (ينظر ديوان امريء القيس ص ١٢١) .

ونظم يحيي بن خالد[٢١] لفظ القرآن في شعر كتبه الى الرشيد حين نكب البرامكة فقال يخاطبه ويذكر حالهم : [من مجزوء الكامل]

عَمّتهم لك سخطةٌ لم تُبْقِ منهم باقيه
فكأنّهم مما بهم « أعجازُ نخل خاويه »[٢٢]

فأجابه الرشيد : « وضَرَبَ الله مَثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنَّةً »[٢٣] الآية ...

وأما قوله تعالى : « إنّا أرْسَلْنا عليهم ريحاً صرصراً » ، فالصرصر : الشديدة البرد جداً . قال الشاعر يذكر رجلاً : [من الطويل]

يصفقه أنفٌ من الريح باردٌ
ونكباء ليل من جمادى وصرصر[٢٤]

[٣٩١] والأصل : صِرٌ ، وصرصر متكرر في البرد ، كما تقول : صَرَّ الشيء ، وصَلَّ إذا سمعت صوته غير مكرر . فاذا أردت أنَّ الصوتَ تكرر قلت : صَرْصَرَ وصَلْصَلَ[٢٥] .

تشبيه آخر من هذه السورة : قوله ـ عزوجل ـ : « إنّا أرْسَلْنا عليهم صيحةً واحدةً فكانوا كهشيم المُحتظِر »[٢٦] ـ بكسر الظاء

---

(٢١) هو يحيى بن خالد البرمكي المتوفى سنة ١٩٠هـ . (وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٤٣) .

(٢٢) سورة الحاقة ، الاية ٧ ، وهي : « فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية » .

(٢٣) سورة النحل ، الآية ١١٢ .

(٢٤) لنكباء : كل ريح . وقيل : كل ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين . (اللسان ـ نكب) .

(٢٥) في الخصائص ج٢ ص١٥٢ : « قال الخليل : كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : صر . وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا : صرصر » . وقد بحث ابن جني ذلك بالتفصيل في خصائصه ج ٢ ص ١٤٥ وما بعدها .

(٢٦) سورة القمر ، الآية ٣١ .

وفتحها ـ : الهشيم ما يبس من الورق وتكسر وتحطم • أي : فكانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحب الحظيرة أي : قد انتهى الى غاية الجفاف حتى بلغ الى أنْ يجمع ليوقد • ومن قرأ « المحتظَر » بالفتح ، فهو اسم المكان [٢٩٢] الذي يحظر فيه • ومن قرأ بالكسر نسبه الى الذي يجمع الهشيم فذلك المحتظِر ، لانه فاعل •

وقد ذكرت الشعراء في وصف فَناء الناس ودثور الأمم نحواً من هذا التشبيه كقول عدي بن زيد العبادي : [من الخفيف]

ثم أَضْحَوا كأنهم وَرَقٌ جَفَّ

فألوت به الصَّبا والدبور[٢٧]

وهذا البيت مستحسن عند جماعة الرواة ، وذكر أصحاب المعاني انه كَنَّى بالصبا والدبور عن اخترام المنيّة بعضهم بالشدة وبعضهم بالسهولة • ونعرض ههنا خبر خالد بن صفوان[٢٨] المضمن أبيات العبادي ، حدثنيه عبدالله بن [٣٩٣] بكر الواعظ باسناده ، وحدثنيه محمد ابن علي بن المهتدي بالله مما حدثناه عن ابن الأنباري ، وحدثنيه أبي ـ رحمه الله ـ والرواية على لفظه ومنقولة من حفظه ، قال : قال خالد ابن صفوان : وفدت على هشام بن عبدالملك[٢٩] وقد بدأ يسرب الدهن وذلك في عام بكر وسميُّه[٣٠] ، وتتابع وليّه[٣١] ، وأخذت الأرض

---

(٢٧) ينظر ديوانه ص ٩٠ • ألوت : ذهبت به •

(٢٨) هو خالد بن صفوان بن عبدالله بن عمرو بن الاهتم ، من فصحاء العرب المشهورين • توفي سنة ١٣٣ هـ (أمامي المرتضى ج ٤ ص ١٧٢ ، ونكت لهميان ص ١٤٨) •

(٢٩) توفي سنة ١٢٥ هـ • (الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٩٦ ، وتاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٨٣) •

(٣٠) يسرب الدهن : كناية عن وفرة الخير • الوسمي : مطر الربيع الاول •

(٣١) الولي : المطر الذي يلي الوسمي •

زخرفها فهي كالزرابي المبثوثة[٣٢] وكالقباطي المنشورة [٣٣] ، وترابها كالكافور [٣٤] لو وُضعت عليه بضعة لم تترّب ، وقد ضربت له سُرادقات خز [٣٥] بعث بها اليه يوسف بن عمر من اليمن تتلألأ كالعقيان [٣٩٤] ، فأرسل اليّ ، فدخلت عليه ولم أزل واقفاً حتى نظر اليّ كالمستنطق لي فقلت : أتم الله نعمته عليك ياأمير المؤمنين ، وسوّغها بشكره، وجعل ما قلّدك من هذا الأمر رشداً وعاقبة ما يؤول اليه حمداً ، فقد أصبحت للمسلمين ثقة ومستراحا ، اليك يفزعون في مطالبهم ويلجأون في امورهم ، وما أرى لمقامي وما منّ الله عليّ به من النظر الى وجهك أفضل من تنبيهك على شكر نعمة الله عندك . وما أجد في ذلك أبلغ من حديث سلف لملكٍ من ملوك العجم اِنْ أَذِنَ أميرُ المؤمنين حدثته به . وكان متكئاً [٣٩٥] فاستوى قاعداً وقال : هات يا ابن الأهتم[٣٦] قلت : يا أمير المؤمنين ان ملكاً من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامنا هذا الى الخورنق والسدير[٣٧] ، وقد أخذت الأرض زينتها ، وكان قد جمع له فتاء السن وسعة الملك وكثرة المال ، فأشرف يوماً فنظر الى ما حوله وقال لمن حضره : هل علمتم أحداً أوتي مثل ما أوتيت ؟ وعنده

---

(٣٢) الزرابي : جمع زرب ، وهو ضرب من الثياب محبر منسوب الى موضع ، وعلى طريق التشبيه والاستعارة قال تعالى : « وزرابي مبثوثة » . (ينظر مفردات الاصفهاني ص ٢١٢) .

(٣٣) القبطية : ثياب كتان بيض رقاق .

(٣٤) الكافور : أخلاط تجمع من الطيب .

(٣٥) السرادق : ما أحاط بالبناء ، والجمع السرادقات . وفي القرآن الكريم : « احاط بهم سرادقها » .

(٣٦) هو خالد بن صفوان بن الاهتم .

(٣٧) هما القصران المعروفان ، وقد تحدث عنهما أبو الفرج لاصفهاني في الاغاني (لكتب) ج ٢ ص ١٤٠ ، وفي المعرب ص ١٢٦ : «الخورنق» : كان تسمى الخرنكاه ، وهو موضع الشرب فاعرب ، وهي بنية بناها النعمان لبعض أولاد الأكاسرة » . وفي ص ١٨٧ : «السدير : فارسي معرب واصله (سادلي) أي فيه ثلاث قباب مداخلة . ويسميه لناس (سي دلي) فاعرب » .

رجل من بقايا حملة الحجة والمضي على أدب الحق ومنهاجه ، فقال له : أيها الملك أرأيت ما جمع لك شيء هو لك لم يزل ، أم هو شيء كان لمن قبلك زال عنه وصار اليك ؟ قال : بل شيء كان لمن قبلي [٣٩٦] فزال عنه . قال : فانما أعجبت بما تفنى لذته وتبقى تبعته ، تكون فيه قليلاً ، وترتهن به طويلا . فبكى ، وقال : ويحك فاين المهرب ؟ قال : أما أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة ربك على ما ساءك وسرك وأمضك وأرمضك[٣٨] ، أو تضع تاجك وتلبس أمساحك[٣٩] وتعبد ربك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك . قال : فاذا كان الليل فأتني فان اخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا تعصى ، وإنْ اخترت خلوة الأرض كنت رفيقاً إنْ شئت . فلما كان السحر قرع عليه بابه فاذا به قد تهيأ للسياحة فلزما والله الجبل [٣٩٧] حتى أتاهما أجلهما . وذلك حيث يقول عدي ابن زيد : [من الخفيف]

أيها الشامتُ المعيّر بالدهرِ

أأنت المبرأ الموفور[٤٠] ؟

أم لديك العهد الوثيق من الأ

يام ، بل أنت جاهل مغرور

من رأيتَ المنونَ خلّدْنَ أم مَنْ

ذا عليه من أنْ يُضامَ خفير ؟

أين كِسرى ، كسرى الملوك أنو

شروان أم أين قبله سابور[٤١] ؟

---

(٣٨) ارمض رماضا الحر الشيء : أحرقه ، أو أوجعه .

(٣٩) المسح : الكساء من الشعر ، والجمع القليل : أمساح ، والكثير : مسوح .

(٤٠) الموفور : الذي لم تصبه نوائب الدهر .

(٤١) نو شروان : هو كسرى الأول انو شروان بن قباذ أحد ملوك الفرس . سابور : اسم لعدة ملوك من الفرس .

ءبنو الأصفر الكرام ملوك الرو
م لم يَبْقَ منهم مذكور[٤٢]

وأخو الحضر اذْ بناه واذ
دجلة تُجْبَى اليــه والخــابور[٤٣]

شاده مرمـــراً وجـلَّلـــه كلســاً
فللطــير في ذُراه وكــور

لم يَهَبْه ريبُ المنـــون فباد
المُلكُ عنه فبابه مهجـور

[٣٩٨]

وتأمل ربَّ الخــورنق إذ أَشْرفَ
يومــاً وللهــدى تفكـير

سره حالــه وكثرةُ ما يملك
والبحر مُعْرِضاً والسَّدير[٤٤]

فارْعوى قلبه فقال وما غبطــة
حـيٍّ الى الممــات يصير

ثمَّ بعد الفلاح والمُلكِ والأمَّــةِ
وارتهمُ هناك القبــور[٤٥]

ثم أَضْحَوا كأنَّهم ورَقٌ جَفَّ
فألوتْ به الصَّبا والـدبور[٤٦]

---

(٤٢) كذا في الأصل ، اما في الديوان ص ٨٧ : وبنـو الاصـفر الملوك .

(٤٣) الحضر : هي مدينة الحضر الاثرية الواقعـة في منخفض مـن بادية ما بين دجلة والفرات . الخابور : من روافد الفرات .

(٤٤) اراد بالبحر ههنا : الفرت . البحر معرضا : متسعا .

(٤٥) الفلاح : البقاء . الأمة : النعمة .

(٤٦) ينظر ديوان عدي بن زيد ص ٨٤ وما بعدها .

قال : فبكى هشام حتى اخْضَلَّتْ لحيته ، وبلّ عمامته ، وأمر بنزع أبنيته وعاد الى قصره فاجتمعت الموالي والحشم الى خالد بن صفوان فقالوا : ما أردت الى أمير المؤمنين ، نَغَّصْتَ عليه لذته ، وأفسدتَ باديته . فقال : اليكم عني فاني [٣٩٩] عاهدت اللهَ عهداً ألا أخلو بملك إلاّ ذكرته الله ـ عز وجل[٤٧] ـ .

وأنشدني أيضاً لعدي بن زيد في وعظ النعمان بن المنذر[٤٨] وقد خرجا متبدين ، فمرّا بشجرة فقال : أتدري ما تقول هذه الشجرة أيها الملك ؟ قال : لا . قال : انها تقول : [من الرمل]

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا عندنا
يشربون الخمر بالماء الزلال
وأباريق عليها فُدُمٌ
وجيادُ الخيلِ تردى في الجلال[٤٩]
ثم أضحوا عَصَفَ الدهر بهم
وكذاك الدهر حالاً بعد حال[٥٠]

من أحسن ما قيل في هلاك الأمم وفناء القرون الأولى قول الأسود بن يعفر[٥١] : [من الكامل] [٤٠٠]

---

(٤٧) تنظر القصة في الاغاني (الكتب) ج ٢ ص ١٣٦ .
(٤٨) ينظر لاغاني (الكتب) ج ٢ ص ٩٦ .
(٤٩) كذا في الاصل ، أما في الديوان ص ٨٢ : والاباريق . فدم ، جمع : فدام ، وهو ما يوضع على فم الابريق لتصفية الشراب . الجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه لدابة لتصان به .
(٥٠) كذا في الأصل ، اما في الديوان ص ٨٣ .
ثم اضحوا أخنع الدهر بهم وكذاك الدهر يودي بالجبال
وبعده :
وكذاك الدهر يرمي بالفتى في طلاب العيش حالا بعد حال
والحديث فيها عن المقابر ، ويروى انها من أسباب تنصر النعمان .
(٥١) جاهلي من بني حارثة ، وكان أعمى . (الشعر والشعراء ج ١ ص ١٧٦) .

ماذا أؤمل بعد آل محرِّقٍ
تركوا منازلهم ، وبعد أيادِ
أهل الخورنق والسدير وبارقٍ
والقصر ذي الشُرفات من سِنداد(٥٢)
أرض تخيَّرها لطيبِ مقيلها
كعب بن مامة وابن أم دؤادِ(٥٣)
جرت الرياح على مَحلِّ ديارهم
فكأنما كانوا على ميعادِ
ولقد غنوا فيه بأنعم عيشةٍ
في ظلِّ ملكٍ ثابت الأوتادِ
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم
ماء الفرات تجيء من أطوادِ
فاذا النعيم وكل ما يُلهى به
يوماً يصير الى بلى ونفادِ(٥٤)

وقد سلك المولدون طريق الأوائل في وصف هذه الحال ، وكلٌّ مقصر عن بلاغة الكتاب ، وذاهب الى الاطالة والاسهاب [٤٠١] • وربما أخذ بعضهم لفظ التنزيل ، وهو مع ذلك الى النكول والتقصير اذعاناً من الخواطر بالعجز عن إدراك شأوه ومعارضة بلاغته • أنشدني بعض الشيوخ لابن

(٥٢) هذه أسماء قصور ومنازل بالحيرة وضواحيها •

(٥٣) هما كعب بن مامة الايادي أحد أجواد العرب في الجاهلية • وأبو دؤاد الشاعر الايادي • (الشعر والشعراء ج١ ص١٦١ ، ١٧٦ ، والمفضليات ص ٢١٧) •

(٥٤) كذا في الأصل والمفضليات ص ٢١٦ ، اما في الشعر والشعراء ج ١ ص ١٧٧ : فارس النعيم •

مناذر[٥٥] في أبيات : [من الخفيف] •

وأرانا كالزَرْعِ يحصده الدهرُ

فمــن بين قــائمٍ وحصيدِ[٥٦]

وهو من قوله تعــالى : « ذلك مــن أنباء القرى نقصُّه عليك منها قائمٌ وحصيد »[٥٧] • فأتى بلفظ القرآن وخذلته القرينة عن اســتيفاء المعنى ؛ لانّه هناك أتم وأعم وأوفى وأبلغ ، إذْ دَلَّ على ذهاب من ذهب من القوم وذهاب مساكنهم ، وما يتبع ذلك مما يكثر ذكره ويطول شرحه • [٤٠٢]

وحدثني أبي ـ رحمه الله ـ قال : لما خلع يزيد بن المهلب[٥٨] ودعا الى نفسه أيام يزيد بن عبدالملك[٥٩] ، ندب له أخاه مَسْلمة[٦٠] والعباس ابن الوليـد فواقعاه بالعقر مـن أرض بابل فقتلاه وجماعة مـن أصحابه وحملت رؤوسهم الى الشـام واستؤسر حبيب بن المهلب فلما وصل الى يزيد حبسه وشهر الرؤوس بالشام ومكث حبيب محبوساً الىأيام هشام[٦١] فيقال : انه انفذ اليه رؤوس آل المهلب وقال : تعرف هذه ؟ قال : نعم هذه رؤوس قوم زرعتهم الطاعة ، وحصدتهم المعصية • فأعجبه قوله فأفرج عنه • [٤٠٣]

---

(٥٥) هو محمد بن مناذر من أهل عدن ، وكان وقع الى البصـرة لكثرة العلماء والأدباء فيها ، فما زال يلزم أهل الفقه وأصحاب الحـديث والادب حتى بلغ من ذلك أقصى مبلغ • توفي سنة ١٩٨ هـ • (الشعـر والشعراء ج ٢ ص ٧٤٧ ، وطبقـات ابن المعتـز ص ١١٩ ، والاغانـي (بيروت) ج ١٧ ص ١٧ ، وبغية الوعاة ج ١ ص ٢٤٩) •

(٥٦) ينظر طبقات ابن المعتز ص ١٢٢ ، والأغاني ج ١٧ ص ٤٧ •

(٥٧) سورة هود ، لآية ١٠٠ •

(٥٨) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الازدي ، المتوفى سنـة ١٠٢ هـ • (وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٦٤) •

(٥٩) توفي سنة ١٠٥ هـ • (الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٤٥ ، والنجوم الزاهرة ج ١ ص ٥٥٢) •

(٦٠) توفي سنة ١٢٠ هـ • (تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٤٤) •

(٦١) توفي هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ •

سورة الرحمن

قوله ـ عز وجل ـ : « خَلَقَ الانسانَ من صَلْصالٍ كالفَخَّار »[1]. أي : هو في يبسه كالفخار . يقال : صَلَّ الشيء وصلصل : إذا سمعت صوته بعضه مع بعض . قال جرير وذكر الزبير : [من الكامل]

لو كـان لَبَّس خيله بحبـالنا

لسمعت من وقع الحديد صليلا[2]

وقـال في موضع آخر : « إنَّا خلقناهم من طين لازبٍ »[3] . وقـال : « ولقد خَلَقْنا الانسانَ من صَلصالٍ من حمأ مسنون »[4] . وقال : « إنَّ مَثَلَ عيسى عند الله كمَثَلِ آدمَ خلقه من تراب »[5] .

وهذه الأشياء مختلفة الالفاظ وفي المعنى راجعـة الى أصل واحـد [٤٠٤] فأصل الطين : التراب ، ثم انتقل الطين فصار كالحمأ المسنون ، ثم انتقل فصار صلصالاً كالفخار . وليس في ذلك تناقض يوجب الالتباس .

وقال بعض الشعراء : [من البسيط]

الناسُ من جهـة التمثيل أكفاءُ

أبوهـم آدَم ، والأم حـوّاءُ

---

(١) سورة الرحمن ، الآية ١٤ .

(٢) كذا في الأصل ، أما في ديوانه ص ٤٥٥ :

لو كنت حين غررت بـين بيوتنـا   لسمعت من صوت الحديد صليـلا

(٣) سورة الصافات ، الآية ١١ .

(٤) سورة الحجر ، الآية ٢٦ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ٥٩ .

فإنْ يكن لهم من أصلهم نَسبُ

يفاخرون بـــه فالطــين والمـــاءُ

ومن هذا الشعر نقل ابن المعتز قوله ، أنشدناه العشاري : [من المتقارب]

وحسبُكَ من نَسَبٍ صــورةٌ

تخبـــر أنّـــكَ مـــن آدم[٦]

والمسنون : المصبوب • وقيل : المتغير الرائحة ، وقيل : الصلصال أيضاً : المتغير من « صَلَّ اللحم كأنه صَلاّل »[٧] [٤٠٥] فقلب احدى اللامين • وقرأ بعضهم : « وقالوا إذا صَلَلْنا في الأرْضِ »[٨] ، بالصاد غير معجمة على المعنى الذي ذكرناه[٩] •

وقيل ـ أيضاً ـ في قوله تعالى : « كالفخار » أي : انتقاله من حال الى حال كانتقال الطين الى الفخار • وقد ضرب الله المثل لانشاء الخلق واقام الحجة في ذلك بما ينتقل عن الطين الى جنس آخر فقال ـ جَلَّ اسمه ـ : « أَأَنتم أشَدُّ خلقاً أم السماء بناها » الى قوله تعالى : « والأرضَ

(٦) ينظر ديوانه ص ٣٤١ •

(٧) صل للحم : انتن مطبوخا كان أو نيئا •

(٨) الآية في القرآن الكريم هي : « وقالوا ! اذا ضللنا في الأرض أانا لفي خلق جديد ، بل هم بلقاء ربهم كافرون » سورة السجدة ، الآية ١٠ •

(٩) في الكشاف ج ٣ ص ٤٠٢ : « وقرأ الحسن ـ رضي الله عنه ـ : « صللنا » من : صل اللحم واصل : اذا انتن • وقيل : صرنا من جنس الصلة وهي الأرض » • وفي للسان (صل) : « وفي التنزيل العزيز : « وقالوا : اذا صللنا في الارض »، قال ابو اسحاق : من قرأ صللنا بالصاد المهملة فهو على ضربين :

أحدهما : انتنا وتغيرنا وتغيرت صورنا • من صل اللحم واصل اذا نتن وتغير •

والضرب الثاني : صللنا من يبسنا من الصلة ، وهي الأرض اليابسة •

وقال الأصمعي : يقال : ما يرفعه من الصلة ، من هوانه عليه ، يعني من الارض » •

بعد ذلك دَحاها . أَخْرَجَ منها ماءها ومرعاها . والجبالَ أرساها »[10] . فالجبال في أحد الوجهين معطوفة على قوله : « ماءها ومرعاها » وعلى ذلك [٤٠٦] يكون المعنى في قوله : « لنُرْسِلَ عليهم حجارةً من طين »[11] أي: منتقلة عن الطين . وفي الخبر انها حجارة، على كل حجر منها مكتوب اسم صاحبه الذي يقع على رأسه . فذلك قوله « مسوّمة » والى هذا ذهب قوم في تفسير « سجيّل » الى انه معرّب ، أصله بالفارسية « سَنْكْ كِلْ »[12] .

والوجه الآخر في قوله : « والجبال أرساها » باضمار فعل يفسره الفعل الظاهر وقد أشار الراجز الى الوجه الأول في قوله : [من الرجز]

تسألني عن السنين كم لي
فقلت لو عُمِّرتُ عُمْرَ الحِسْلِ
أوْ عمر نوحٍ زمنَ الفِطحْلِ
والصخرُ مُبتلٌ كطينِ الوحْلِ[13]

[٤٠٧] وأما قوله تعالى : « انَّ مَثَلَ عيسى عند الله كمثل آدمَ » فانَّ نصارى أهل نجران قدم وفدهم على النبي ـ صلى الله عليه ـ وفيهم السيد والعاقب ، وهما يومئذ سيدا أهل نجران ، فقالوا : يا محمد فيم تشتم صاحبنا وتزعم انه عبد؟ فقال ـ عليه السلام ـ : « أجل هو عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم » . فقالوا : « إنْ كنتَ صادقاً فأرنا عبداً يحيي

(١٠) سورة النازعات ، الآيات ٢٧ ـ ٣٢ .
(١١) سورة الذاريات ، الآية ٣٣ .
(١٢) ينظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٩ ، والمعرب ص ١٨١ . وكتاب ترجمان القرآن لمير سيد شريف جرجاني ص ٥١ (طبعة طهران ١٣٣٣) .
(١٣) البيتان لرؤبة . الحسل : ولد الضب . الفطحل : دهر لم يخلق الناس فيه بعد ، وزمن الفطحل : زمن نوح النبي . وفي اللسان (فطحل) : « وسئل رؤبة عن قوله ! « زمن الفطحل » فقال : أيام كانت الحجارة فيه رطابا » .

الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص[١٤] ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا ، لكنه هو الله » . فسكت ـ عليه السلام ـ حتى أنزل الله تعالى : « إِنَّ مَثَلَ عيسى عند الله كمثلِ آدمَ [٤٠٨] خلقه من ترابٍ ، ثم قال له : كُنْ فيكون . الحقُّ من ربك فلا تكُنْ من الممترين . فمنْ حاجّكَ فيه من بعْدِ ما جاءَكَ من العِلْمِ ، فقلْ : تعالوا ندْعُ أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسَنا وأنفسكم ، ثم نبتهل[١٥] فنجعل لعنةَ الله على الكاذبين . إِنَّ هذا لهو القَصَصُ الحقُّ وما مِنْ إلهٍ إلاّ الله ، وإنَّ اللَّهَ لهو العزيز الحكيم »[١٦] .

فلما أصبحوا عادوا فقرأ عليهم الآيات فقالوا ما نعرف ما تقول ؟ فلما أبوا عرَضَ عليهم الملاعنة ، فقبلوا ذلك فواعدهم رسول الله ـ صلى الله عليه ـ [٤٠٩] فانصرف العاقب والسيد ليغدوا اليه ، فمرا على رجلٍ منهم كان منكراً فأخبراه ، فقال : ما صنعتما شيئاً ، واللهِ لئن كان نبياً لا يغضبه الله فيكم ، ولئن كان ملكاً استعبدتكم العرب قالا : فما الرأي ؟ قال : توافياه لموعده ، فاذا عرض عليكما الملاعنة فقولا : نعوذ بالله . فغدا رسول الله ـ صلى الله عليه ـ وفاطمة معه والحسن والحسين فقال : هل لكما فيما اتّعَدْنا عليه ؟ قالا : نعوذ بالله . قال : فالاسلام ، فأبيا . قال : فالجزية ، فقبلا الجزية وتركا الملاعنة[١٧] . [٤١٠] تشبيه آخر من هذه السورة : قوله ـ عز وجل ـ : « وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام »[١٨] .

الجواري : السفن ، والوقف عليها بالياء ، وانما سقطت في الوصل

---

(١٤) لأكمه : الاعمى . الابرص : المصاب بمرض لبرص . قال تعالى في سورة آل عمران ، الآية ٤٩ على لسان عيسى عليه السلام : « وابرىء الأكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله » .

(١٥) البهلة بالفتح والضم : اللعنة ، وبهله الله : لعنه وابعده من رحمته . (ينظر الكشاف ج ١ ص ٢٨٢) .

(١٦) سورة آل عمران ، الآيات ٥٩ ـ ٦٢ .

(١٧) ينظر الكشاف ج ١ ص ٢٨٢ .

(١٨) سورة الرحمن ، الآية ٢٤ .

لسكون اللام . والوقف عليها بغير ياء جائز على بعد ، ولا بدَّ من الذهاب بها الى الكسر ليدل على حذف الياء . ومعنى « المنشآت » : المرفوعات الشرع . ويقرأ : « المنشِآت » بكسر الشين على معنى الحامِلات الرافعات الشرع ، والفتح أجود . والأعلام : الجبال قال الشاعر : [من الرجز]

إذا قطعنا علماً بدا علم(١٩)

[٤١١] وانما شبَّه الله تعالى سفن البحر بالأعلام لانه أراد المراكب الكبار التي تقطع البحر ، وهي أشبه شيء بالجبال . والدليل على حسن وقوع هذا التشبيه وصحته انه يصح على العكس ، وقلب المشبه بالمشبه به كما تصح الخاصة التي تدور على نفسها من الحد . فممن عكس هذا التشبيه ذو الرمة فقال ، وذكر مسير الركب في مجهول الفلاة : [من الطويل]

بأرضٍ ترى فيها الحُبارى كأنّها
قَلوصٌ أَضَلَّتْها بعِكْمين عِيرُها(٢٠)
يظل القَنان الصوَ فيها كأنها
قراقر موجٍ غَضَّ بالساجِ قيرها(٢١)
مُلجَّجةٌ في الماء يعلو حبابُه
جآجئها السفلى وتطفو شطورُها(٢٢)

(١٩) ينظر ديوان جرير ص ٥٢٠ ، واللسان (علم) .
(٢٠) العكمين : اي الارض العدلة المستوية . يقول : من استوائها وقلة الاعلام بها ترى فيها الطير كالقلوص عكمين ، أي : عدلين عاليين .
(٢١) كذا في الاصل ، ما في ديوان ذي الرمة ص ٣٠٨ :
تظل لوحاف الصدأ فيها كانها قراقير موج غض بالساج قيرها
القنان : جبل باعلى نجد (اللسان (قنن) ومعجم البلدان (قنان) .
الصو : الفارغ . الوحاف : حجارة لا تبلغ ن تكون جبالا . صدأ: سود . القراقير : السفن ، الواحدة قرقور . يقول : كانها في السراب سفن في الماء .
(٢٢) كذا في لاصل ، اما في الديوان ص ٣٠٨ : حيازيمها .

[٤١٢] ونظير التشبيه في الآية قوله تعالى في سورة « عسق »[٢٣] : « ومن آياتِه الجواري في البحر كالأعلام »[٢٤] . والياء ههنا ثابتة في الوصل والوقف .

تشبيه آخر من هذه السورة : « فاذا انشقت السماء فكانت وَرْدَةً كالدِهان »[٢٥] . الانشقاق : انفكاك ما كان على شدة الالتئام ، فالسماء تنشق وتصير حمراء كالوردة ، ثم تجري كالدهان . وقيل : في قوله : « فكانت وردة كالدهان » أي : كلونِ فرسٍ ورد ، والكميت : الورد يتلون فيكون [٤١٣] لونه في الشتاء خلاف لونه في الصيف . والدهان : جمع دُهن كقُرط وقِراط . أي : يتلون من الفزع الأكبر كما تتلون الدهان المختلفة . ودليل ذلك قوله تعالى : « يومَ تكونُ السماءُ كالمُهْلِ »[٢٦] أي : كالزيت الذي قد أغلي . وهم يذكرون تغير السماء في شدة الأمر وصعوبته وما يعهدونه من أحوالهم مثل الجدب والحرب ونحو ذلك ومثله قال الشاعر : [من الطويل]

ومحمرة الأعطافِ مغبرة الحشا

خفاف رواياها بطاءٌ عهودها

يعني سنة مجدبة أقطار السماء بها محمرة ، والأرض [٤١٤] مغبرة . و « رواياها » يعني سحابها . والعهود : أول المطر . قال بعض العرب أيضا يذكر سنة مجدبة : [من المتقارب]

وجاءتك بالهفَ لا أرْيَ فيه

وقد سوّد الشمس فيه القتر

---

(٢٣) هي سورة الشورى ، وسماها كذلك لانّ اولها : «حم . عسق » .
(٢٤) سورة الشورى ، الآية ٣٢ .
(٢٥) سورة الرحمن ، الآية ٣٧ .
(٢٦) سورة المعارج ، الآية ٨ .

كَـأَنَّ النجـومَ عيـون الكـلاب

تنهضُ في الأفـق أو تنحدر[٢٧]

أي : قد حال الغبار دونها وكمدت ألوانها ، كما قال ذو الرمة : [من الطويل]

وحــيرانَ مُلتَجٍّ كأَنَّ نجومـه

وراءَ القتام الأغبر الأعينُ الخُزْرُ[٢٨]

تعسَّفْتُـه بالركب حتى تكشَّفَـتْ

عنِ الصُّهْـب والفتيانأوراقُه الخُضْـرُ[٢٩]

وأما التقرير بالنعمة في قوله تعالى : « فبأي آلاء ربكما تكذبان »[٣٠] . وليس في انشقاق السماء نعمة يقع التقرير بها ، فانما [٤١٥] التقرير وقع من جهة الزجر والتخويف بانشقاق السماء ، فوقع بالسبب . وانما يجب الزجر بالضرر المحض لا بما يقع فيه النفع ، ولكن بسبب النفع الذي هو الزجر به في دار الدنيا .

تشبيه آخر من هذه السورة : قوله ـ عز وجل ـ : « كأنَّهنَ الياقوتُ والمرجان »[٣١] . أي : هُنَّ في صفاء الياقوت وحسنه . وقال قوم: إنَّ المرجان صغار اللؤلؤ .[ولا يصح ما] قالوا : لانّ المرجان جنس آخر وهو

---

(٢٧) سحابة هف : بلا ماء . الأري من السحاب : درته . القتر : الغبرة .

(٢٨) كذا في الأصل ، كما في ديوانه ص ٢١٤ : وراء القتام العاصب الاعين الخزر .

حيران : يعني الليل ـ يحار فيه فلا يهتدى فيه . ملتج : مثل اللجة من شدة سواده . القتام : الغبرة بين السماء والارض ، فكأن النجوم وراء ذلك عيون خزر لا ضوء لها .

(٢٩) كذا في الأصل ، كما في الديوان : أرواقه أي : أعاليه . وروى أبو عمرو : تخوفته بالركب حتى تقوضت . تعسفت : سرت فيه على غير هداية . الصهب : الابل في ألوانها صهبة ، أي حمرة .

(٣٠) آية تكررت في سورة الرحمن .

(٣١) سورة الرحمن ، الآية ٥٨ .

أحمر اللون ينشأ في قرار البحر متشجراً ويُخرج بالكلاليب . قال الله
[٤١٦] تعالى : « يَخرج منهما اللؤلؤُ والمرجان »[٣٢] . ولو كان كما ذكروا لم يكن في هذا التكرير فائدة . والمعنى انه شبههم بالمرجان ليدل ذلك على تشبيههم بالياقوت الأحمر ، وهو أحسن الياقوت . وقد قال بشار : [من الطويل]

هجان عليها حمرة في بياضها
تروق بها العينين والحسن أحمر[٣٣]

وأحسن ما شبه احمرار اللون بالياقوت كما قال أبو نواس في تشبيه الخمر حين وصف لونها : [من البسيط]

كَأْسٌ إذا انحدرتْ في حَلْقِ شاربها
أَحْذَتْه حمرتَها في العين والخدِ[٣٤]

فالخمر ياقوتةٌ والكأس لؤلؤة
من كفِّ جاريةٍ ممْشوقة القدِ[٣٤ب]

[٤١٧] وقد شبهت العرب النساء في حسنهن بالياقوت وسمتهن باسمه ـ أيضا ـ وأنشد الخليل بن أحمد : [من السريع]

إنَما الذلفاءُ ياقوتَةٌ
أُخرِجَتْ من كيسِ دهْقانِ[٣٥]

---

(٣٢) سورة الرحمن ، الآية ٢٢ .
(٣٣) ديوان بشار ج٣ ص٢٦٠ .
(٣٤) كذا في الاصل ، اما في ديوان أبي نواس ص ٢٧ :
كاسا اذا انحدرت في حلق شاربها أجدته حمرتها في العين والخد
أحذته : أعطته .
٣٤ب : في الاصل معشوقة ، والتصحيح من الديوان .
(٣٥) ذكره ابن منظور في اللسان (ذلف) ولم يذكر قائله . الذلف ـ بالتحريك ـ قصر لانف وصغره . وامرأة ذلفاء : من نساء ذلف ، ومنه سميت لمرأة .
الدهقان ـ بكسر الدال والضم ـ : التاجر ، فارسي معرب . (اللسان ـ دهق) .

وأنشدني محمد بن علي بن المهتدي ، قال : أنشدنا محمد بن المأمون ، قال : أنشدنا محمد بن القاسم لعبدالله بن عبدالله بن طاهر ، واعتمد على لفظ القرآن ، فقال : [من الخفيف]

هي كالدّرةِ المصـــونةِ حســـناً

في صفـــاء الياقـــوت والمرجـان

وقالوا في أسماء النساء : ياقوتة ، كما قالوا في تسميتهن : لؤلؤة ومرجانة وذلك مثل ما ذكروا في وصف زينتهن كقول النابغة : [من الكامل] [٤١٨]

بالـدرّ والياقـوت زيّن نحـرها

ومفصل من لؤلؤٍ وزبرجـدِ (٣٦)

وأنشدني بعض الشاميين بيتاً غريب الصنعة لمحدث : [من المجتث]

يا قوتَ يا قوتَ روحي روحـي بـراحٍ براح (٣٧)

أراد : ياقوتة ، فرخم وماثل جميع ألفاظ البيت كما ترى ٠

---

(٣٦) البيت من قصيدته : من آل مية رائح أو مغتدي ٠

(٣٧) ياقوت الاولى : مرخم ياقوتة ٠ الراح الاولى : الخمر والثانية الراح جمع راحة ٠

سـورة الواقعة

قوله ـ عز وجل ـ : « وحورٌ عِينٌ • كأمثالِ اللؤلؤ المكنون»(١) • بالخفض ، وقرئت بالرفع • فمن رفع كره الخفض ؛ لانه عطف على قوله: « يطوف عليهم ولدانٌ مخلدون بأكوابٍ »(٢) • فقيل : الحور ليس مما يُطاف به • وقد يكون الخفضَ على غير ما [٤١٩] ذهب اليه ؛ لانَّ قوله : « يطوف عليهم ولدانٌ مخلدون بأكوابٍ »(٢) • فقيل : الحور ليس طير ، وكذلك ينعمون بحور عين • ومن قرأ بالرفع فهو أحسن الوجهين ، لانَّ معنى « يطوف عليهم ولدان مخلدون » بهذه الأشياء بمعنى ما قد نبت لهم ، فكأنه قال : « ولهم حور عين » • ومثله مما حمل على المعنى قول الشاعر : [من الكامل]

بادَتْ وغَيرَ آيَهَن يدُ البلى
إلاّ رواكد حمرهن هباء
ومشجَّجٍ أما سوادٌ قذاله
فبدا ، وغَير ساره المعزاء(٣)

لانه لما قال : « إلاّ رواكد » كأنَّ المعين بها : رواكد ، فحمل « مشجج » [٤٢٠] على المعنى • وقد قرئت : « وحوراً عيناً » بالحمل على المعنى أيضا في النصب ؛ لانَّ المعنى : يُعطون هذه الأشياء ويُعطون حوراً عيناً ، إلاّ

---

(١) صورة الواقعة ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣ •
(٢) سورة الواقعة ، لآيتان ـ ١٧ ـ ١٨ •
(٣) لبيت الثاني في اللسان (شجج) غير منسوب •
المشجج : الوتد • ساره : سائره • المعزاء : الحصى الصغيرة •

ان هذه القراءة تخالف المصحف الذي هو الامام .

ومعنى الحور : الشديدات البياض . والعين : الكبيرات العيون حسانها . ومعنى : « كأمثال اللؤلؤ المكنون » كأمثال الدر يخرج من صدفه وكنه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال . وانما عنى بقوله : « كأمثال اللؤلؤ » أي : ان صفاءهن وتلألؤهن كصفاء الدر وتلألئه . وقد شبهت الشعراء بالدر ولم تأت [٤٢١] بهذه الصفة في هذا الاختصار . فمن ذلك قول النابغة : [من الكامل]

كمضيئةٍ صَدَفيةٍ غوّاصُها
بَهِجٌ متى يَرَها يُهِلُّ ويسجُدُ(٤)

وقال سُويد بن أبي كاهل(٥) وذكر المرأة أيضاً : [من الرمل]

كالتؤاميةِ إنْ باشَرْتَها
قَرَّتِ العينُ وطابَ المُضْطَجَعْ(٦)

التؤام : ساحل بعمان نسب الدرة اليه . وقال الآخر يصف امرأة أيضاً : [من الطويل]

فجاءَتْ كما جاءت ونيّةُ تاجرٍ
وهي سلكها وارفَضَّ منها الطوائف(٧)

---

(٤) كذا في الاصل ، اما في ديوانه ص ٥٢ : او درة . يهل : يرفع صوته بالتكبير والحمد لله . شبه المرأة بالدرة الخارجة من البحر ، أي: لم تمس .

(٥) هو سويد بن أبي كاهل اليشكري ، شاعر مخضرم . (الشعر والشعراء ج ١ ص ٣٣٤ ، والمفضليات ص ١٩٠) .

(٦) ينظر المفضليات ص ١٩٠ .

(٧) كذا في الاصل ، اما في ديوان أوس بن حجر ص ٦٦ :

كأن ونى خانت به من نظامها معاقد فارفضت بهن الطوائف

وفي معجم مقاييس اللغة واللسان والتاج (وأى) :

وحطت كما حطت وئية تاجر وهى عقدها فارفض منها الطوائف

وفي اللسان والتاج (ونى) :

فحطت كما حطت ونية تاجر وهى نظمها فارفض منها الطوائف

الونية : اللؤلؤة والجمع : ونى .

الطوائف : مفردها الطائفة من الشيء ، القطعة منه أو الواحدة .

وقال الأعشى : [من السريع]

وقـد أراهـا بـين أترابهـا
في الحي ذي البهجة والسامرِ(٨)

إذْ هي مثـل الغصن ميّـالة
تروق عيني ذي الحجى الزائر(٩)

[٤٢٢]

كدميـةٍ صـوّر محرابهـا
بمُذْهَبٍ في مرمـرٍ مـائرِ

أو بيضـة في الدِعْص مكنونةٍ
أو درةٍ سيقت الى تاجـرِ(١٠)

لو اسـندت ميْتاً الى نحرهـا
عـاش ولم ينقـل الى قـابرِ

وقـال الفرزدق فأطال مسافة القـول وركب غارب الكلفة(١١) : [من الطويل]

كدرّةِ غوّاصٍ رمى في مهيبةٍ
بأجرامـِه والنفس يخشى ضميرها(١٢)

موكّلةً بالدُرِّ خرساءَ قد بكى
اليـه من الغوّاص قُدْماً نذيرها(١٣)

---

(٨) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ١٣٩ : وسط أترابها ٠
(٩) لم يذكر في الديوان ٠
(١٠) كذا في الاصل ، اما في الديوان : شيفت لدى تاجر ٠
الدعص : كثيب الرمل ٠ مكنونة : مخبوءة ٠
(١١) الغارب : الكاهل ، أعلى كل شيء ٠ يريد تكلف كثيرا ٠
(١٢) المهيبة : اللجة التي يهابها الغواصون ٠ أجرامه : جسمه أي : غاص بسرعة ٠
(١٣) كذا في الأصل ، اما في ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٦٤ : منها نذيرها ٠ موكلة بالدر : اراد حية موكلة بالدر في البحر للمحافظة عليه ٠

وقـال : أ'لاقي الموت أو ادرك الغنى
لنفسيَ والآجالُ جاءَ دهورُها[١٤]

رأهـا ونابـاهـا حوالي يتيمـةٍ
هي الموتُ أو دنيا منـادٍ بشيرها[١٥]

ولما رَأَتْ ما دونها خاطرت به
على الموت نَفْسٌ لا ينامُ فقيرها[١٦]

[٤٢٣]

لَوَتْ بذراعيـه المنيـة إذْ دنا
بعضَّةِ أنيـابٍ سريعٌ سؤورها[١٧]

فحـرّكَ أعلى حَبْلهم بحشاشـةٍ
ومن فوقه خضراءُ طامٍ بحورها[١٨]

فمـا جـاء حتى مَجَّ والمـاءُ دونـه
من الموتِ ألواناً عبيطـاً نحيرها[١٩]

---

(١٤) أي : ان الموت يجيء في حينه ·

(١٥) كذا في الأصل ، اما في الديوان :

فأهوى وناباها حـوالي يتيمـة هي لموت أو دنيا ينادي بشيرهـا

(١٦) كذا في الأصل ، اما في الديوان :

ولما رأى ما دفعها خاطـرت بـه على الموت نفس لا ينـام فقـيرها

فقيرها : حرصها وشرهها ·

(١٧) كذا في الأصل ، اما في الديوان :

فالفـت بكفيـه المنيـة اذ دنـا بعضـة أنيـاب سريع سؤورهـا

سؤورها : مواثبتها ·

(١٨) كذا في الأصل ، اما في الديوان : فحرك أعلى حبلهم ·

(١٩) كذا في الاصل ، اما في الديوان : من النفس الواناعبيطانحورها

مج : بصق · عبيطا نحورهـا : أراد الذبيحـة التي تنحـر وهي سمينة فتية يريد : ان نفسه نحرت في فتوتها ، فدفع من فمه دماعبيطا ·

فلما أروها أمَّهُ هانَ وَجْدُها
رجاءَ الغنى لما أضاء منيرُها(٢٠)

فَظَلَّتْ تغاليها التجارُ ولا يُرى
لها سيمة إلا قليلاً كثيرها(٢١)

وانما سلك في هذه الخطابة مذهب الأعشى في قوله : [من الكامل]

كجمانةِ البحريِّ جاء بها
غوّاصها من لُجَّة البحرِ(٢٢)

صلب الفؤادِ رئيس أربعةٍ
متخالفي الألوانِ والنَّجْرِ(٢٣)

فتنازعوا حتى إذا اجتمعوا
ألقوا اليه مقالد الأَمْرِ(٢٤)

[٤٢٤]

حتى إذا ما ساء ظنهم
ومضى بهم شهراً الى شَهْرِ(٢٥)

ألقى مراسيه بتهلكةٍ
ثبتَتْ رواسيها فما تجري(٢٦)

---

(٢٠) أروها : الضمير للدرة . وجدها : جزمها . أي : هان عليها موت ولدها لانها رجت الغنى بفضل الدرة .

(٢١) كذا في الأصل ، اما في الديوان : وظلت تغالاها .
السيمة : من ساوم بالسلعة ، غالى بها .

(٢٢) لم نعثر عليها في ديوانه وقد نسبها السيوطي في شرح شواهد المغني ص ٨٧٨ الى المسيب بن علس خال الأعشى.

(٢٣) و (٢٤) و (٢٥) و (٢٦) النجر : الأصل ، الحسب ، اللون .

قتلت أباه فقال : اتبعه
أو استفيد رغيبة الدهر[٢٧]

نصف النهار الماء غامره
وشريكه بالغيبِ ما يَدْري[٢٨]

فأصاب مُنيتَه فجاء بها
صدفية كمضيئةِ الجمرِ[٢٩]

يُعطي بها ثمناً فيمنعها
ويقول صاحبه ألا تشري[٣٠]

ويرى الصراري يسجدون له
ويضمها بيديه للنَّحْرِ[٣١]

أفتلك شبه المالكية إذ
خرجت ببهجتها من الخدر[٣٢]

[٤٢٥] ومن مليح الكلام ومختاره قول جرير : [من البسيط]

ما استوصف الناسُ من شيءٍ يروقهم
إلا أرى أُمَّ نوحٍ فوق ما وصفوا[٣٣]

كأنَّها مزنةٌ غرّاء لائحةٌ
ودُرَّةٌ ما يواري ضوءها الصَّدفُ[٣٤]

(٢٧) الرغيبة ج رغائب : المرغوب فيه، أو العطاء الكثير .
(٢٨) كذا في الاصل ، أما في المغني ج ٢ ص ٥٠٥ : ورفيقه بالغيب لا يدري . وفي شرح شواهد المغني ص ٨٧٨ : ورفيقه بالغيب ما يدري .
(٢٩) و (٣٠) و (٣١) و (٣٢) الصراري : الملاح .
(٣٣) كذا في الأصل ، اما في ديوانه ص ٣٨٦ : الا ارى أم عمرو .
(٣٤) كذا في الأصل ، اما في ديوانه :
كأنها مزنة غراء واضحة او درة لا يواري ضوءها الصدف

وقد غرب المحدثون في هذا التشبيه ، وتنازعوا ألفاظه ومعانيه فقال أبو نواس : [من مجزوء الكامل]

ظبيٌ كـأنَ اللهَ ألبسـه قشـورَ الدُرِ جلـْدا
وترى عـلى وَجَنـاتهِ في أي حين شئت ورْدا[٣٥]

وانما أخذه من قول بشار : [من البسيط]

كأنَمـا خلقت من قشـرِ لؤلؤةٍ
في كل أكنافها حسن بمرصادِ[٣٦]

[٤٢٦] وقال الآخر : [من البسيط]

كأنمـا افرغت في قشـر لؤلؤةٍ
وكل جارحةٍ من جسمها قمـرُ

وقال ابراهيم بن العباس[٣٧] : [من الخفيف]

درّةٌ حيثمـا أديرت أضـاءت
ومَشَمٌ من حيثما شُمَ فاحا[٣٨]

وقال آخر في وصف امرأة أيضا : [من الطويل]

هي الدرُ منثوراً إذا ما تكلمت
وكالدر مجموعـاً إذا لم تكلمِ

وقال البحتري : [من البسيط]

---

(٣٥) ذكرهما ابن أبي عون في التشبيهات ص ٨٥ ، وقال المحقـق في الهامش . « من شعر أبي نواس جمع حمزة الاصفهاني المخطوط في مكتبة وزارة الهند (لندن) تحت نمرة ٣٨٦٧ ، الورقة ١٨١ » .

(٣٦) على الحاشية : وجه بمرصاد . وينظر ديوان بشار ج٢ ص٣١٨، وفيه : وجه بمرصاد .

(٣٧) هو أبو اسحاق ابراهيم بن العباس الصولي الكاتب . توفي سنة ٢٤٧ هـ وله ديوان شعر طبعه الاستاذ عبـد العـزيز الميمنـي في الطرائف الادبية .

(٣٨) كذا في الاصل ، اما في ديوانه (الطرائف ص ١٤٢) .
درة حيثما اديرت اضاءت ومشما من حيثما شم فاحا

إذا نَضَوْنَ شُفوفَ الرَّيطِ آونةً
قَشَرْنَ عن لؤلؤِ البحرين أصدافا[٣٩]

وقال ابن الرومي وزاد : [من البسيط] [٤٢٧]

تواضَعَ الدر إذْ ألبسْنَ فاخره
فكنَّ دراً وكان الدر أصدافا[٤٠]

وقد شبهوا بالدر أشياء كثيرة من أحوال النساء وغيرهن لا يدخل في هذا الباب . ونظير التشبيه في الآية قوله تعالى في موضع آخر : « ويطوفُ عليهم غِلمانٌ لهم كأَنَّهم لؤلؤٌ مكنون »[٤١] . وقوله ـ أيضا ـ : « ويطوفُ عليهم وِلدانٌ مُخَلَّدونَ إذا رأيتهم حَسِبْتَهُمْ لؤلؤاً منثورا »[٤٢] . وحدثني الأمير أبو محمد ـ رحمه الله ـ قال : أشرفت حُليس جارية جعفر بن يحيى على صبيان البرامكة وهم يلعبون فقالت : [من البسيط] [٤٢٨]

كأنَّهم وبني الغوغاء حولهم
درٌ ومَخْشَلَبٌ في الأرضِ منثور[٤٣]

وكأن ابن المعتز نظر الى هذا اللفظ فقال : [من البسيط]

---

(٣٩) الريط : الملاءة . (ينظر ديوان البحتري ج ١ ص ٣٨١) .
(٤٠) كذا في الأصل ، اما في ديوانه ص ١٢٥ :
شبهن بالدر اذ لبسن فاخره بل كن درا وكان الدر أصدافا
(٤١) سورة الطور ، الآية ٢٤ .
(٤٢) سورة الانسان ، الآية ١٩ .
(٤٣) كذا في الاصل اما في التشبيهات ص ٤٠٧ :
كأنهم مع بني الغوغاء في عدد در ومخشلب في الارض منثور
المخشلب : خرز يتخذ منه حلي ، واحده : مخشلبة ، اعجمي سمي باسم مرأة اتخذتها حليا . (ينظر المخصص ج ٤ ص ٥٣١ ، والتشبيهات هامش ص ٣١٥) . وقيل انها قطع الزجاج المنكسر ، قال المتنبي :
بياض وجه يريك الشمس حالكة ودر لفظ يريك الدر مخشلبا
(ينظر ديوان المتنبي ج ١ ص ١١٣) وعلى الحاشية : مشخلب .

ظَلَّتْ جـآذره صرعى مفـرقة

كأنّها لؤلؤ في الأرضِ منثور[٤٤]

كما نظر في المعنى الى قول الأول يصف الوحشية : [من الكامل]

وتضيء في وَجْهِ الظلام منيرة

كجمـانةِ البحريّ سُلَّ نظامُها[٤٥]

تشبيه آخر من هـذه السورة : قوله ـ عز وجل ـ : « فشاربونَ شُرْبَ الهيم »[٤٦] • يصف أهـل النار ان اكلهم من شجـر الزقوم وشربهم الحميم الذي لا يروى شاربه • والهيم : الابل العطاش عن أكل الحمض فيعرض [٤٢٩] لها الهيام وهو شدة العطش • قال ذو الرمة : [من البسيط]

كأنني من هوى خرقاء مُطَّرَفٌ

دامي الأظلّ بعيدُ الشأ ومهيوم[٤٧]

أي : جمل به هيام ، وهو بعيد عن وطنـه • وهم يصفون الابل لمعاناة الأظماء والبعـد عن موارد الماء بالحرص على الشرب عنـد مشارفة الورد وسرعة الجرع والامعان في النّهل والعَلَ[٤٨] • قال الراجز يصف بعيراً أورده : [من الرجز]

---

(٤٤) كذا في الاصل ، اما في التشبيهات ص ٤٠٧ واشعار أولاد الخلفاء واخبارهم ص ٢٧٤ : غرقى مصرعة •

(٤٥) البيت للبيد من معلقته • (ديوانه ص ٣٠٩ وشرح المعلقات السبع ص ١٣٤) •

(٤٦) سورة الواقعة ، الآية ٥٥ •

(٤٧) المطرف : يعني بعير قد اشتري حديثا • الأظل : أصل الخف مهيوم : من الهيام وهو داء تستحر منه جلود الابل تأخذها كالحمـى تشرب فلا تروى • ودامي الأظل : الثور الوحشي • (ينظر ديوان ذي الرمة ص ٥٦٩) •

(٤٨) النهل : أول الشرب • العلّ : الشرب ثانية أو تباعا بعد الشرب الاول •

كأنَّ صوتَ جرعـه في المَنْهلِ

جنـدلة دهدهتُها في جنـدلِ [٤٩]

وقال الآخر يعتد على ابله بايرادها ويدعوها بذلك الى الاستبدال ببلادها : [من الرجز]

هـذا مقـامي لك حتى تنضحي

ريًا وتجتازي بـلاد الأبطـحِ

[٤٣٠] وذهب بعض المحدثين الى المبالغة في وصف كثرة الدمع وغزارته فذكر انه يروي عطاش الابل فقـال في أبيـات أنشدها المرزباني : [من البسيط]

ويا أخا الذودِ قد طال الهيام بها

لا تعرف الري من جدب واقفار

رِدِ بالعطاش على عيني ومحجرها

تروِ العطاش بدمعٍ واكفٍ جار [٥٠]

والعرب تضرب الامثال بعطاش الابل وتخصها دون غيرها بهذه الصفة ؛ لان الابل ربما بعدت في المرعى عن الماء حتى تجاوز ظمأ العشرة والعشرين ويبعثها حرارة أكبادها وتصلصل أحشائها على تذكر الأعطان [٥١] والنزاع الى الأوطان [٤٣١] فتعلن بحنينها وتستريح الى إرزامها [٥٢] وتعاني ليلة قربهـا من السير الشـديد والسَّوق العنيف ما يجدها ويرهقها فيتزايد

---

(٤٩) الجندل : الحجارة ، الواحدة : الجندلة ٠

(٥٠) في الهامش : ترو ـ بالفتح والكسر ـ ٠

(٥١) العطن : مبرك الجمال ومربض الغنم حول الاغنـام ، ج : اعطـان ٠

(٥٢) أرزمت الناقة ارزاما : وهو صوت تخرجه من حلقها لا تفتح به فاها ٠ والارزام : الصوت لا يفتح به الفم ٠

أوامها (٥٣) ويشتد صداها وهيامها ، حتى إذا انست مواردها وشارفت مشاربها صُرِّدَ شَرْبُ بعضها ، وحُلِّيءَ (٥٤) عن الورد بعضها ، وغادر الزحام صواديها تحوم ولوابيها تلوب ، ولات حين ورود .

قال جميل بن عبدالله بن معمر يصف ذلك من حالها تشبيهاً بوجده وغلته ، وتمثيلاً بحنينه ولوعته : [من الطويل]

فما حائماتٌ حُمْنَ يوماً وليلةً
على الماء يُغشين العِصيَّ حواني (٥٥)

[٤٣٢]

لوائب لا يَصْدُرْنَ عنه لوجهةٍ
ولا هُنَّ من برد الحياض دواني (٥٦)

يرين حباب الماء والموتُ دونه
فهنَّ لأصوات السُّقاة رواني (٥٧)

بأوجدَ مني غلَّ صدرٍ ولوعة
عليك ، ولكنَّ العدوَ عَداني (٥٨)

وقول العجلي : [من الطويل]

أقول لراعي الذود لمّا تحدرت
على أثلات القاع مُنتشرات

---

(٥٣) الاوام : حرارة العطش .

(٥٤) التصريد : سقي دون الري . حلأ الابل والماشية عن الماء : طردها أو حبسها عن الورد ومنعها أن ترده .

(٥٥) كذا في الاصل ، أما في ديوان جميل ص ٧٨ : وما صاديات . أي : نياق عطشات . يغشين : يضربن . حوان : جويات الاعناق .

(٥٦) كذا في الاصل ، اما في الديوان : لواغب . أي: معييات .

(٥٧) حباب الماء : نفاخاته التي تعلوه . روان : مديمات النظر .

(٥٨) كذا في الاصل ، اما في الديوان :
باكثر مني غلة وصبابة   اليك ولكن العدو عداني

إذا سامها غيطان حوضي تذكرت

بقايا نطاف بالحمى خصرات

ترفق بها يا راعي الذود انها

تذاد عن الأوطان مقتسرات

فذكر اغترابها في مراعيها عن الأوطان وحنينها الى نطاف الغدران عند عدم الماء بهذه الغيطان [٤٣٣] وهذه حال الابل في أكثر زمانها وما يعهد من شأنها ، وانما ترد الرِفْهَ والغِبَّ والعُريجاء (٥٩) ونحو ذلك مما تنال به الري وتستمتع فيه بالورد مع قرب المرعى وامكانه ، ثم تبعد بحسب مكانه حتى ينأى وردها ويطول ظمأها ٠ والآية المذكورة من هذه السورة نزلت في أبي بن خلف وأصحابه ٠ وقوله تعالى : « هذا نُزُلهم » (٦٠) يعني رزقهم وثوابهم ٠ وأصله ما يقام للتنزيل بالقوم أي : جزاؤهم ليس كجزاء أهل الجنة ٠

---

(٥٩) الرفه ـ بالكسر ـ اقصر الورد واسرعه ، وهو ان تشرب الابل الماء كل يوم ، وقيل : هو ان ترد كلما ارادت٠ الغب : ورد يوم وظمأ آخر ٠ العريجاء : ان ترد الابل يوما نصف النهار ويوماغدوة٠

(٦٠) سورة الواقعة ، الآية ٥٦ ٠ وهي : (هذا نزلهم يوم الدين » ٠

ســورة الحشر

[٤٣٤] قوله ـ عز وجل ـ : « كَمَثَل الشيطان إذْ قال للانسان اكفُرْ فلما كفر قال : إني بريءٌ منك ، إني أخاف اللهَ ربَّ العالمين »[١].

يعني ان الشيطان دعاه على حال الاغراء الى أنْ يقول : إني كافر بالتوحيد ، إذ ليس له حقيقة ، وكافر بالنبوة لانها حيلة ومخرقة . وهذا مثل المنافقين في غرورهم لبني النضير ، وقولهم : « لئِنْ أُخرِجتم لَنَخْرُجَنَّ معكم ولا نُطيع فيكم أحداً أبداً ، وإنْ قوتلتم لننصرنّكم »[٢]. أي : مثلهم كمثل الشيطان إذْ قال للانسان : «اكفر» يدل عليه قوله تعالى : « وإذْ زَيَّن لهم الشيطانُ أعمالهم وقال : لا غالبَ لكم [٤٣٥] اليوم من الناس ، وإني جارٌ لكم ، فلما تراءَت الفئتانِ نكص على عقبيه ، وقال : إني بريء منكم »[٣] .

وكذلك المنافقون لما نزل ببني النضير ما نزل تبرأوا منهم ، وقد نظم عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي لفظ القرآن في شعر يخاطب به ابن أبي عتيق ، وقد عتبه في التعريض بامرأة من أهله وكان وصفها له ، فدعاه ذلك الى الكلف بها فقال : [من الخفيف]

لا تَلُمْني عتيقُ حسبي الذي بي
إنَّ بي يا عتيق ماقد كفاني

(١) سورة الحشر ، الآية ٦ .
(٢) سورة الحشر ، الاية ١١ .
(٣) سورة الانفال ، الآية ٤٨ .

لا تَلُمني وأَنْتَ زيَّنتَهـــا لي

أنت مثــل الشيطان للانســانِ (٤)

[٤٣٦]

فأما خبر بني النضير ، فانَّ رسول الله ــ صلى الله عليه ــ لما نزل المدينة عاقدوه ألاَّ يكونوا عليه ولا معه ، فلما كان يوم أُحد وظهـــر المشركون على المسلمين نكثوا وخرج كعب بن الأشرف (٥) رئيسهم في ستين رجلاً الى مكة ، وعاقد المشركين على التظاهر على النبي ــ صلى الله عليه ــ فأطلع الله نبيه على ذلك ، فلما صار عليه السلام الى المدينة وجَّه محمد بن مسلمة رضيع كعب بن الأشرف ومعه جماعة فاستنزله من منزله وأوهمه انه قد حمل عليه في أخذ الصدقة . فلما نزل أخذ بناصيته وكبر [٤٣٧] فخرج أصحابه فقتلوه وغزا رسول الله ــ صلى الله عليه ــ بني النضير ، فكان المؤمنون يخربون بيوت بني النضير لتكون لهم أمكنة للقتال ، وبنو النضير يخربون بيوتهم ليسدوا بها أبواب أزقاتهم ولئلا تبقى على المؤمنين وفارقوا رســول الله ــ صلى الله عليه ــ على الجلاء من منــازلهم ، وأن يحملوا ما استقلت بهم ابلهم ما خلا الذهب والفضة فحملوا الى الشام ، وهو أول حَشْرٍ حُشِر الى الشام ، ثم يحشر الخلق يوم القيــامة الى الشام ، فلذلك قال : « لأول الحشر » .

---

(٤) ينظر ديوان عمر بن ابى ربيعة ص ٢٨٢ .

(٥) هو كعب بن الاشرف الطائى شاعر جاهلي توفى سنة ٣ هـ. (الروض الانف ج٢ ص١٢٣ ، والكامل لابن الاثير ج٢ ص٥٣).

ســـورة الصف

[٤٣٨] قوله ـ عز وجل ـ : « إنَّ اللهَ يُحبُّ الذين يُقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص »[١] .

أي : بنيان لاصق بعضه ببعض لا يغادر بعضه بعضا ، فأعلم الله ـ تعالى ـ انه يحب من ثبت في الجهاد ولزم مكانه كثبوت البناء المرصوص لانهم قالوا : لو علمنا أحب الأعمال الى الله ـ تعالى ـ لأصبناه ، ولو كان فيه ذهاب أنفسنا وأموالنا ، فأنزل الله تعالى : « هل أدُلكُم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابٍ أليم » الى قوله : « وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم »[٢] . فلما كان يوم أُحد وتولى [٤٣٩] من تولى عن النبي ـ صلى الله عليه ـ حتى كسرت رباعيته[٣] وشج في وجهه، أنزل الله ـ عز وجل ـ : «يا أيّها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لاتفعلون. كَبُرَ مقتاً عند اللهِ أَنْ تقولوا ما لا تَفْعلون »[٤] .

قوله تعالى : « لم تقولون » الأصل فيه : « لما » فحذفت الألف ؛ لانّ « ما » واللام كالشيء الواحد ، وكثر استعمال « ما » واللام في

---

(١) سورة الصف ، الاية ٤ .

(٢) سورة الصف ، الايتان ١٠ ، ١١ وهما : « يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »

(٣) الرباعية : السن التي بين الثنية والناب .

(٤) سورة الصف ، الايتان ٢ ، ٣ .

الاستفهام ، فاذا وقفت عليها قلت : « لِمَهْ » ولا يوقف عليها في القرآن بهاءٍ لئلا تخالف المصحف .

« أَنْ تقولوا » في موضع رفع ، و « مقتاً » منصوب على التمييز . المعنى : كبر قولكم [٤٤٠] ما لا تفعلون مقتاً عند الله . والتشبيه في الآية جامع للأوصاف في تعبية المصاف مع حسن الاختصار ، ولطافة القول ، وقرب المأخذ . وبيان ذلك أنَّ أصل أجزاء تعبية المصاف ثلاثة : القلب ويسمى الجمهور ، والميمنة والميسرة ويسمونها الجنبتين وطرفا كل جزء. ومن هذه الأجزاء جناحاه ، فالصف المستوي هو في جملته أوثق الصفوف وأشدها وأثبتها ، وهو الذي عناه الله ـ عز وجل ـ بدلالة التشبيه وانه كالبنيان في استوائه وصحة [٤٤١] نظامه . ثم أشار الى الوصف الذي يكون عليه بما وصف من حال البنيان . وأما الصف التالي وهو الداخل الصدر فانه أوثق للقلب وهو للجناحين أضعف . واذا كان كذلك صيّروا مع كل طرف من الجناحين كردوساً[٥] من الخيل يكونان وقاية له . والصف المعطوف ويسمى الناهد . وهو الداخل الجناحين الخارج الصدر فمكروه لا يكون إلاّ عن ضرورة شديدة ، وهو ضعف للقلب ، وقوة للجناحين . وكانوا إذا كان ذلك صيَّروا [٤٤٢] أهل البأس والنجدة ميمنة وميسرة ليكون أشد للقلب ، أو قووا القلب بكردوسين من الخيل المقوِّيةِ يكونان مما يلي طرفيه أمامه قليلاً . ويستحب في التعبية مع استواء المصاف التراصف وانضمام بعضهم الى بعض كما ذكر الله ـ عز وجل ـ . وحكي أن عمرو بن العاص [٦] قال يوما لمعاوية بن أبي سفيان[٧] : لقد رأيتك في صفين ترمي بنظرك الى الموضع من المصاف فيستقيم زيغه ويشتد خلله . فقال معاوية : ذلك عن ثبات الرأي وأعمال

(٥) الكردوس : القطعة العظيمة من الخيل او الجيش .
(٦) توفي سنة ٤٣ هـ . (الاصابة ج ٢ ص ٥٠١ .
(٧) توفي سنة ٦٠ هـ .

الرويّة . [٤٤٣] ولقد شجعني على عليّ قول ابن الأطنابة [٨] :

[من الوافر]

أَبَتْ لي عزتي وأبى بلائي
وأخذي الحمدَ بالثمن الربيحِ [٩]

وإعطائي على المكروه مالي
وضربي هامةَ البطل المشيحِ [١٠]

وقولي كلما جشأتْ وجاشَتْ :
مكانَك تُحمدي أو تستريحي

لأدفعَ عن مآثرَ صالحاتٍ
وأحمي بَعْدُ عن عِرْضٍ صحيحِ [١١]

وكان خالد بن الوليد[١٢] يدور على الناس في الصفوف ويقول : « يا أهل الاسلام إن الصبرَ عزٌ والفشلَ عَجْزٌ وانّ مع الصبر النصر » .

وقال عبدالله بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : « ألا ترونهم – يعني

(٨) هو عمرو بن عامر شاعر جاهلي فارس . وفي الرواة من يعده من ملوك العرب في الجاهلية . (معجم الشعراء ص ٨ ، والاغانى (الكتب) ج ١١ ص ١٢١ ، وتاج العروس (طنب) .

(٩) كذا في الاصل ، وفي الحاشية : أبت لي غضبتي . وفي معجم الشعراء ص ٩ والحماسة البصرية ج١ ص ٣ : أبت لي عفتى .

(١٠) كذا في الاصل ، اما في معجم الشعراء : واكراهي على المكروه نفسي . وفي الحماسة البصرية ج ١ ص ٤ : واقدامي على المكروه نفسي .

(١١) كذا في الاصل ومعجم الشعراء ، أما فى الحماسة البصرية : لاكسبها مآثر صالحات . (ينظر عيون الاخبار ج١ ص ١٢٦ ، وتخريج الابيات في الحماسة البصرية ج١ص ٣ (الهامش) .

(١٢) توفي سنة ٢١ هـ . (الاصابة ج١ ص٤١٣) .

أصحاب محمد [٤٤٤] صلى الله عليه ـ جثياً على الركب ، كأنهم خُرُسٌ يتلمظون تلمظ الحيات »[13] •

وحدثني أبي ـ رحمه الله ـ قال : لما صاف قتيبة بن مسلم[14] الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع ما يصنع ؟ فقيل : هو في أقصى الميمنة جانح على سِيَة[15] قوسه ، يبصبص باصبعه نحو السماء • فقال : تلك الاصبع الفاردة أحب اليَّ من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير[16] • فلما فتح الله عليهم ، قال له : ما كنت تصنع ؟ قال : كنت آخُذُ بمجامع الطرق • قال : وقال أبو بكر لخالد بن الوليد حين وجهه في الردة : [٤٤٥] « احرص على الموت توهب لك الحياة » •

وفي ذلك تقول الخنساء : [من المتقارب]

نُهينُ النفوسَ وهونُ النفوس
عند الكريهة أوقى لها[17]

وكان عمر ـ رحمه الله ـ يأخذ بيده اليمنى اذنه اليسرى ثم يجمع جراميزه[18] ويثب ، فكأنما خلق على ظهر فرسه •

وقال علي يوم صفين : « عضّوا على النواجذ من الأضراس فانه أنبى للسيوف عن الهام »[19] • وقال لابنه الحسن : « لا تدعونَّ أحداً

(١٣) تلمظ : تذوق ، تتبع بلسانه اللماظة ، وهي بقية الطعام في الفم تلمظت الحية : اخرجت لسانها •
(١٤) قتل سنة ٩٦ هـ • (وفيات الاعيان ج١ ص ٤٢٨ ، والكامل لابن الاثير ج ٥ ص٤) •
(١٥) سية القوس : رأسها ، أو ما اعوج منها •
(١٦) سنان طرير : محدد •
(١٧) كذا في الاصل ، أما في ديوانها ص ١٢١ :
نهين النفوس وهون النفوس يوم الكريهة أبقى لها
(١٨) جرمز جرمزة : انقبض واجتمع بعضه الى بعض •
(١٩) في نهج البلاغة ج ١ ص ١١٠ : «كان يقول لاصحابه في بعض أيام صفين : « معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا على النواجذ فانه أنبى للسيوف عن الهام » •

الى البراز ولا يدعونَّكَ أحد اليه اِلاّ أجبته فانه بغي •

وحدثني محمد بن علي بن المهتدي عن محمد بن المأمون عن محمد ابن القاسم [٤٤٦] عن أبيه قال : حدثنا أحمد بن عبيد ، قال : حدثنا محمد بن عمر الواقـــدي قال : حُدثت ان صعصعة بن صوحان قال : خرج يوم صفين رجل من أصحاب معاوية يقال له كُرَيب بن الصباح الحميري فوقف بين الصفين فقال : مَنْ يبارز ؟ فخرج اليه رجل من أصحاب علي فقتله ، ووقف عليه ثم قال : من يبارز ؟ فخرج اليه آخر فقتله وألقاه على الأول ثم قال : من يبارز ؟ فخرج اليه آخر فقتلـــه وألقاه على الآخرين وقال : من يبارز ؟ فأحجم الناس عنه وأحب من كان في الصف الأول أن يكون في [٤٤٧] الأخير • فخرج عليّ على بغلـــة رسول الله ـ صلى الله عليه ـ فشق الصفوف ، فلما انفصل منها نزل عن البغلة وسعى اليه فقتله وقال : من يبـــارز ؟ فخرج اليه رجل فقتله ووضعه على الأول ثم قال : من يبارز ؟ فخرج اليه رجل فقتله ووضعه على الآخرين ثم قال : من يبارز ؟ فخرج اليه رجل فقتله ووضعه على الثلاثة ثم قال : أيها الناس انّ الله ـ عز وجل ـ يقول : « الشَّهْرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحرمات قِصاصٌ » [٢٠] • ولو لم نَبْدَ بهذا ما بدأنا به ، ثم رجع الى مكانه •

وفي بعض كتب الهند : « لا ظفر مع بغي ، ولا صحة مع نهم ، ولا [٤٤٨] ثناء مع كبر ، ولا صداقة مع خب ، ولا شرف مع سوء أدب ، ولا عـــذر مع اصرار ، ولا راحـــة مع حسد ، ولا سؤدد مع انتقـــام » •

وقال أبو موسى لأصحابه : « اشعروا قلوبكم الجرأة عليهم ، فانه سبب الظفر ، واكثروا ذكر الضغائن يبعث على الاقدام ، والزموا الطاعه فانها حصن المحارب » •

---

(٢٠) سورة البقرة ، الاية ١٩٤•

وأوصى أكثم بن صيفي قوما في حرب قوم أرادوهم فقال : « اقلوا الخلاف على امرائكم ، واعلموا أنَّ كثرة الصياح من الفشل والمرء يعجز لا محالة » . وسمعتهم عائشة يكبرون [٤٤٩] فقالت : لا تكبروا ههنا ، فان كثرة التكبير عند القتال من الفشل . وقال عمر ـ رحمه الله ـ لعمرو بن معدي كرب[٢١] : « أخبرني عن الحرب » . قال : هي كما قال الشاعر : [من الكامل]

الحربُ أولُ ما تكون فتيَّةً
تسعى بزينتها لكل جهولِ
حتى إذا استعرت وشبَّ ضرامها
عادت عجوزاً غير ذات حليلِ
شمطاء جزَّتْ رأسها وتنكرت
مكروهة للضَمَّ والتقبيلِ[٢٢]

وقال له أيضا : أخبرني عن السلاح . قال : سلني : قال : الرمح ؟ قال : أخوك وربما خانك . قال : النبل ؟ قال : منايا تخطىء وتصيب . قال : الترس ؟ قال : ذاك المجن وعليه تدور الدوائر [٤٥٠] . قال : الدرع ؟ قال : مشغلة للفارس متعبة للراجل وانها لحصن حصين . قال : السيف ؟ قال : ثم قارعتك أمك عن الثكل يا أمير المؤمنين . قال : بل أمك . قال : الحمى أضرعتني لك .

ويقال : « لا مجد أسرع من مجد السيف » .

وفي الحديث : انَّ رجلاً أتى النبي ـ صلى الله عليه ـ وهو يقاتل العدو ، فسأله سيفاً ، فقال له : لعلك إنْ أعطيتك سيفاً أن تقوم في

---

(٢١) وهو عمرو بن معدى كرب بن ربيعة بن عبدالله الزبيدي ، فارس اليمن وصاحب الغارات . توفي سنة ٢١ هـ (الاصابة ت ٥٩٧٢) .

(٢٢) الابيات لعمرو بن معدى كرب (ينظر شرح ديوان الحماسة ج١ ص ٢٥٢ ، ٣٦٨ ، ٤٠٨ ، وشروح سقط الزند ص ١٦٧٨) .

الكيَول . فقال : لا واللهِ . فأعطاه سيفاً فجعل يقاتل ويرتجز : [من الرجز]

إني امرؤٌ عاهدني خليلي
ألاّ أقومَ الدهرَ في الكيَولِ (٢٣)

[٤٥١]

قال أبو عبيد : الكيول مؤخر الصفوف ، ولم أسمع بهذا الحرف الا في الحديث . قال ابن المقفع (٢٤) : « الجبن مقتلة والحرص محرمة ، فانظر فيما رأيت وسمعت ، أمن قتل في الحرب مقبلاً أكثر أم من قتل مدبراً ؟ وانظر من يطلب اليك بالاجمال والتكرم أحق أنْ تسخو نفسك له بالعطية أمن يطلب ذلك بالشدة والحرص » .

وقال بعض السلف : « قد جمع الله آداب الحرب في قوله تعالى : « يا أيُّها الذين آمنوا اِذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تُفْلِحون . وأطيعوا اللهَ ورسولَه ولا تنازعوا [٤٥٢] فتفشلوا وتذهبَ ريحكَم واصبِروا اِنَّ اللهَ مع الصابرين » (٢٥) .
الى آخر الآيات .

---

(٢٣) الكيول : اخر الصفوف في الحرب. (ينظر النهاية لابن الاثير ج ٤ ص ٢١٩ ، واللسان (كيل) .

(٢٤) هو عبدالله بن المقفع من أئمة الكتاب . قتل سنة ١٤٢هـ . (لسان الميزان ج ٣٦٦ ، وأمالي المرتضى ج ١ ص ٩٤) .

(٢٥) سورة الانفال ، الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

سـورة الجمعة

قوله ـ عز وجـل ـ : « مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التوراةَ ثم لم يَحْملوها كَمثلِ الحمار يَحْمِلُ أسفاراً »(١) .

وقرأ أبو عمرو : « كمثل الحمار » بكسر الألف ، وهذه الامالة لكسر الراء كثيرة في كلامهم .

الأسفار : جمع سفر ، وهو الكتاب . قوله تعالى : «ثم لم يحملوها» أي : قد تعاموا عنها وأضربوا عن حدودها وأمرها ونهيها حتى صاروا كالحمار الذي يحمل الكتب [٤٥٣] ولا يعلم ما فيها .

وقد نظم هـذا التشبيه مروان بن سُليمان بن يحيى (٢) في هجو قوم من رواة الشعر لا علم لهم به على الاستكثار منه فقال : [من الطويل]

زواملُ للأشعارِ لا علمَ عنـدهم
بجيـدها إلا كعلم الأباعـرِ

(١) سورة الجمعة ، الآية ٥ .

(٢) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن ابى حفصة . توفي سنة ١٨٢ هـ . (الشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٤٩ ، ومعجم الشعراء ص ٣١٧ ، والموشح ص ٣٩٠ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٤٢) .

لعمرك ما يدري البعـــير إذا غـــدا
بأثقـــاله أو راح ما في الغـــرائر (٣)

والتشبيه في الآية يجوز أيضاً على تالي القرآن من غير أن يفهمه ، إلا أن يكون طالبا لعلمه ، وقد قدم حفظه ليكون ذلك طريقاً الى علم ما فيه • فان أعرض عن ذلك اعراض من لا يحتاج اليه كان التشبيه واقعاً عليه والمثل لاحقاً به • [٤٥٤]

---

(٣) كذا في الاصل ، أما في الكامل للمبرد ج ٣ ص ٨٥٨ ، وأسرار البلاغة (ريتر) ص ١٠٣ : باوساقه •

الزوامل : جمع زاملة وهي ما يحمل عليها من الابل وغيرها • الغرائر : جمع غرارة وهي الكيس الكبير من صوف او شعر توضع فيه الحبوب أوغيره •

الوسق : ستون صاعا ، وهي حمل الجمل ، والجمع :اوساق•

سورة المنافقين

قوله ـ عز وجل ـ : « كأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ »(1)

وصف المنافقين بتمام الصور وحسن الابانة بقوله : « وإذا رأيتَهم تعجبُكَ أجسامُهم وإنْ يقولوا تَسْمَعْ لقولهم » • ثم أعلم انهم في قلة الاستبصار بمنزلة الخشب فقال : « كأنهم خشب مسندة » • وفي نحو ذلك يقول الشاعر : [من الطويل]

تروقُكَ من سعد بن زيد جسومها
وتزهد فيها حين تقتلها خبرا

ومثله قول حسان بن ثابت : [من البسيط]

لا بأسَ بالقومِ من طول ومن عظمٍ
خلق البغال وأحلام العصافيرِ(2)

[455]

وشبيه بعجز هذا البيت قول بعض العرب مشيراً الى ولده ، زارياً عليه وزاجراً له : [من مجزوء الخفيف]

عقلُه عقلُ طائرٍ   وهو في صورةِ الجمل

وقيل : انه تعالى شبههم بخشب نخرة متآكلة دَخِلة ، الا انها مسندة يحسب من رآها أنها صحيحة سليمة •

---

(1) سورة المنافقين ، الاية ٤ •
(2) كذا في الاصل ، اما في ديوانه ص ١٢٢ : جسم البغال•

ومن أبيات الأمثال في نحو ذلك قول الأول : [من الهزج]

ترى الفتيانَ كالنَخْلِ ولا تعلمْ بالدَخْلِ[3]

يقال : دخل أمره اذا فسد •

ومن مشهور كلامهم قولهم لتارك التفهم والاستبصار : «كأنه بهيمة» و « كأنه صنم » [٤٥٦] و « كأنه حجر » ، ونحو ذلك •

وقولُ أبي سفيان حين استأذن على النبي ـ صلى الله عليه ـ فحجبه ، ثم اذن له : « ما كِدْتَ تأذن لي حتى تأذن لي الجلْهمتان »[4]• فانما ذلك على التشبيه والذهاب بهذا القول الى الأدْوان من الناس • فقال النبي ـ صلى الله عليه ـ : « أنت كما قيل » : « كل الصيد في جوف الفرا »[5] يتألفه بهذا القول ، وكان من المؤلفة قلوبهم • أي : أنت في الناس كحمار الوحش في الصيد • يعني ان كلها دونه •

وقد قُرِيء : « خُشْبٌ مسندة » باسكان الشين ، مثل : بَدَنَة وبُدْن • ويجوز « خَشَبٌ [٤٥٧] مسندة » مثل : شجر وشجرة •

---

(٣) دخل أمره دخلا : فسد • ونخلة مدخولة : عفنة الجوف • قال ابن برى : « أى ترى اجساما تامة حسنة ولا تدرى ما باطنهم »• (ينظر اللسان ـ دخل)

(٤) ينظر النهاية ج ١ ص ٢٩٠ ، واللسان (جلهم) •

(٥) الفرا : الحمار الوحشي ، وجمعه فراء • ويضرب لمن يفضل على اقرانه • (ينظر مجمع الامثال ج٢ ص ١٣٦) •

سورة ن

قوله ـ عز وجل ـ : « فطاف عليها طائفٌ من رَبِّكَ وهم نائمون. فأصبحت كالصَّريم »(١) .

الهاء في « عليها » عائدة على الجنة وهي البستان . وهؤلاء قوم من ناحية اليمن كان لهم أب يتصدق من جنته هذه على المساكين فقال بنوه : نحن جماعة ، وان تصدقنا منها ضاق علينا الأمر ، فحلفوا ليَصْرِمُنَّها(٢) بسدفة(٣) من الليل(٤) . قال الله تعالى : « ولا يَسْتَثنون »(٥) . أي : لم يقولوا : إنْ شاء الله . [٤٥٨] فلما كان الوقت الذي اتعدوا فيه في أول الصبح بسدفة غَدَوا على جنتهم ليصرموها : « وغدوا على حَرْدٍ

---

(١) سورة القلم ، الايتان ١٩ ، ٢٠ . وقد سماها المؤلف كذلك لانها تبدأ بقوله تعالى : « ن . والقلم وما يسطرون » .

(٢) صرم : قطع من الاصل . وفي سورة القلم ، الاية ١٧ : « انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين» .

(٣) السدفة : الظلمة .

(٤) في الكشاف ج ٤ ص ٤٧٣ : « وهم قوم من أهل الصلاة كانت لابيهم هذهالجنة دون صنعاء بفرسخين ، فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي ، وكان يترك للمساكين ما اخطأه المنجل وما في آسفل الاكداس وما أخطأه القطاف من القصب وما بقى على البساط الذييبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير . فلما ماتقال بنوه: ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال ، فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ، ولم يستثنوا في يمينهم ، فاحرق الله جنتهم ، وقيل : كانوا من بنى اسرائيل » .

(٥) سورة القلم ، الاية ١٨ .

قادرين »[٦] • أي : جد من أمرهم • وقيل : وغدوا على منع قادرين • من قولهم : حاردت السنة إذا منعت خيرها • وقيل : على غضب • وقيل: على قصد ، أي قادرين عند أنفسهم على قصد جنتهم لا يحول بينهم وبينها آفة • وأنشد في الحرد الذي هو القصد : **[من الرجز]**

أَقْبَلَ سيلٌ جاء من أمرِ الله

يحرد حَرْدَ الجنّة المغلّه[٧]

قوله تعالى : « فطاف عليهم طائف من ربك وهم نائمون » •

الطائف : الطارق ليلاً فاذا قيل : «أطاف به» ، صلح لليل والنهار ، وأنشد الفراء : [من الوافر] **[٤٥٩]**

أطفت بها نهاراً غير ليلٍ

وألهى ربها طلب الدخال[٨]

قوله تعالى : « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون » كالصريم أي : كالليل سوداء ، صريم لانه يقطع عن التصرف • قال الشاعر : [من الوافر]

تطاول ليلك الجون البهيم

فما ينجاب عن صبح صريم

إذا ما قلت أقشع أو تناهى

جرت من كل ناحية غيوم

وأنشد أبو عمرو بن العلاء : [من الوافر]

---

(٦) سورة القلم ، الآية ٢٥ •

(٧) كذا في الاصل ، اما في اللسان (حرد) : وجاء سيل كان من أمر الله •

(٨) في الحاشية : الدخال : كل بعير يدخل بين بعيرين في الشرب •

أَلا بكَرتْ وعاذلتي تلومُ

تهجدني وما انكسف الصريم[٩]

وقد قيل للصبح : صريم أيضا ، كما قيل لليل ؛ لانّ كل واحد منهما [٤٦٠] ينصرم عن صاحبه • ومنه الصريمة : القطيعة عن حال المودة •

وقوله تعالى : « فتنادَوا مُصبحين • أَنِ اغدوا على حرثِكم إنْ كنتم صارمين » [١٠] أي : على صرام النخل « فانطلقوا وهم يتخافتون » أي : يسرون كلامهم بـ «أَنْ لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين، فلما رأوها» محترقة «قالوا : إنّا لضالون» • أي : قد ضللنا طريق جنتنا • ثم علموا انها عقوبة فقالوا : « بل نحن محرومون » أي : حرمنا ثمرها بمنعنا المساكين، « قال اوسطهم » أي: اعدلهم من قوله « وكذلك جعلناكم أُمَّةً وسطاً » [١١] أي : عدلاً • وقوله : « لولا تُسبّحون » [١٢] أي : تستثنون فتقولون : إنْ شاء الله ؛ [٤٦١] لانّ كل ما عظم الله به فهو تسبيح في اللغة • وأما قوله تعالى : « إنّا بلوناهم كما بلونا أصحابَ الجنة » [١٣] • أي : بلونا أهل مكة حين دعا عليهم النبي ـ صلى الله عليه ـ فقال : « اللهم اشدد وطأتك عليهم واجعلها سنين كسني يوسف » [١٤] • فابتلاهم الله بالجدب وذهاب الأقوات كما بلى أصحاب هذه الجنة باحراقها وذهاب قوتهم منها •

وقال الأعشى يصف مثل هذه الجنة في كلمة له : [من الخفيف]

---

(٩) في الحاشية : تهجنني •

(١٠) سورة القلم ، الايتان ٢١ ، ٢٢•

(١١) سورة البقرة ، الاية ١٤٣ •

(١٢) سورة القلم ، الاية ٢٨ ، وهي : « قال اوسطهم : ألم اقل لكم لولا تسبحون » •

(١٣) سورة القلم ، الاية ١٧ •

(١٤) في النهاية ج ٥ ص ٢٠٠ : « اللهم اشدد وطأتك على مضر » أي : خذهم أخذا شديدا » •

جار فيه باقي العقاب فأضحى

بائد النَخْلِ يفضح الجُرّاما[15]

فتراها كالحُبْشِ تَسْفَعُها النيـ

ـران سوداً مصرعاً وقياما[16]

[٤٦٢] وقيل : الصريم : المصروم ، أي ، ذهب ما فيها من الثمر وكأنه صرم ، أي : قطع . والوجه الأول أوجه في التأويل .

---

(١٥) في ديوان الاعشى ص ٢٤٧ : « نافى العقاب » كذلك هي في كل اصول الديوان كما نشره جاير . وتخريجها على هذا الضبط بفتح الفاء في (نافى) عسير ، ولكنها قد تكون (نافي) بكسر الفاء ، اسم فاعل من نفى بمعنى طرد ، فيكون المعنى : ان هذا الرجل الذي هزم الجيش وطرده قد جار في هذا اليوم وجاوز القصد في انتقامه فأحرق نخيل القوم.» وفي طبعة بيروت ١٩٦٠ : نافى: طرد. الجرام : جمع جارم، وهو الذي يجمع ثمار النخيل .

(١٦) كذا في الاصل ، اما في ديوانه : فتراها كالخشن تسفحها النيران :

الخشن : الواحد : أخشن ، كل شيء فيه خشونة ، واراد هنا النخل .

تسفحها : تحرقها .

سورة سأل سائل

قوله ـ عز وجل ـ : « يوم تكونُ السماءُ كالمُهْلِ • وتكون الجبالُ كالعِهْنِ »(١) •

وقد مضى الكلام على التشبيه الاول مع نظيره في سورة « الرحمن » •

وأما قوله : « وتكون الجبال كالعهن » ففيه وجهان :

أحدها : خفة ذهابها ، وقد فسرناه في سورة النمل بحسب معنى النظير هناك •

والوجه الآخر : ان الجبال تقطع حتى تصير كالعهن وهو الصوف الألوان •• عن أبى عبيدة قال زهير : [من الطويل] [٤٦٣]

كأنَّ فتاتَ العهن في كل منزلٍ

نَزَلْنَ به حَبُّ الفنا لم يحطَّمِ (٢)

فيكون المراد ان الجبال في ذلك اليوم من خشية الله ـ تعالى ـ وهول ما ظهر من أمره تنهال وتتهافت إخباتاً لعظمته وخشوعاً لقاهر قدرته كما قال ـ عز وجل ـ : « فلما تجلى ربُّه للجبل جعله دكاً »(٣) • وكما قال تعالى : « يومَ ترجف الأرض والجبال ، وكانت الجبال كثيباً

---

(١) سورة المعارج ، الايتان ٨ ، ٩ • وسماها المؤلف كذلك لان أولها قوله تعالى : «سأل سائل بعذاب واقع» •

(٢) الفنا : شجر ثمره حب احمر وفيه نقط سود • (ديوان زهير ص ١٢ ، وشرح المعلقات السبع ص ٩٦) •

(٣) سورة الاعراف ، الاية ١٤٣ •

مهيلا »[٤] . وقال ـ جل اسمه ـ : « كلاّ إذا دُكّت الأرضُ دكّاً دكّاً »[٥] .

وقد ذكرت الشعراء نحواً من هذه الحال على طريق المبالغة لا الحقيقة في وصف مسير الجيش ووقع سنابك الخيل كما قال إياس بن مالك الطائي[٦] [من الطويل] [٤٦٤]

بجمعٍ تَظَلُّ الأُكْمُ ساجدةً له
وأعلامُ سلمى والهضاب النوادرُ[٧]

وقال التغلبي : [من الوافر]

برأسٍ من بني جشم بن بكر
نَدُقُّ به السهولة والحزونا

وقال الآخر وذكر الخيل : [من المتقارب]

إذا ما علون فروع الأكام
جعلن الأكام هباءً مثارا

ونظر بشار الى قول أبان بن عبدة[٨] : [من الطويل]

---

(٤) سورة المزمل ، الاية ١٤ .

(٥) سورة الفجر ، الاية ٢١ .

(٦) هو اياس بن مالك بن عبد الله الطائي من شعراء صدر الاسلام . (ينظر شرح ديوان الحماسة ج ٢ ص ٥٩٦).

(٧) كان من خبر الشعر ان جيشا لنجدة الحروري ، عليهم رجل يقال له ابو عمرو كان يغير على العرب وفعل ذلك ببني اسد وطيء حتى مر ببني معن ففعلوا ذلك بهم ومضوا ، ثم ان بني عامر تذامروا وحرض بعضهم بعضا على القتال ، واقبلوا على اثرهم ومعهم كتاب من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاخرجوه واستقبلوا القبلة وحملوا عليهم فهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة فذلك حيث يقول اياس هذه الابيات . (ينظر شرح ديوان الحماسة ج٢ ص ٥٩٦) .

(٨) هو ابان بن عبدة العيار بن مسعود بن جابر بن عمرو بن جزء . (شرح ديوان الحماسة ج٢ ص ٦٣٤) .

إذا نحن سرنا بين شرقٍ ومغربٍ
تحرّك يقظان التراب ونائمه[٩]

فقال وزاد معنى آخر إلا انه أفرط في المبالغة : [من الطويل]

إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً
هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما[١٠]

[٤٦٥] أي : ملأنا الأرض خيلاً ورجالاً فأثرنا فيها تأثيراً جرى مجرى هتكها . وإياها أراد بقوله : « هتكنا حجاب الشمس » لانّ حجاب الشمس الأرض ، ويدل على انه أراد الأرض قوله : « أو قطرت دما » يريد : أو قطرت السماء دما . فجمع بين الأرض والسماء . وأكثر ما يجيء في هذا الباب فمحمول على المبالغة والافراط والغلو والاغراق . وشتان بين زخرف الأقاويل وحقائق لفظ التنزيل .

تشبيه آخر من هذه السورة : قوله ـ عز وجل ـ : « يَوْمَ يَخْرُجونَ من الأجداثِ سراعاً كأنَّهم [٤٦٦] الى نُصُبٍ يُوفِضون »[١١] . وقرئت « نَصْب » بفتح النون واسكان الصاد . ونصب أيضا بضمهما ، ومعناه الى أصنام لهم كما قال تعالى : « وما ذُبِح على النُصُب »[١٢] . قال الشاعر : [من الطويل]

وذا النُصُبَ المنصوبَ لا تَنْسكنّه
ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا[١٣]

والتشبيه في الآية واقع أحسن مواقعه وأنفس مواضعه . والعبارة عنه

(٩) ينظر شرح ديوان الحماسة ج ٢ ص ٦٣٤ .
(١٠) في الشعر والشعراء ج٢ ص٦٤٦ . « ومما فرط فيه قوله :
اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما
(١١) سورة المعارج ، الاية ٤٣ .
(١٢) سورة المائدة ، الاية ٣ .
(١٣) كذا في الاصل ، اما في ديوان الاعشى ص ١٣٧ : ولا تعبد الاوثان . والبيت من قصيدة في مدح سيدنا الرسول محمد (ص).

بارعة البيان ، دالة ببلاغتها على معجز القرآن • وقد ذهبت الشعراء نحو هذا المعنى وسلكت سبيل هذه الصفة ، وأنى لهم ببلاغة التنزيل وصحة هذا التشبيه والتمثيل ؟ قال عنترة : [من الوافر] [٤٦٧]

تركت بني الهجيم لهم دوارٌ

إذا تمضي جماعتهم تعودُ[١٤]

يقول: تركتهم يسعون نحو قَيْلٍ منهم ، كأنهم يدورون بصنم والدوار نسك كان في الجاهلية • وقال امرؤ القيس : [من **الطويل**]

فَعَنَّ لنا سربٌ كأنَّ نِعاجَهُ

عذارى دوارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ[١٥]

ومعنى : « يوفضون » يسرعون • قال الشاعر : [من الرجز]

لأَنْعَتَنْ نعامةً مفياضا

خرجاء تغدو تطلب الاِضاضا[١٦]

المفياض : السريعة ، والاِضاض : تعني الموضع الذي تلجأ اليه • يقال : أضتني اليك الحاجة •

---

(١٤) اى : انهم لدهشتهم لما اعتراهم من الخوف والجزع صاروا يدورون فى مكان واحد لا يبرحونه كما يدور زوار الصنم حوله • (ينظر ديوان عنترة ص ٤١) •

(١٥) كذا في الاصل وشرح المعلقات السبع ص ٤١ ، اما فى الديوان ص٢٢: في الملاء المذيل • اى : الطويل •

(١٦) في الاصل : ميفاضا : وكتب فوقها : مفياضا ، ورواية ابن منظور في اللسان (اضض) : «ميفاضا» • ولم يذكر قائله • الاضاض : الملجأ•

سـورة المدثر

[٤٦٨] قوله ـ عز وجل ـ : « فما لهم عن التذكرةِ مُعْرضين • كأنهم حُمُرٌ مُسْتَنفِرة »(١) • [مُسْتَنفَرَة] بفتح الفاء ، قال الشاعر : [من الكامل]

امْسِكْ حمارَكَ إنه مُستنفرٌ
في إثْرِ أحمرةٍ عَمَدْنَ لغُرَّبِ(٢)

فرت من قسورة : يعني الأسد • وقيل ـ أيضا ـ : القسورة الرماة الذين يصيدونها • وأصله : الأخذ بالشدة ، من قسره قسراً كقولك : قهره قهراً واقتسره اقتساراً • قال الشاعر : [من البسيط]

قد يُخطم الفحل قسراً بعد غُرَّته
وقد يُردّ على مكروهه الأسد(٣)

وقد ورد في أشعارهم من صفة عانة الوحش في نفورها [٤٦٩] من الصائد ومن خوف الأسد وما جرى هذا المجرى استطراداً بذلك في وصف الابل وتشبيهاً لها في نجائها بهذه الحال ما نذكر ههنا طرفاً لمقتضى التشبيه في الآية ليدل بذلك الاكثار على الفضيلة في هذا الاختصار •

فممن وصف هذه الحال التي ذكرناها وأغرب في لفظها ومعانيها

(١) سورة المدثر ، الايتان ٤٩ ، ٥٠ •
(٢) كذا في الاصل ، اما في اللسان (نفر) : « اربط حمارك» • ولم يذكر قائله
(٣) ينظر اللسان (كره) •

ذو الرمة غيلان بن عقبة فقال يذكر العانة[٤] في ارتياد الورد واعتراض القانص لها ونفورها منه ، أنشدنيه الجوهري عن الرماني عن الأزدي عن أبي حاتم [٤٧٠] عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن ذي الرمة[٥] :

[من البسيط]

فَغَلَّسَت وعمودُ الصبحِ مُنْصَدِعٌ
عنها وسائره بالليلِ مُحتجبُ[٦]

عيناً مطحلبةَ الأرجاء طامية
فيها الضفادعُ والحيتانُ تصطخبُ[٧]

يستلُّها جدولاً كالسيف مُنْصَلِتٌ
بين الأشاء تسامى حوله العُسُبُ[٨]

وبالشمائل من جِلانَ مُقتَنِصٌ
رَذْلُ الثياب خفي الشخص منزربُ[٩]

مُعِدُّ زُرقٍ هدتْ قُضباً مُصَدَّرةً
مُلْسَ المتون حداها الريشُ والعَقَبُ[١٠]

---

(٤) العانة جمع عون وعانات : الاتان ، القطيع من حمر الوحش .

(٥) الابيات من قصيدته التى مطلعها :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب

(ينظر ديوانه ص١ وما بعدها) .

(٦) التغليس : تأتي في آخر الليل . عمود الصبح : الصبح الاول. منصدع : مفترق واضح . سائره : يقال سأرت الشيء اذا ابقيته.

(٧) عينا مطحلبة : عليها الطحلب ، وهو نبت اخضر يكون في الماء .

(٨) يستلها : ينتزعها . الاشاء : النخل الصغار . وفي ديوان ذي الرمة : العسب ، وهو جريد النخل ، الواحد : عسيب .

(٩) من جلان : من قبيلة من عنزة . منزرب : داخل زربه ، وهو بيت الصائد .

(١٠) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٥ : ملس البطون. الزرق : النصال . القضب : عيدان السهام . هدت : تقدمت أي ساقت . مصدرة : غليظة الصدر من العقب الذي عليه .

كانت إِذا وَدَقَتْ أمثالُهن لـه
فبعضُهُنَ عن الألافِ مُنْشَعِب[11]

حتى اذا الوَحْشُ في أهْضامِ مَوْرِدِها
تَغَيَّبَتْ رابها من خيفةٍ رِيَب[12]

فَعَرَضَت طلقاً أَعناقَها فَرَقاً
ثُمَّ اطَّباها اليه الماءُ يَنْسكِب[13]

[٤٧١]

فأقبلَ الحقْبُ والأكبادُ ناشِزَةٌ
فوق الشراسيف في أحشائها تَجِب[14]

حتى إِذا زَلَجَتْ عن كل حَنْجرةٍ
الى الغليلِ ولم يَقْصعنَه نُغَب[15]

رَمى فأخطأ والأقدارُ غالبةٌ
فانْصَعْنَ والويلُ هِجّيراه والحَرَب[16]

يَقَعْنَ بالسفحِ مما قد رَأَيْنَ به
وَقْعاً يكادُ حصى المعزاءِ يلتهب[17]

---

(١١) ودقت : دنت • منشعب : مخترم متهالك •
(١٢) الاهضام : الاماكن المطمئنة •
(١٣) كذا في الاصل ، وفي هامشه : خرير المـاء ينثعب • وفي الديوان : خرير الماء ينسكب •
عرضت أعناقها : امالتها تنظر • اطباها : دعاها •
(١٤) الحقب : جمع أحقب وهي الحمر التى تكون في موضع الحقب منها بياض•
الشراسيف : اضلاع الصدر التى تشرف على البطن • تجب: تخفق
(١٥) زلجت : زلقت • الغليل : حرارة العطش • ولم يقصعنه لم يكسرنه • نغب : جمع نغبة •
(١٦) انصعن : تفرقن • والويل والحرب هجيره : أي عادته ودأبه •
(١٧) المعزاء : الارض الغليظة ذات الحصى •

وقال ذو الرمة أيضا في مثل ذلك من وصف العانة : [من البسيط]

فما انجلى الصبحُ حتى بَيَّتَتْ غَلَلاً
وسط الأشاء جرت فيه العلاجيم(18)

وقد تهيأ رامٍ عن شمائلها
مُجَرَّبٌ من بني جِلاّنَ معلوم(19)

كأنّه حين يدنو وِرْدُها طمعاً
بالصيدِ من خشيةِ الاِخطاء محموم(20)

حتى اِذا اختلطت بالماءِ أكرعُها
هوى لها طَلَعٌ بالصيد محروم(21)

[٢٧٢]

وفي الشّمالِ من الشريانِ مُطْعِمَةٌ
كبداءُ في عودِها عَطْفٌ وترنيم(22)

يؤودُ من متنها متْنٌ ويجذبه
كأنّه في نياط القَوْسِ حُلْقوم(23)

---

(18) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٥٨٦ : بين الاشاء. الغلل : الماء الذى يجرى بين خلل الشجر . الاشاء : النخل الصغار . العلاجيم : الضفادع .

(19) جلان : من بني عنزة ، معروف بالرمي حاذق .

(20) يقول : الرامي ينقض كأنه محموم خيفة ان يخطأ سهمه .

(21) وقبله :

اذا توجس ركزا من سنابكها او كان صاحب ارض أو به الموم

(22) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٥٨٧ : في عجسها عطف وتقديم . الشريان : شجر يعمل منه القسى مطعمة . كبداء : عظيمة الوسط .

(23) يؤود : يعوج من متن القوس . شبه الوتر بحلقوم القطا .

فانصاعت الحُقْبُ لم تقصَعْ صرائِرُها

وقــد نشحْنَ فلا رِيٌّ ولا هِيـم[٢٤]

وقامَ يَلْهَفُ مما قــد أصيب به

والحُقْبُ يَرْفَضُ منهـنَّ الأضاميم[٢٥]

وقال الأعشى في المغنى وذكر النــاقة وشبهها بالوحشية الهاربة :

[من البسيط]

كأنها بَعْــدَما أفضى النجاءُ بهـــا

بالشَّيطين مهــــاةٌ تبتغي ذرَعـا[٢٦]

أهْوى لها ضابيٌ في الأرْضِ مفتَحِصٌ

للصيدِ قدماً خفيَّ الشخص قد خَشَعا[٢٧]

فظلَّ يخدعُها عن نَفْسِ واحدِها

ومثلـه مثلهــا عن واحـدٍ خدَعا[٢٨]

[٤٧٣]

حتى إذا غَفَلتْ عنه ومــا شعَرتْ

أنَ المنية يوماً أرْســلتْ سبُعا[٢٩]

---

(٢٤) انصاعت : ذهبت هاربة · الحقب : الحمير الوحشية·

(٢٥) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٥٨٩ : وبات يلهف · ترفض : تفترق · الاضاميم : جماعة الحمر ، الواحدة : اضمامة·

(٢٦) الشيطان : واديان · (ديوان الاعشى ص ١٠٧)·

(٢٧) كذا في الاصل ، اما في الديوان : للحم قدما · يقـول :عرض لها وحش قد لصق بالارض متخذا له فيها وكرا ينتظر الصيد في نهم للحمه، وقد فني جسمه من الهزل ودق شخصه من شدة الجوع·

(٢٨) كذا في الاصل ، اما في الديوان : في ارض فيء بفعل مثلــه خدعا

(٢٩) كذا في الاصل ، اما في الديوان :

وذاك ان غفلت عنه وما شـعرت ان المنية يوما ارسـلت سـبعا

فَظَلَّ يأكل منـــه وهي لاهيـــةٌ
رأد النهـــار تراعي ثـيرة رتعـــا[٣٠]

فانصرفت والهـــاً ثكلى على عَجَلٍ
كُلٌ دهـــاها وكلٌ عنـــدها اجتمعا[٣١]

وبات قطـــر وشـــفّان يصـــفقها
من ذا لهـذا وقلب الشـاةِ قد صُقعا[٣٢]

حتى إذا ذرَّ قرن الشمس صبَّحها
ذؤالُ نبهـــان يبغي صـــحبه المتعـــا[٣٣]

بأكلبٍ كســـواءِ النبـــل ضاريـــة
ترى من القِدّ في أعناقها قطعـــا[٣٤]

فتلك لم تَتْرُكْ من خلفهـــا شبهاً
إلا الدوابر والأظـــلاف والزمعـــا[٣٥]

وقال لبيد بن ربيعة في مثل ذلك من حال الوحشية : [من الكامل]

خنساءُ ضَيَّعتِ الغرير فلـم يَرِمْ
عُرض الشقائق طَوفُهـــا وبغـــامُها[٣٦]

---

(٣٠) كذا في الاصل ، اما فى الديوان :

فظل يأكل منهـــا وهي راتعـــة حد النهار تراعى ثيرة رتعـــا

(٣١) كذا في الاصل ، اما فى الديوان :

فانصرفت فاقدا ثكلى على حزن كل دهاها وكل عندها اجتمعـــا

(٣٢) كذا في الاصل ، وقد سقط في الديوان ولم يبق منه الا قوله : « وقلب الشاة قد صقعا » •

(٣٣) الذؤال : الصائد •

(٣٤) القد : السير من الجلد •

(٣٥) الزمع : جمع زمعة ، وهو شيء زائد وراء الظلف فى كل قائمة زمعتان كانهما من قطع القرن لصلابتهما •

(٣٦) خنساء : فيها خنس وهو تأخر الانف وقصره • الغرير : ولد البقرة • لم يرم : لم يبرح او يجاوز • الشقائق : الارض الغليظة وبين رملتين • بغامها : صوتها • (ديوانه ص ٢٩٧ وشرح المعلقات السبع ص ١١٣) •

لمعفَّرٍ قَهْدٍ تنازَعَ شلوه
غُبْسٌ كواسِبُ ما يُمَنُّ طعامُها(٣٧)

صادَفْنَ منها غِرّةً فأَصَبْنَها
اِنَّ المنايا لا تطيش سهامُها(٣٨)

باتَتْ وأسْبَلَ واكِفٌ من ديمةٍ
يُروي الخمائِلَ دائماً تَسجامُها(٣٩)

تجتابُ أصلاً قالِصاً متنبذاً
بعجوبِ أَنقاءٍ يميل هُيامها (٤٠)

يعلو طريقة مَتْنها متواتراً
في ليلةٍ كفر النجومَ غمامُها(٤١)

وتضيء في وجه الظلام مُنيرةً
كجمانة البحري سُلَّ نظامُها(٤٢)

---

(٣٧) لمعفر : لأجل معفر ، إبنها الذي قد سحب في التراب •

(٣٨) ويروى : صادفن منه ، اى من الغرير • وفى كتاب سيبويه هامش ج١ص ٤٥٦ :

ولقد علمت لتأتين منيتى ان المنايا لا تطيش سهامها

كأنه قال : والله لتأتين • والشاهد فيه : تعليق (لتأتين) ب (علمت) على نية القسم •

(٣٩) الواكف : القطر • الديمة : المطر الدائم •

(٤٠) كذا في الاصل ، واللسان والتاج (جوب) ، أما في الديوان ص ٣٠٩ ، وشرح المعلقات السبع ص ١٣٣ : تجتاف ، اى:تدخل فى جوفه • ويجتاب : يلبس •

(٤١) الطريقة : خطة مخالفة للونها •متواتر: مطرمتتابع •كفر : ستر •

(٤٢) وجه الظلام : أوله • الجمانة : اللؤلؤة الصغيرة • البحرى: الغواص •

حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت
بكرت تزلُ عن الثــرى أزلامُهــا[٤٣]

عَلِهَتْ تبَلَّدُ في نِهاءِ صعائِد
سَبْعاً تــؤاماً كاملاً أيامُهــا[٤٤]

حتى إذا يَئِستْ وأسحق حالِقُ
لم يُبْلهِ إرضاعُها وفِطامُها[٤٥]

[٤٧٥]

وتسمَّعَتْ رِزَّ الانيسِ فراعها
عن ظهــرِ غَيْبٍ والأنيسُ سقامُها[٤٦]

فَغَدتْ كلا الفرجينِ تَحْسَبُ أنَّه
مولى المخــافةِ خَلْفُهــا وأمامُها[٤٧]

وقال سويد بن أبي كاهل[٤٨] وذكر الناقة وافضى الى وصف

---

(٤٣) بكرت : غدت بكرة • ازلامها : قوائمها • شبهها بالقداح ، أي:لم تعد تثبت قوائمها على الثرى لان الطين زلق •

(٤٤) كذا في الاصل ، اما في الديوان وشرح المعلقات السبع :علهت تردد •
علهت : جزعت • تتبلد : تتحير • النهاء : جمع نهى وهو مجتمع الماء • صعائد : اسم مكان •

(٤٥) يئست : من العثور على ولدها • اسحق : وذهب مافيه من اللبن • حالق : الضرع الذى يكاد يمتلىء • لم يبله : لميذهب بكل مافيه من لبن•

(٤٦) كذا في الاصل امافى الديوان وشرح المعلقات السبع:وتوجست• ويروى : ركز الانيس• الرز والركز : الصوت الخفى •عن ظهر غيب : من وراء حجاب •

(٤٧) كذا في الاصل ، والديوان وشرح المعلقات السبع •

(٤٨) مرت ترجمته •

الوحشي[٤٩] : [من الرمل]

فكأني إذْ جرى الآلُ ضُحىً
فوق ذَيّالٍ بخدّيهِ سُفَعْ[٥٠]

لَبَنٌ خدّيه على ديباجةٍ
وعلى المتنين لونٌ قد نَصَعْ[٥١]

راعه من طيءٍ ذو أسْهُمٍ
وضِراءٌ كُنَّ يُبْدين السَّرَعْ[٥٢]

فرآهُنَّ ولمّا يَسْتَبِنْ
وكلابُ الصَّيْدِ فيهنَّ جَشَعْ[٥٣]

ثُمَّ ولّى وجنابان له
مِنْ غُبارٍ أكدريٍّ واتّدَعْ[٥٤]

فتراهُنَّ على مَهْدَلةٍ
يختلينَ الأرضَ والشاةُ يَلَعْ[٥٥]

---

(٤٩) الابيات من قصيدته التى مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

(ينظر المفضليات ص ١٩١) .

(٥٠) الذيال : الثور الطويل الذنب . السفع : جمع سفعة وهي سواد يضرب الى حمرة .

(٥١) كذا في الاصل ، اما في المفضليات ص ١٩٦ : كف خداه ... قد سطع . لفٌ : ضم . المتنان : مكتنفا الصلب .

(٥٢) كذا في الاصول ، اما في المفضليات : الشرع . ذو أسهم: أراد به الصائد . الضراء : الكلاب التى ضريت للصيد ، الواحد :ضروة ـ بكسر الضاد ـ . الشرع ـ بكسر ففتح ـ الاوتار ، واحدتها : شرعة بكسر فسكون .

(٥٣) الجشع : اسوأ الحرص .

(٥٤) الجنابان : الجانبان . اكدري : فيه كدرة . اتدع : لم يجتهد في عدوه لثقته بانه سيفوتهن .

(٥٥) كذا في الاصل ، اما في المفضليات : على مهلته . يختلين : يقطعن . يلع : يكذب في عدوه ولا يجد ، من قولهم : ولع يلع : اذا كذب .

دانيـــاتٍ مـــا تَلَبَّسْنَ بـــه
واثقـاتٍ بدمـاءٍ إنْ رَجَعْ(٥٦)

يُلْهِبُ الشَدَّ إذا أرْهقْنَـــه
وإذا بَرَّزَ منهـــنَّ رَتَعْ(٥٧)

ســاكن القفْرِ أخـــو دَوِّيَةٍ
فـاذا ما آنَس الصوتَ مَصَــعْ(٥٨)

وقال القطامي(٥٩) في تشبيه ناقته بالوحشية الهاربة : [من الوافر]

كأنَّ نسوعَ رحلي حين ضَمَّتْ
حوالبَ غُرَّزاً ومِعاً جيـاعا(٦٠)

عـلى وَحْشيةٍ خرجَتْ خلوجاً
وكان لها طلا طفـلٌ فضاعا(٦١)

فكَرَّتْ عنـــد فيقتهـــا اليـــه
فألفت عنـــد مرتَعِه السباعـا(٦٢)

---

(٥٦) ما تلبسن به : لم يخالطنه بل قاربنه .

(٥٧) كذا في الاصل ، اما في المفضليات ص ١٩٧ : يرهب . يلهب : يسرع . الشد : لسير السريع . أرهقنه : اعجلنه . برز منهن : بعد .

(٥٨) الدوية : الفلاة البعيدة . امصع : ذهب في الارض .

(٥٩) مرت ترجمته .

(٦٠) حوالب : عروق الضرع . معا جياعا : أراد جوفها خـــال من الولد .

(٦١) كذا في الاصل ، اما في ديوان القطامي ص ٤١ : خذلت خلوج . الخلوج : التى اختلج ولدها ، أي : وكأنها من نشاطها وحشية نافـــرة حين رأت ولدها قد أكل .

(٦٢) كذا في الاصل ، اما في الديوان : فألفت عند مربضه السباعا . وفي كتاب سيبويه ج ١ ص ١٤٣ .

فكرت تبتغيـــه فوافقته على دمه ومصـــرعه السباعا

عند فيقتها : أي عند نزول لبنها .

لَعِبْنَ بـه فلـم يَتْـر ُكْنَ اِلاّ
إِهـاباً قـد تَمزّق أو كراعـا

فسـافته قليـلا ثم ولّـتْ
لها لَهَبٌ تثير بـه النِقاعا[٦٣]

[٤٧٧]

أَجَدَّ بهـا النِجاءُ فأصحبتها
قوائِم قلّمـا اشـتكت الظـلاعا

والشعر في هذا الباب كثير لا ينتهي حتى يُنتهى عنه .

وسبب التشبيه الوارد في الآية فيما روي عن ابن عباس في قوله ـ عز وجل ـ : « فما لهم عن التذكرةِ مُعْرِضين »[٦٤] أي : فما بالهم معرضين عما وعظوا به من القرآن ، وذلك ان النبي ـ صلى الله عليه ـ كان اِذا قرأ عليهم ما جاء به الوحي نفروا منه وهربوا من سماعه وتباعدوا عن الاصغاء اليه ، فضرب الله ـ تعالى ـ لهم المثل بهذا التشبيه فقال : « كأنّهم حُمُرٌ مستنفرةٌ فَرّت من قَسْوَرةٍ » فكما فرّت الحمر من الرماة والاسد فكذلك [٤٧٨] فَرَّ كفار أهل مكة من النبي ـ صلى الله عليه ـ حين تلا عليهم القرآن .

---

(٦٣) سافته : شمته .
(٦٤) سورة المدثر ، الاية ٤٩ .

سورة الانسان

قوله ـ عز وجل ـ : « ويُطاف عليهم بآنيةٍ من فضةٍ واكوابٍ كانت قواريرا . قوارير من فضةٍ قدّروها تقديرا »(١) .

يعني : انها كالقوارير في صفائها ورونقها وشفيفها ورفيفها ، وهي من فضة . فهذا على التشبيه وإنْ لم يذكر حرفه كما قال : [من الرجز]

عيرانةٍ زيّافةٍ صفوفِ
تخلط بين وبرٍ وصوفِ(٢)

أي : كأنّ يديها في سرعة السير يدا خالطةٍ وبراً بصوف . [٤٧٩] ومن هذا الباب قول النابغة يصف الدروع : [من الطويل]

علينَ بكِديونٍ واشعرْنَ كَرَّةً
فَهُنَّ إضاءٌ صافيات الغلائلِ(٣)

وانما يحذفون حرف التشبيه للمبالغة في وصف المشبه ، وذلك في نحو قولهم في مدح الرجل : « هو البحر جوداً ، والدهر بأساً ، والسيف

(١) سورة الانسان ، الايتان ١٥ ، ١٦ .
(٢) كذا في الاصل ، اما في اللسان (صوف) : حلبانة ركبانة صفوف . العيرانة من الابل : الناجية في نشاط .
(٣) كذا في الاصل ، اما في ديوانه ص ١٣٢ : وابطن كرة . الكديون : دقاق التراب عليه راسب الزيت تجلى به الدروع . الكرة : البعر العفن تجلى به الدروع .

لسانها » • وقولهم في صفة المرأة : « ريقها الخمر ، وثغرها الدر، وكلامها السحر ، وريحها المسك » • وقال أعرابي وذكر امرأة : « كلامها الوبل على المحل ، والعذب البارد على الظمأ » •

وقال الشاعر : [من الطويل]

وتبسِمُ عن سِمْطي لآلٍ فُصولها
شوابِرِ ياقوتٍ يقارنُها خُمْرُ(٤)

[٤٨٠] وقال عبدالله بن عَجْلان النَهْدي(٥) : [من الطويل]

وحقة مسكٍ من نساء لبستها
شبابي وكأسٍ باكرتني شمولها

أراد امرأة فشبهها بحقة مسك في طيبها •

وقال الآخر : [من السريع]

النَشْرُ مِسْكٌ والوجوهُ دنا نيرٌ وأطرافُ الأكفِ عَنَمْ(٦)

وأنشدني التنوخي لعبدالله بن المعتز : [من المجتث]

بدرٌ وليلٌ وغصْنٌ وجهٌ وشَعْرٌ وقَدُّ
خمر وَوَرْدٌ ودرٌ ريقٌ وثَغْرٌ وخَدُّ

والتشبيه على هذا الوجه كثير في الكلام والشعر •

وقوله - عز وجل - في وصف رحيق الجنة : « ختامُهُ مِسْكٌ»(٧) [٤٨١] على التشبيه أيضا أي : هو في طيب الرائحة كالمسك،

(٤) البيت في التشبيهات ص ١٠٨ : شوائب ياقوت •••
(٥) هو عبدالله بن عجلان النهدي شاعر جاهلي من عشاق العرب • (الشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٠٤ ، والاغاني (بيروت) ج ١٩ ص٢١١)•
(٦) كذا في الاصل والتشبيهات ص ٨٤ ، اما في المفضليات ص٢٣٨: واطراف البنان عنم •
النشر : الريح • يقول : ريحهن كالمسك • العنم : شجر أحمر •
(٧) سورة المطففين ، الاية ٢٦ •

وذلك مثل قوله تعالى : « كانَ مِزاجُها كافورا »[٨] .

وروي عن الحسن في قوله : « ختامه مسك » قال : مقطفة مسك، والى قوله ذهب أبو عبيدة في تفسير الآية ، وأنشد لابن مقبل: [من البسيط]

مما يعتق في الحانوت قاطفهـا
بالفلفل الجون والرمان مختوم[٩]

فتأول الختام على العاقبة ليس على الختم الذي هو الطبع لقولـه : « وأنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ للشاربين »[١٠] .

وقال تعالى : « يطوفُ عليهم وِلْدانٌ مُخَلَّدون . بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من مَعين »[١١] .

وقال : « يُطاف عليهم بكأسٍ مـن معين . [٤٨٢] بيضاءَ لـذةٍ للشاربين »[١٢] . وقوله : « بيضاء » مثل قوله : « قواريرَ . قوارير من فضةٍ »[١٣] .

فأما قوله : « كان مزاجُها زَنْجبيلا »[١٤] ، فانه يدل على لذاذة المقطع ؛ لانّ الزنجبيل يحذي اللسـان[١٥] ، وذلك من اجود الأوصاف للخمر عند العرب . قال الأعشى : [من المتقارب]

---

(٨) سورة الانسان ، الاية ٥ .
(٩) كتب مكان قاطفها : «مقطعها » ولكن شطب عليها . وفي ديوان ابن مقبل ص ٢٦٨ :
صرف ترقرق في الناجود ناطلها بالفلفل الجون والرمان مختوم
(١٠) سورة محمد ، الاية ١٥ .
(١١) سورة الواقعة ، الايتان ١٧، ١٨ .
(١٢) سورة الصافات ، الايتان ٤٥، ٤٦ .
(١٣) سورة الانسان ، الايتان ١٥، ١٦ . وهما : « يطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قوارير . قواريـر من فضـة قدروهـا تقديرا » .
(١٤) سورة الانسان ، الاية ١٧ . وهي : « ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا » .
(١٥) يحذي : يقرص .

معتقـــة قهـــوة مـــزّة
لهـا زبدٌ بين كـوبٍ ودَنْ(١٦)

وانما وصف الله ـ عز وجل ـ الآنية والأكواب ؛ لانَّ ذلك يؤول الى مدح الشراب ، ويدل على نفاسته وشرفه وقد سلكت الشعراء مذاهب من القول في وصف [٤٨٣] أواني الخمر أعملت فيها مطـايا الفـكر وأتتْ فيها بكل مستحسن من الشعر • على أنَّ أحسن ما وصف من هذه الحال ما ورد به التشبيه في الآية لوقوع المناسبة بين هذا الجنس وبين الماء الذي هو غاية في الرقة واللطافة ، كما قال العباسي : [من المتقارب]

هـواءٌ ولكنـه راكدٌ   ومـاء ولكنه غير جار

وقال ـ جلَّ اسمه ـ في قصة بلقيس : « قيل لها ادْخُلي الصَّرْحَ ، فلما رأتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وكشفتْ عن ساقيها • قال : إنَّه صَرْحٌ مُمَرَّدٌ من قوارير »(١٧) • ويقال : إنَّ سليمان ـ عليه السلام ـ منذ يومئذ [٤٨٤] اتخذوا [له] أواني الزجاج حتى ينظر الى شرابه ولا يحول بينه وبينه ما يستره عنه ، فعملت له الأقداح الرقاق وهي أحسن أواني الشرب الموصوفة في أشعارهم • قال عنترة : [من الكامل]

ولقد شَرِبْتُ من المدامةِ بعدما
ركـد الهواجر بالمشوفِ المعلـمِ
بزجاجـةٍ صـفراءَ ذاتَ أسِرةٍ
قرنت بأزْهَرَ في الشمال مُفَدَّمِ(١٨)

---

(١٦) كذا في الاصل ، اما في ديوانه ص ١٧ : صليفية طيبـا طعمهـا •

(١٧) سورة النمل ، الاية ٤٤ •

(١٨) ركد : سكن • الهواجر : جمع هاجرة وهى اشد الاوقـات حرا • المشوف : المجلو • المدام والمدامة : الخمرة • الاسرة : جمع السر والسرور ، وهما الخط من خطوط اليد والجبهة وغيرهما • بأزهر : بابريق أزهر • مقدم : مسدود الرأس بالفدام • (ينظر ديوان عنترة ص١٢٥ ، وشرح المعلقات السبع ص ١٨٦) •

يعني بالأزهر إبريقاً أبيض .

وقال شُبْرُمة بن الطُفيل[19] في تشبيه الأباريق : [من الطويل]

كَأَنَّ أباريقَ الشمول عشيّةً
أوزٌ بأعلى الطَفِّ عوج الحناجر[20]

[485] وأخذ هذا التشبيه أبو الهندي[21] فقال : [من الطويل]

مفدَّمةٌ قَزّاً كأنَّ رقابَها
رقابُ بناتِ الماءِ أَفزَعَها الرَّعْدُ[22]

وأخذ ابن المعتز قول علقمة بن عبدة[23] : [من البسيط]

كأَنَّ إبريقهم ظبي على شرف[24]

فقال : [من الكامل]

---

(19) له في الحماسة ابيات . (ينظر شرح ديوان الحماسة ج ٢ ص ٧٠٣ ، وج ٣ ص ١٢٦٩) .

(20) شبه اواني الخمر وقد فرغت واميلت بطيور ماء اجتمعت عشية بأعلى الساحل معوجة الحناجر والحلوق . (شرح ديوان الحماسة ج ٣ ص ١٢٦٩) .

(21) هو عبد المؤمن بن عبد القدوس ، ادرك الدولة الاموية والعباسية . (الشعر والشعراء ج ٢ ص ٥٧٢ ، وطبقات الشعراء ص ١٣٦ والاغانى (بيروت) ج ٢١ ص ٤٠٩) .

(22) كذا في الاصل والتشبيهات ص ١٨٨ ، اما في طبقات ابن المعتز ص ١٣٩ : افزعن بالرعد . وفي الاغاني ج٢١ ص ٤١٠ : تفزع للرعد . وهاتان الروايتان أصح ، لان روي القصيدة مكسور . الفدام : ماشد على فم الابريق او فم الانسان .

(23) هو علقمة الفحل ، الشاعر الجاهلي . (الشعر والشعراء ج ١ ص ١٤٥) .

(24) البيت :

كأن ابريقهم ظبي على شرف   مفدم بسبأ الكتان ملثوم

(ينظر التشبيهات ص ١٨٧ ، وديوان علقمة ص ٨) .

وكأنَّ ابريقَ المدامةِ بيننا
ظبيٌ على شرفٍ أناف مُدلّها[٢٥]

لما استحثته السُقاة جثا لها
فبكى على قدح النديم وقهقها[٢٦]

ومن مستحسن ما وصفت الكأس به في شفيفها ولطافتها قول العَكَوَك[٢٧] :

[من الوافر]

وصافيةٍ لها في الكأسِ لينٌ
ولكن في العقول لها شِماسُ

كأنَّ يدَ النديمِ تُدير منها
شُعاعاً ما تُحيط عليه كاسُ[٢٨]

[٤٨٦] وقال الآخر : [من الكامل]

صبّت فأحدق نورها بزجاجها
فكأنما جعلت إناء إنائها

وتكاد إنْ مزجتْ لرقةِ لونها
تمتاز عند مزاجها من مائها

ولأبي نواس في وصف صحاف الخمر وكؤوسها مذهب انفرد به كقوله :

[من الطويل]

---

(٢٥) كذا في الاصل وديوان ابن المعتز ص ٧٢ ، اما في التشبيهات ص ١٨٨ : بينهم ٠

(٢٦) كذا في الاصل والتشبيهات ، اما في الديوان ص ٧٢ : حنى لها ٠

(٢٧) هو علي بن جبلة المتوفى سنة ٢١٣ هـ : (الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٤٢ ، وطبقات ابن المعتز ص ١٧١ ، والاغانى ج ١٨ ص ٢٣٥ ، ونكت الهميان ص ٢٠٩)

(٢٨) ينظر البيتان في التشبيهات ص ١٧٣ ٠

تدور علينا الراحُ في عسجديةٍ
حَبَتْها بأنواع التصاويرِ فارِس (٢٩)

قرارتهـا كِسْرى وفي جَنَباتهـا
مَهـاً تدَّريها بالقسيِّ الفوارس (٣٠)

فللخمر ما زُرَّتْ عليه جيوبُها
وللماءِ ما دارت عليه القلانِس (٣١)

وقوله ـ أيضاً ـ في هذا المذهب : [من الطويل] [٤٨٧]

بنينا على كِسْرى سماءَ مدامةٍ
جوانبُـها محفـوفةٌ بنجـومِ (٣٢)

فلو رُدَّ في كسرى بن ساسان روحُه
إذَنْ لأصطفاني دون كل نديمِ

وقوله ـ أيضاً ـ : [من الوافر]

رجال الفرس حول ركاب كسرى
بأعمـدةٍ وأقبيـة قصـار (٣٣)

ولما كانت الخمر عند العرب من أنفس الأشياء لديهم ، وأحظاها في نفوسهم ، وأنعمها لعيشتهم ، وأجمعها للذتهم ، وكانوا يفخرون بمحالفة حاناتها والمغالاة في سبائها (٣٤) وهتك رايات تَجْرها (٣٥) ، وسبق العاذلات بشربها حتى منحوها من الوصف ما لا حقيقة له ، وكسوها [٤٨٨] من

(٢٩) كذا في الاصل ، اما في ديوانه ص ٣٧ : تدار .
(٣٠) تدريها : تختلها لتصطادها من غير ان تشعر .
(٣١) القلانس : اغطية لرأس الشائعة في ذلك الحين .
(٣٢) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٤٤٨ : مكللة حافاتهـا بنجـوم .
(٣٣) كذا في الاصل ، اما في الديوان ص ٧٧ :
وجل لجند تحت ركاب كسرى بأعمدة وأقبيـة قصـار
(٣٤) سبأ الخمر : اشتراها ، والسباء مصدر .
(٣٥) التجر : ممارسة البيع والشراء .

المدح ما هي عارية منه لشدة شغفهم بها وافراطهم في تعظيم شأنها ، أعلمهم أن خمر الجنة تفوقها وتبرعها وتظهر عليها بفضلها وكريم فعلها ، وانها « لذَّة ٍ للشاربين • لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنْزَفون »[٣٦] ، وان مزاج رحيقها « من تسنيم »[٣٧] و « ختامه مسك »[٣٨] ، وانها في لذة خصرها[٣٩] وبردها وطيب مذاقها وطعمها كالكافور والزنجبيل[٤٠] ، وانها لا لغو فيها ولا تأثيم[٤١] ، وانها معين لا تغيض أنهارها ولا ينفد عقارها[٤٢] ، فوصف من حقيقة حالها ما هو مستعار في وصفهم [٤٨٩] ومختلق من أباطيلهم وافكهم ترغيبا في ما أعدّه الله لأهل الاسلام في دار السلام • وكذلك وصف آنيتها واكوابها بالحال التي أفردها بها كما قدمنا ذكر ذلك في أول الباب •

فأما قوله ـ تعالى ـ : «كانت قوارير • قوارير» فقرئت [غير] مصروفة وهو الاختيار في هذا الجمع • ومن قرأ « قواريراً » فصرف الاول ؛ فلانه رأس آية ، ومن صرف الثاني أتبع اللفظ اللفظ • والعرب ربما قلبت الاعراب لتبع اللفظ كقولهم : « جحْر ضب ٍ خرب ٍ »[٤٣] ، وقول امريء القيس : [من الطويل] [٤٩٠]

---

(٣٦) سورة الصافات ، الايتان ٤٦،٤٧ •

(٣٧) اشارة الى قوله تعالى : « ومزاجه من تسنيم » (سورة المطففين ، الاية ٢٧) •

(٣٨) اشارة الى قوله تعالى « ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » • (سورة المطففين ، الايه ٢٦) •

(٣٩) الخصر : البرد ، والخصر ـ بكسر الصاد ـ لبارد •

(٤٠) يقول تعالى في سورة الانسان ، الاية ٥ : « ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا » ويقول في الاية ١٧ : « ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا » •

(٤١) اشارة الى قوله تعالى : « لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما» (سورة الواقعة ، الاية ٢٥) •

(٤٢) العقار : الخمرة •

(٤٣) ينظر تعليق ابن جني عليه في لخصائص ج ١ ص ١٩١•

كأنَّ ثبيراً في عرانينِ وبلهِ

كبيرُ أُناسٍ في بجادٍ مزمّلِ (٤٤)

فكيف يصرف ما لا ينصرف ؟ وهو جائز على مذهب أهل المدينة ، وفي الشعر على مذهب الكافة .

وقوله : « قدّروها تقديرا » ، أي : يكون الاناء على قدر ما يحتاجون اليه لا يعجز عن ريهم ولا يفضل . وقيل أيضاً في قوله : « قوارير من فضةٍ » انه لما كان أصل القوارير من الرمل ، كان أصل هذه الآنية من الفضة ، وهي قوارير يرى من خارجها ما في داخلها . والقول الأول على معنى التشبيه أحسن وأغرب ، وهو المأثور المشهور . [٤٩١]

---

(٤٤) كذا في الاصل وشرح المعلقات السبع ص ٤٨ ، اما في ديوانه ص ٢٥ : كأن أبانا في أفانين ودقه .

ثبير : اسم جبل . العرنين : الانف ، ثم استعير العرنين لاوائل المطر . البجاد : كساء مخطط . التزميل : التلفيف بالثياب .

ســـورة المرسلات

قوله ــ عز وجل ــ : « إِنَّهـا ترمي بشَـررٍ كالقَصْرِ • كأنه جمالةٌ صفْرٌ »(١) •

جاء في التفسير : ان القصر واحد القصور، وقيل: القصر جمع قَصرة وهو الغليظ من الشجر • وقوله : « كأنه جِمالاتٌ صُفْرٌ » بكسر الجيم ، جمع « جمال » كما تقول : « بيوت وبيوتات » ، وهو جمع الجمع ، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي بكر عن عاصم وأبي عمرو وابن عامر •

وجمع « جمال » بالألف والتاء على التصحيح والسلامة(٢) ، كما جمع على التكسير في قولهم : « جمائل » • وقال ذو الرمة : [من الطويل] [٤٩٢]

وقَـرَّبْنَ بالزُّرْقِ الجمائلَ بَعْـدَما
تقوَّبَ عن غِرْبانِ أوْراكها الخَطْرُ(٣)

ويقال للابل السود التي تضرب الى الصفرة : « هي ابل صفر » • قال الأعشى : [من الخفيف]

---

(١) سورة المرسلات ، الايتان ٣٢،٣٣ •

(٢) ينظر اللسان « جمل »

(٣) الزرق : أكثبة بالدهناء • الجمائل : جمع الجمالة ، ويعني الاوراك من خلف الظهر • (ينظر ديوان ذي الرمة ص ٢٠٩) •

تلك خيلي منـه وتلك ركـابي

هُنَّ صُفرٌ أولادهـــا كالزبيبِ (٤)

والشرر : قطع من النار تَطاير في الجهات • وأصله : الظهور ، من قولك : « شررت الثوب » إذا اظهرته للشمس • وشبّه الشرر بالقصر في العظم • ثم قال : « كأنه جمالات صفر » ،أي :سود ،فشبهه في اللون وفي العظم • والعرب تشبه الابل بالقصور ذهابا الى تمام خلقها [٤٩٣] وحسن صورتها • قال الأخطل : [من البسيط]

كأنـــه بُرْجُ روميَ يُشـــيّده

لُزَّ بجصٍ وآجرٍ وأحجارِ (٥)

وقال عنترة أيضاً : [من الكامل]

فوقفْتُ فيهـــا ناقتي وكأنّهـــا

فَدَنٌ لأقضي حاجةَ المتلوّمِ (٦)

وانمـا ظاهر في تشبيه الشرر تأكيداً للتخويف من النار التي ترامى بـه وتعظيماً لشأنها وارهاباً للكافرين من سطوتها • والتشبيه على هذا النحو بغير حرف العطف آكدُ في صفة الموصوف ، وابلغ في نعتـــه من التشـــبيه المعطوف • قال طرفة : [من الطويل] [٤٩٤]

وفي الحي أَحْوى ينفُضُ المَرْدَ شادِنٌ

مظـاهِرُ سِمْطَيْ لـؤلـؤٍ وزبرجَدِ (٧)

---

(٤) كذا في الاصل ص ٣٣٥ •

(٥) كذا في الاصل ، أما في ديوان الاخطل ص ١١٣ : كأنها

(٦) الفدن : القصر ، والجمع الافدان • المتلوم : المتمكث •(ينظر ديوان عنترة ص ١٢٢ ، وشرح المعلقات لسبع ص ١٧٤) •

(٧) الاحوى : الذي في شفتيه سمرة • الشادن : الغزال الـــذي قوي واستغنى عن أمه • السمط : الخيط لذى نظمت فيـــه لجواهر ، والجمع سموط •

خـذولاً تراعي رَبْرَباً بخميلـةٍ

تنـاول أطـراف البرير وترتدي[8]

وهذا تشبيه للمرأة بالغزال في عنقها ، وبالبقرة في حسن عينيها ، كما تقول : « هي شمس ، هي قمر » .

وأما تأويل « القصر » انه الغليظ من الشجر ، فهو حسن في التشبيه أيضا لانه من نظائر الجُذَى جمع : جذوة ، وهو ما غلظ من الخشب . قال الله تعالى : « أَوْ جَذْوَةٍ من النار »[9] أي : قطعة منها . قال الشاعر : [من البسيط]

باتت حواطبُ ليلى يحتطبن لهـا

جَزْلَ الجذى غير خوّار ولا دُعَرِ (٩ ب)

[٤٩٥] وقد شبهت النار في اشتعالها وتفرع ضرامها بالشجر ، كما قال العباسي أو غيره [من الرجز]

وموقـدات بتْنَ يضـرمن اللهبْ

يوسعنه من سَلَمٍ ومن غَرَبْ[10]

يرفَعْنَ أشجاراً لنا من الذهب

وفي هذه الأبيات ملاحظة لقول سعيد بن سليمان المساحقي في صفة النار ، أنشده الزبير بن بكار : [من المنسرح]

لفّعها بالضرامِ فانتصبتْ   ثم سمت للسـماء باللهب

حمراء زهراء لا يحش لها   كأنّ فيها صفائح الذهب

(٨) كذا في الاصل ، اما في ديوان طرفة ص ٣١ ، وشرح المعلقات السبع ص ٥٦ : خذولَ .
خذول : قد خذلت اولادها . الربرب : القطيع من الظباء وبقر الوحش . البرير : شجرة الاراك . الترديي لبس الرداء .
(٩) سورة القصص ، الاية ٢٩ .
(٩ب) الدعر : العود الذي يدخن ولا يتقد .
(١٠) السلم والغرب : نوعان من الشجر .

ونظر العباسي[11] الى قول الآخر في غير هذا التشبيه : [من البسيط]
[٤٩٦]

كأنَ نيرانَهم في كل منزلةٍ
مصبغات على أرْسانِ قَصَّارِ[12]

فقال وزاد أيضا : [من الخفيف]

فوق نارٍ شَبْعى من الحطب الجَزْ
لِ إذا ما التظتْ رَمَتْ بالشرار

فهي تعلو اليفاعَ كالرايةِ الحمـ
ـراءِ تفري الدجى الى كل سارِ[13]

وقال الطائي في احراق الأفشين[14] : [من الكامل]

ما زال سِرُّ الكفرِ بين ضلوعه
حتى اصطلى سِرَّ الزناد الواري

ناراً يُساور جسمه من حَرّها
لهباً كما عَصْفَرْتَ شِقَّ إزارِ

طارت له شُعَلٌ يهدِّمُ لفحُها
أركانَه هَدْماً بغير غبارِ

مشبوبة رُفعت لأعظمِ مُشْرِكٍ
ما كانَ يُرْفَعُ ضوؤها للساري

(١١) هو ابن المعتز .
(١٢) كذا في الاصل ، اما في التشبيهات ص ٢٠٥ : كأن نيراننا في جنب قلعتهم . وينظر معجم البلدان (هرقلة) وفي ديوان المعاني ج١ ص ٢٨٧ .
كأن نيراننا في جنب قلعتهم مصبغات على أرسان قصار
(١٣) ينظر ديوان ابن المعتز ص ٣٩ ، والتشبيهات ص ٢٠٥ .
(١٤) ينظر ديوان ابى تمام ص ١١٣ ، والتشبيهات ص ٢٠٥ .

[٤٩٧]

صلّى لها حيّاً وكان وقودها

ميْتاً ، ويدخلها مع الفجّارِ

وقرأ بعضهم : « انها ترمي بشرر كالقصر » ـ بفتح الصاد ـ جمع : قصرة ، أي : كأنها أعناق الابل . وهو تشبيه حسن أيضا ؛ لانّ العرب تستعير ذلك في وصف النار فيقولون : « برزت أعناق النيران » كما يقولون : « برزت ذوائبها وألسنتها » على طريق الاستعارة أيضا . وقالوا في نار حرة الحدثان بأرض غطفان فيما رواه الكلبي انه كان يخرج منها العنق فيسير مسير ثلاث واربع لا يمد بشيء إلاّ أحرقه ، وانخالد بن سنان [٤٩٨] ابن غيث بن مريطة بن مخزوم بن غالب بن قطيعة ، أخذ من كل بطن من بني عبس رجلاً ، فخرج بهم نحوها ومعه درة حتى انتهى الى طرفها وقد خرج منها عنق كأنه عنق بعير فأحاطبهم فقالوا: هلكت واللهأشياخ بني عبس آخر الدهر . فقال خالد : كلا . وجعل يضربه بالدرة ويقول : « بُدّاً بدّاً ، كل هَدْي لله مؤدّى ، أنا عبدالله بن سنان » . فضربه حتى رجع وجعل يتبعه والقوم معه كأنه ثعبان يتخلل حجارة الحرة حتى انتهى الى قليب فانساب فيه وانقذم(١٥) عليه ، فمكث طويلا [٤٩٩] فقال ابن عم له يقال له عروة بن سنة بن غيث : لا أرى خالداً يخرج اليكم أبداً . فخرج ينطف(١٦) عرقاً ، وهو يقول : زعم ابن راعية المعزى اني لا أخرج . فقيل لهم : « بنو راعية المعزى » حتى الساعة .

وحكي ان ابنة خالد جاءت الى النبي ـ صلى الله عليه ـ حين هاجر الى المدينة فانتسبت ، فقال : « مرحبا بنت آخر نبيٍ ضيّعه قومه(١٧) » .

وأنشدوا : [من الوافر]

---

(١٥) انقذم : اسرع .

(١٦) نطف : سال .

(١٧) ينظر الاصابة ج١ ص٤٥٨ ، ففيه أخبار خالد بن سنان .

كنــار الحــرّتينِ لهــا زفيرُ

يُصِمُّ مسامع الرجـل السميعِ

وبين تأويل القصر ـ بجزم الصاد ـ وان المراد به الغليظ [٥٠٠] من الشجر ، وبين تأويل القصر ـ بالفتح ـ مناسبة يقع بها التشبيه بما قال ذو الرمة في تشبيه عنق الناقة : [من الطويل]

وهادٍ كجذع السَّاجِ سامٍ يقودُه

مُعَرَّقُ أحْناءِ الصبيين أشْدَقُ(١٨)

وقال الآخر : [من الرجز]

كــأنَّ أعنــاقَ المطي البُزْلِ

بـين حُليمـات وبـين الجَبْـلِ

من آخرِ الليلِ جذوع النَخْلِ(١٩)

وقرأ يعقوب : « كأنه جُمالاتٌ صفرٌ » بضم الجيم ، وهو جمـع : « جمالة » . قالوا : وهو القَلْس(٢٠) من قلوس سفن البحر . قال ابن عباس في قوله تعالى : « انها ترمي بشرر كالقصر » يعني كأصول الشجر [٥٠١] العظام تقع على أكتاف الأشقياء . ثم شبهه بالأبل السود . روى ذلك جويبر عن الضحاك .

ولما كانت الأبل أعظم الأشياء في نفوس العرب لصبرها على الأهوال واحتمال الأثقال ، وكانوا يضربون بها الامثال في كثير من الاحوال

---

(١٨) الهادى : العنق . السامي : المرتفع . المعـرق : الـذاهب اللحم . الاحناء : الحواني ، الواحد : حنو . الصبيان : طرفان مـن اللحيين . الاشدق : واسع الشدق . (ينظر ديوان ذي الرمة ص٣٨٩) .

(١٩) كذا في الاصل ولسان العرب (حلم) ، اما في معجم البـلدان (حليمات) : كأن اعناق الجمال البزل .

حليمات : اكمات ببطن فلج . وقال الزمخشري : حليمات : انقاء بالدهناء . اراد : انها تمد اعناقها من التعب .

(٢٠) القلس : حبل ضخم للسفينة ، الجمع : قلوس واقلاس .

ويشبهونها بالجِنّان كما قال الراجز : [من الرجز]

يَرْفَعْنَ بالليلِ إذا ما أسدفا
أعناقَ جنّان وهاماً رُجَّفا[٢١]

وقال الآخر يشير الى وصف الشدة والقسوة في التشبيه منها :
[من البسيط]

يُبكى علينا ولا نبكي على أحدِ
لنحن أغلظُ أكباداً من الابلِ[٢٢]

[٥٠٢] وقال أبو خراش الهذلي[٢٣] : [من الوافر]

لعلك نافعي يا عُرْوَ يوماً
إذا جاورتُ مَنْ تحت القبور
اذا راحوا سواي واسلموني
لخشناء الحجارةِ كالبعيرِ[٢٤]

فكذلك شبه الله تعالى شرر جهنم بها تعظيماً له وتهويلاً وارهابا منه وتخويفاً . وقد شبه بعضهم ناراً على البعد بسحر العود على عادتهم في الاستطراد بذكر الابل في أكثر الأوصاف فقال : [من الطويل]

ونارٍ كسحر العودِ ترفع ضوءَها
مع الليلِ هبّات الرياح الصواردِ[٢٥]

---

(٢١) البيت للخطفي جد جرير . لجنان : جمع الجان . (ينظر الحيوان ج ٦ ص ١٧٣) واللسان (جن) .

(٢٢) نسبه ابن قتيبة في عيون الاخبار ج ٢ ص ١٩٢ الى المخبل .

(٢٣) مرت ترجمته .

(٢٤) ينظر البيتان في الاغاني ج ٢١ ص ٩٥ ، وديوان الهذليين ج ٢ ص ١٣٦ .

(٢٥) السحر : كل ما تعلق بالحلقوم من قلب ورئة . العود : المسن من الابل . الصوارد : الباردة .

وهم يشبهون النيران بأشخاص بعض الحيوان كما قـال الاول :

[من الطويل] [٥٠٣]

لمن ضـوء نـارٍ بالبطـاحِ كأنها
من الوحشِ بيضـاء اللبانِ شبوب
إذا صدّ عنها الريـح بان بضوئهـا
من الأثـل فَرْعٌ يابسٌ ورطيبُ

قال الراعي يصف الذئب : [من الكامل]

متوضـح الأقراب فيـه شهْبَةٌ
نهسُ اليـدين تخالـه مشـكولا(٢٦)
كدخـانِ مرتجـل بأعلى تلعة
غرثـانَ ضـرّم عرْفجاً مبلـولا(٢٧)

ومن أحسن ما قيل في وصف النار من حال ابتدائها الى حال اشتدادها وتسعر ضرامها قول ذي الرمة : [من الطويل]

وسِقْطٍ كعينِ الديكِ نازَعْتُ صحبتي
أباهـا وهيّأنا لموضعهـا وكـرا(٢٨)
مُشَهَّرَةٍ لا يذكـر الفحـل أُمَّها
إذا هي لم تُمْسِكْ بأطرافها قسرا(٢٩)

---

(٢٦) كذا في الاصل والحيوان ج ٥ ص ٦٥ ، اما في شـعر الراعي ص ١٣٩ :
متوشح الاقراب فيه نهمـة نهش اليدين تخاله مشكولا
نهش : قليل اللحم •
(٢٧) المرتجل : الذي أصاب رجلا من جراد فهو يشويه •
(٢٨) كذا في الاصل ، اما في ديوانه ص ١٧٥ : عاورت صحبتي • السقط : النار • الوكر : مما يشعل فيه النار • ابوها : الزند •
(٢٩) كذا في الاصل ، اما في الديوان : لا يمكن الفحل امها • مشهرة : يعني النار •

أخوها أبوها والضَوى لا يَضيرها
وساقُ أبيها أمها عُقرتْ عَقْرا[٣٠]

فلما بَدَتْ كفنتهـــا وهي طفلـــة
بطلساء لم تكْمُلْ ذراعا ولا شبرا[٣١]

وقلت له : ارفَعْها اليك وأحْيها
بروحك واقتتـــه لها قيتةً قَدْرا[٣٢]

وظاهِرْ لها من يابسِ الشَّخْتِ واستعنْ
عليها الصبا واجعل يديك لهـــا سترا[٣٣]

فلمـــا جَرتْ في الجزل جرياً كأنه
ســـنا الفجـــر أحدثْنا لخالقنـــا شُكرا[٣٤]

ولمـــا تَنَمَّتْ تأكـــل الرِمَّ لم تَدَعْ
ذوابل ممـــا يجمعـــون ولا خَضْـــرا[٣٥]

وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم : « **جمالة صفر** » كأنَّ الهاء لحقت جمالاً لتأنيث الجمع ، كما لحقت في فحل وفِحالة ، وذكر وذِكارة . ومثل لحاق الهاء في « فِعالة » . .

---

(٣٠) كذا في الاصل ، اما في الديوان :
أخوها أبوها والضوى لا يضرها وساق أبيها امها اعتقرت عقـرا
أي : اخو الزند ابو الزند . الضوى : النحافة . اعتقرت : كبدت وقطعت .

(٣١) الطلساء : الحرة تضرب الى السواد .

(٣٢) بروحك : أي بنفخك .

(٣٣) المظاهرة : ان يجعل شيئا فوق شيء . الشخت : الدقيق .

(٣٤) الجزل : ماغلظ من الحطب .

(٣٥) هذا البيت قبل السابق في الديـــوان ص ١٧٦ . تنمت : ارتفعت . الرم : مايبس من الشجر .

سـورة الفيل[1]

من الكامل [٥٠٥]

هل أُسْوَةٌ لك في رجالٍ صُرِّعوا
بتلاعِ تِرِيَمَ هامُهُم لم يُقبرِ[2]

وأخو الاباءةِ إذ رأى خِلاّنَه
تَلَّى شِفاعاً حوله كالإِذْخِرِ[3]

يريد : قتلى في الكثرة كالاذخر ؛ لانه لا يوجد منه اذخرة واحدة ، انما تكون الأرض منه مُسْتَحْلِسَةً[4] .

وقريب منه أيضا قول العبادي ، وقد تقدم ذكره مع ما يقترن به في الأبيات : [من الخفيف]

ثم أضْحَوا كأنهم وَرَقٌ جَفَّ
فألوت به الصَّبا والدبور[5]

---

(١) في الاصل نقصان في الكلام على هذه السورة .

(٢) البيتان لابي كبير الهذلي . (ديوان الهذليين ج٢ ص١٠٠) صرعوا : قتلوا . بتلاع تريم : موضع . لم يقبر : لم يسجن .

(٣) تلّى : صرعى . شفاعا : اثنين اثنين . الاباءة : الاجمة ، والجمع : الاباء . الاذخر : حشيش طيب الريح أطول من الثيل . (اللسان ـ ذخر ـ) .

(٤) احلست الارض واستحلست : كثر بذرها . وقيل : اخضرت واستوى نباتها . وعشب مستحلس : ترى له طرائق بعضها تحت بعض من تراكبه وسواده .

(٥) ينظر ديوان عدي ص ٩٠ .

وتشبيه الكتاب واقع أحسن مواقعه ، لانّ العصف الورق الذي ينفتح عن الثمرة ، أو السنبلة . قال الله تعالى : [٥٠٦] « والحبُّ ذو العَصْفِ والرَّيْحان »[٦] أي : ذو الورق والرزق ، والعرب تقول : «سبحانَ الله وريحانَه » أي : واسترزاقه[٧] . قال النَمِر بن تَولَب[٨] :

[من المتقارب]

سلامُ الاِله وريحانُه ورحْمَتُه وسماءٌ دِرَر[٩]

ومن قرأ : « الريحان » عطف على الحب ، فيكون هنا الريحان الذي يشم ، ويكون أيضاً الرزق . وواحد العصف : عصيفة . قال علقمة بن عبدة : [من البسيط]

تسقي مذانب قد مالت عصيفتُها

حدورها بأتيّ السيلِ مطموم[١٠]

وفي الخبر ان الحجر كان يصيب أحدهم على [٥٠٧] رأسه فيخرقه حتى يخرج من دبره ، فكانت أجوافهم خاوية ، فشبههم بالعصف المأكول لخلوه من ثمره . وقيل : العصف : قصب الزرع ، والتشبيه به واقع في صفة الحال أيضا .

وكان من قصة أصحاب الفيل أنّ نفراً من قريش نزلوا عند بيت هو

---

(٦) سورة الرحمن ، الاية ١٢ .

(٧) ينظر اللسان (روح) .

(٨) كان شاعرا جوادا ، وهو جاهلي أدرك الاسلام فاسلم . (الشعر والشعراء ج١ ص٢٢٧ ، والاغاني ج١٩ ص٣٣٨) .

(٩) ينظر اللسان (روح) وبعده .

غمام ينزل رزق العباد فأحيا البلاد وطاب الشجر

(١٠) كذا في الاصل ، اما في المفضليات ص ٣٩٨ واللسان (عصف) : قد زالت عصيفتها .

تسقى : يعني الناقة . المذانب : مدافع الماء . حدورها : ما انحدر منها واطمأن . الاتي : السيل . مطموم : مملوء .

مصلى النصارى وأصحاب النجاشي فاججوا ناراً لبعض شأنهم ثم رحلوا وتركوها على حالها فحملتها الريح فأحرقت البيت الذي كان مصلى لهم ومثابة[١١] للنجاشي وأصحابه ، فنذر أن يحرق بيتهم الذي فيه أصنامهم، وذلك قبل مولد النبي ـ صلى الله عليه ـ بسبعين [٥٠٨] يوماً فبعث ابرهة بن الصباح في اثني عشر ألفاً وبعث معه منجنيقاً وفيلاً اسمه « محمود » فلما انتهى الى الحرم برك الفيل ، فكلما وجهوه نحو اليمن هرول ، وكلما أرادوا به نحو الحرم وقف . وذلك قول أمية بن أبي الصلت[١٢] : [من الخفيف]

إنّ آياتِ ربنا بيّنات   لا يماري بهنّ إلاّ الكفورُ
حبس الفيل بالمغمس حتى   ظل يمشي كأنّه معقورُ

ثم أرسل الله عليهم طيراً أبابيل أي : جماعات من كل جانب مع كل طائر ثلاثة أحجار ، حجر في منقاره ، وحجران في رجليه ، يقع الحجر منها على رأس الرجل [٥٠٩] فيخرج من دبره . وكان دليل ابرهة الحبشي صاحب الفيل حين غزا البيت نفيل بن حبيب الأكلبي من ولد أكلب بن ربيعة بن نزار ، فلما أرسل الله عليهم الطير هرب في الجبل وطلبوه فلم يقدروا عليه فقال في ذلك يذكر فراره لما رأى الطير مرسلة عليهم : [من الوافر]

حَمِدْتُ الله إذ أبصرتُ طيراً
وريحاً عاصفاً تسفي علينا
أكل القوم يسأل عن نفيل
كأنّ عليّ للحبشان دينا

(١١) المثابة : البيت ، مجتمع الناس بعد تفرقهم ، الموضع الذي يرجع اليه مرة بعد اخرى .

(١٢) هو أمية بن ابي الصلت بن ابي ربيعة ، ولما بلغه خروج رسول الله (ص) وقصته كفر حسداً له . (الشعر والشعراء ج١ ص٣٦٩، والاغانى (الكتب) ج ٤ ص ١٢٠ ، وج ١٦ ص ١٣٧ (بيروت) وخزانة الادب ج ١ ص ١١٨) .

ومعنى قوله تعالى : « سجيل » أي : من شديد عذابه . والعرب إذا وصفت المكروه بسجيل فانها تعني [الشدة] [٥١٠] ولا يُصف به غير المكروه .

قال الشاعر : [من البسيط]

ورَجْلة يضربون الهام ضاحية

ضرباً تواصت به الأبطالُ سجيلا(١٣)

أبابيل : قال أبو عبيدة : لا واحدة لها ، وقال غيره : أبالة . وقيل : إبول(١٤) .

وجاء في التفسير : انّ الله أرسل عليهم سيلاً فحملهم الى البحر .

* * *

هذا ما أدى اليه الوسع من تأليف هذا الكتاب مع دثور الحفظ وتقسم الفكر وكلال الخاطر وعدم الروية لمقارعه [٥١١] صروف الزمان ومنازعة خطوب الأيام ، وإنْ كنا غير مسبوقين الى اذاعة سره ، وافتضاض عُذره ، واجتناء ثمره على كثرة ما ألف السلف من الكتب في أنواع علوم القرآن ، ولم يفرد لهذا النوع كتابا ، ولم يفتحوا الى القول فيه بابا . ورغبتنا الى الله - عز وجل - مصروفة في الفوز لديه ، والزلفى عنده . والصلاة على سيدنا محمد وآله ، وهو ولي الرغبة اليه بمنه وكرمه ، ورأفته ورحمته . وحسبنا الله ونعم الوكيل . [٥١٢]

انتهى

---

(١٣) كذا في الاصل ، اما في ديوان ابن مقبل ص ٣٣٣ واللسان (سجل) :

ورجلة يضربون البيض عن عوض

ضربا تواصت به الابطال سجينا

وفي مجاز القرآن ج٢ ص٣١٢ : ضربا تواصى به الابطال سجيلا

قيل : وسجين وسجيل بمعنى واحد .

(١٤) في مفردات الراغب ص ١٨ : « وارسل عليهم طيرا أبابيل » أي : متفرقة كقطعات ابل ، الواحد : ابيل » . وينظر مجاز القرآن ج ٢ ص ٣١٢ .

المصادر والمراجع

١ ـ ابن سناء لملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر • الدكتور عبدالعزيز الاهواني • القاهرة ١٩٦٢ •

٢ ـ الاتقان في علوم لقرآن • جلال الدين السيوطي • القاهرة ١٣٦٨هـ •

٣ ـ أساس البلاغة • الزمخشرى • القاهرة ١٩٦٠ •

٤ ـ أسر ر البلاغة • عبد القاهر الجرجاني • تحقيـــق هـ • ريتر • استانبول ١٩٥٤ •

٥ ـ اسس النقد الادبي عند العرب • الدكتور احمد احمد بدوي • القاهرة ١٩٥٨ •

٦ ـ الاشياء والنظائر للخالديين • تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف • القاهرة ١٩٥٨ •

٧ ـ الاصمعيات • الاصمعي • تحقيق احمد محمد شاكر • القاهرة • (د ر المعارف) ١٩٦٤ •

٨ ـ اعجاز القرآن • الباقلانى • تحقيق لسيد احمد صقر • القاهـــرة (دار المعارف) •

٩ ـ الاعلام • خير الدين الزركلي • الطبعـة لثانيـــة • القاهرة •

١٠ ـ الاغاني • ابو الفرج الاصفهاني •

أ ـ طبعة دار الكتب بالقاهرة ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٧م •

ب ـ طبعة دار الفكر ببيروت ١٩٥٤ •

١١ ـ الامالي • أبو علي الغالي • القاهرة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ م الطبعة الثالثة •

١٢ ـ انباه الرواة على أنباه النحاة • علي بن يوسف القفطي • القاهـرة (دار الكتب) ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م •

١٣ ـ الايام والليالي والشهور • ابو زكريا الفراء • تحقيق ابراهيـــــم الابيارى • القاهرة ١٩٥٦ •

١٤ ـ الايجاز والاعجاز • الثعالبى •

١٥ ـ الايضاح • الخطيب القزويني • القاهرة •

١٦ ـ البخلاء • الخطيب البغدادى • تحقيــق الدكـاترة أحمـد مطلـوب وخديجة الحديثي واحمد ناجي القيســي • بغـــداد • ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م •

١٧ ـ البداية و لنهاية · ابن كثير القرشي · القاهرة ·
١٨ ـ البديع في نقد الشعر · اسامة بن منقذ · تحقيق الدكتـــور احمـد أحمد بدوى وحامد عبد المجيد · القاهرة ·
١٩ ـ بديع القرآن · ابن أبى الاصبع المصري · تحقيق الدكتور حفني محمد شرف · الطبعة الاولى · القاهرة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م ·
٢٠ ـ البرهان في علوم القرآن · بدر الدين الزركشي · تحقيق محمـد ابو الفضـل ابراهيم · الطبعـة الاولى · القـاهرة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م ·
٢١ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة · جلال الدين السيوطي · تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم · القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥م ·
٢٢ ـ البلاغة · المبرد · تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب · القاهـرة ١٩٦٥م ·
٢٣ـ البلاغة عند السكاكي · الدكتور أحمد مطلوب · بغداد ١٩٦٤ ·
٢٤ـ البيان والتبيين · الجاحظ · تحقيق عبدالسلام محمد هارون · القاهرة ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م ·
٢٥ـ تاريخ الادب العربي · كارل بروكلمان (الطبعة الالمانية) بريل ١٩٣٧ ·
٢٦ـ تاريخ الاسلام · الذهبي · مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة ببغـداد (٥٨٩١) ·
٢٨ـ التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن · ابن الزملكـاني تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي · بغـداد (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م) ·
٢٩ـ تحرير التحبير · ابن ابي الاصبع المصري · تحقيق الدكتور حفني محمد شرف · القاهرة ١٣٨٣ هـ ·
٣٠ ـ تفسير غريب القرآن · ابن قتيبة · تحقيق السيد أحمد صقـر · القاهرة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م ·
٣١ـ تفسير القرطبي · محمد بن احمد الانصاري · القاهـرة (دار الكتب) ·
٣٢ ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن · الشـريف الرضي · بغـداد ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥م ·
٣٣ ـ تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب · ابن الفـوطي · تحقيـق الدكتور مصطفى جواد · دمشق ·
٣٤ ـ لتمام في تفسير اشعار هذيل مما اغفله ابو سـعيد السـكرى · ابن جنى · تحقيق الدكاترة احمد مطلوب وخديجة الحديثي واحمـد ناجي القيسي · بغداد ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م) ·
٣٥ـ التنبيه والاشراف · المسعودي · القاهرة ١٣٥٧هـ ·

٣٦ _ ثلاث رسائل في اعجاز القرآن • تحقيق محمـــد خلف الله احمـد والدكتور محمد زغلول سلام • القاهرة (دار المعارف) •
٣٧ _ جمهرة خطب العرب • احمد زكي صفوت • القاهرة (الطبعة الاولى ١٣٥٢ هـ _ ١٩٣٣ م •
٣٨ _ الجواهر المضية في طبقات الحنفية • محيي الدين أبو محمد القرشي الحنفي • الطبعة الاولى • حيدر آباد الدكن •
٣٩ _ حاشية الدسوقي • (ضمن شروح التلخيص) القاهرة •
٤٠ _ الحماسة • ابن الشجرى • حيدر آباد الدكن • ١٣٤٥ هـ•
٤١ _ حماسة البحترى • تحقيق كمال مصطفى • القاهرة ١٩٢٩ م•
٤٢ _ الحماسة البصرية • صدر الدين بن ابى الفرج بن الحسين البصرى• الطبعـة الاولى • حيـدر آبـاد الدكن • الهنـد • ١٣٨٣ هـ _ ١٩٦٤ م •
٤٣ _ الحيوان • الجاحظ • تحقيق عبد السلام محمد هارون •القاهرة •
٤٤ _ خاص الخاص • الثعالبي • بيروت ١٩٦٦ •
٤٥ _ خريدة القصر وجريدة العصر • العماد الاصفهاني مصورة المجمـع العلمي العراقي •
٤٦ _ خزانة الادب • البغدادى • القاهرة
٤٧ _ خزانة الادب وغاية الارب • ابن حجة الحموى • القاهرة ١٣٠٤هـ•
٤٨ _ الخصائص • ابن جنى تحقيق محمدعلي النجار • القاهرة (دارالكتب ١٣٧٤هـ _ ١٩٥٥ م•
٤٩ _ ديوان ابراهيم بن العباس الصولي • (الطرائف الادبية) للاستاذ عبدالعزيز الميمني • القاهرة ١٩٣٧م •
٥٠ _ ديوان ابن الرومي • طبعة كامل كيلاني • القاهرة •
٥١_ ديوان ابن المعتز • تحقيق الشيخ محيي‌الدين الخيـــاط • دمشـق ١٣٧١ هـ •
٥٢ _ ديوان ابن مقبل • تحقيق الدكتور عزة حسن • دمشق • ١٣٨١هـ_ ١٩٦٢ م•
٥٣ _ ديوان أبي تمام • قدم له الدكتور عبدالحميد يونس وعبدالفتـــاح مصطفى • القاهرة •
٥٤ _ ديوان أبي العتاهية •
أ _ تحقيق الدكتور شكرى فيصل • دمشق ١٩٦٥ •
ب _ طبعة بيروت (دار صادر) ١٩٦٤ •
٥٥ _ ديوان ابي نواس • تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي • القاهرة •
٥٦ _ ديوان الاخطل • بيروت ١٨٩١ _ ١٩٣٥م •
٥٧ _ ديوان الاعشى الكبير • شرح الدكتور محمد محمد حسين • القاهرة•

٥٨ ـ ديوان الافوه الاودى . (الطرائف الادبية) للاستاذ عبد العزيز الميمنى . القاهرة ١٩٣٧ م .
٥٩ـ ديوان امريء القيس . تحقيق ابو الفضل ابراهيم . الطبعة الثانية (دار المعارف) القاهرة . ١٩٦٤ .
٦٠ ـ ديوان اوس بن حجر . تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم . بيروت ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م .
٦١ ـ ديوان البحترى . بيروت (دار صادر) ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢م
٦٢ ـ ديوان بشار بن برد . القاهرة .
٦٣ ـ ديوان بشر بن ابى خازم الاسدى . تحقيق الدكتور عزة حسن . دمشق ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م .
٦٤ ـ ديوان جرير . القاهرة ١٣٥٣ هـ .
٦٥ـ ديوان جميل بثينة . تحقيق بطرس البستاني . بيروت ١٩٥٣م .
٦٦ ـ ديوان حاتم الطائى . بيروت . ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣م .
٦٧ ـ ديوان الحارث بن حلزة اليشكرى (مجلة المشرق) بيروت ١٩٢٢. تحقيق كرنكو .
٦٨ ـ ديوان حسان بن ثابت . بيروت . ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦.
٦٩ ـ ديوان الحطيئة . بيروت . ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م.
٧٠ ـ ديوان حميد بن ثور الهلالي . تحقيق عبد لعزيز الميمني . القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥ م .
٧١ ـ ديوان الخنساء . بيروت ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م.
٧٢ ـ ديوان دعبل بن علي الخزاعي . تحقيق عبد الصاحب الدجيلي . النجف ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .
٧٣ـ ديوان ذي الرمة . تحقيق كارليل مكارثي . كمبردج ١٣٢٧هـ ـ ١٩١٩ م.
٧٤ـ ديوان سحيم عبد بني الحسحاس . تحقيق عبدالعزيز الميمني . القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥ م.
٧٥ ـ ديوان الشماخ . القاهرة . ١٣٢٧ هـ .
٧٦ ـ ديوان طرفة بن العبد . تحقيق الدكتور علي الجندى . القاهرة .
٧٧ ـ ديوان العباس بن الاحنف . تحقيق الدكتورة عاتكة الخزرجى . القاهرة (دار الكتب) ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م.
٧٨ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات . تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم . بيروت ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨ م.
٧٩ ـ ديوان عدى بن زيد العبادى . تحقيق محمد جبار المعيبد . بغداد ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م.

٨٠ ـ ديوان لعرجي ٠ تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدى ، بغـــداد (الطبعة الاولى) ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م٠
٨١ ـ ديوان عروة بن الورد ٠ تحقيق عبد المعين الملوحـــي ٠ دمشـــق ١٩٦٦ م٠
٨٢ ـ ديوان علقمة الفحل ٠ ليبزج ١٨٦٧ م٠
٨٣ ـ ديوان علي بن لجهم ٠ تحقيق خليل مردم ٠ دمشق ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٤٩ م ٠
٨٤ ـ ديوان الفرزدق ٠ بيروت ٠ ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م٠
٨٥ ـ ديوان القطامي ٠ تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتور ابراهيـم السامرائى ٠ بيروت ٠ ١٩٦٠ م٠
٨٦ ـ ديوان قيس بن الخطيم ٠
أ ـ بتحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتور ابراهيم الســامرائى ٠ بغداد ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م٠
ب ـ بتحقيق الدكتور ناصر الدين الاســد ٠ القــاهرة ١٨٣١ هـ ـ ١٩٦٢ م٠
٨٧ ـ ديوان المتنبي ٠ تحقيق مصطفى السقا وجماعته ٠ الطبعة الثانية ٠ القاهرة ١٣٥٨ هـ ٠ ١٩٣٩ م ٠
٨٨ ـ ديوان مجنون ليلى ٠ القاهرة ١٣٥٨ هـ ٠ ١٩٣٩ م٠
٨٩ ـ ديوان لمزرد ٠ تحقيق خليل ابراهيم العطية ٠ بغداد ١٩٦٢٠
٩٠ ـ ديوان المعاني ٠ ابو هلال العسكرى ٠ القاهرة ١٣٥٢ هـ٠
٩١ـ ديوان النابغة الذبياني ٠ بيروت ١٩٥٣م ٠
٩٢ـ ديوان الهذليين ٠ القاهرة (دار الكتب) ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م
٩٣ ـ ذيل تاريخ بغداد ٠ ابن الدبيثى ٠ مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس (٥٩٢٢) ٠
٩٤ ـ الرائد ٠ جبران مسعود ٠ بيروت ١٩٦٤ م ٠
٩٥ ـ الروض لانف ٠ عبد الرحمن السهيلي ٠ القاهـــرة ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م٠
٩٦ ـ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ٠ النووى ٠ بيروت (دار الكتاب العربى) ٠
٩٧ـ شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ٠ تحقيق محمد محيي الديـــن عبد الحميد ٠ القاهرة ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م٠
٩٨ـ شرح اشعار الهذليين ٠ القاهرة ٠
٩٩ ـ شرح ديوان الحماسة ٠ المرزوقى ٠ تحقيق احمد امين وعبدالسلام محمد هارون ٠ القاهرة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥١ م٠

١٠٠ ـ شرح ديوان زهير بن ابى سلمى · القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤م·
١٠١ ـ شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة · تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد · الطبعة الاولى · القاهرة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م·
١٠٢ ـ شرح ديوان عنترة العبسي · تصحيح امين سعيد ·القاهرة·
١٠٣ ـ شرح ديو ن كثير · جمعه ونشره هنرى بيرس · الجزائر ١٩٢٨م·
١٠٤ ـ شرح ديوان كعب بن زهير · القاهرة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م·
١٠٥ ـ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى · تحقيق الدكتوز احسان عباس· الكويت ١٩٦٢ ·
١٠٦ ـ شرح شافية ابن الحاجب تحقيق محمد نور لحسن وجماعته· القاهرة ·
١٠٧ ـ شرح شواهد المغني · جلال الدين السيوطي · دمشق
١٠٨ـ شرح المعلقات السبع · الزوزني · القاهرة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م ·
١٠٩ ـ شعر دعبل بن علي الخزاعي · صنعة الدكتور عبد الكريم الاشتر· دمشق ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م·
١١٠ ـ شعر الراعي لنميرى واخباره · جمعه وقدم له الدكتور ناصر الحاني · دمشق ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م·
١١١ ـ الشعر والشعراء · ابن قتيبة · بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤م·
١١٢ ـ شعر النابغة الجعدى · دمشق ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م·
١١٣ ـ شفاء الغليل · شهاب الدين الخفاجي · تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي · القاهرة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢م
١١٤ ـ طبقات الشعراء · ابن سلام الجمحى · القاهرة ١٩٥٢م (دار المعارف) ·
١١٥ ـ طبقات الشعراء · ابن المعتز · تحقيق عبدالستار احمد فراج · القاهرة (دار المعارف) ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م ·
١١٦ ـ طبقات الصوفية · عبد الرحمن السلمى · تحقيق نور الدين شربية· القاهرة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣م·
١١٧ ـ طبقات النحاة واللغويين · ابن قاضي شهبة · مخطوطة دار الكتب الظاهرية في دمشق (٤٣٨ تاريخ) ·
١١٨ ـ الطرائف الادبية · عبد العزيز الميمنى · القاهرة ١٩٣٧ م·
١١٩ـ الطراز في اسرار البلاغة وحقائق الاعجاز · يحيي بن حمزة العلوي · القاهرة ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م ·
١٢٠ـ العسجد المسبوك في سيرة الخلفاء والملوك · جمال الدين علي بن الحسن الخزرجي الانصارى · مصورة المجمع العلمى العراقي عن نسخة دار الكتب المصرية ·
١٢١ ـ العقد الفريد · ابن عبد ربه · القاهرة ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٥م·
١٢٢ ـ العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده · ابن رشيق القيرواني ·

تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد • الطبقة الثانية • القاهرة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م•
١٢٣ـ عيار الشعر • ابن طباطبا • تحقيق الدكتورين طه الحاجري ومحمد زغلول سلام • القاهرة ١٩٥٦ م •
١٢٤ ـ عيون الاخبار • ابن قتيبة • القاهرة (دار الكتب)•
١٢٥ ـ الفاخر • المفضل بن سلمة بن عاصم • تحقيق عبدالعليم الطحاوي• القاهرة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م•
١٢٦ ـ فصيح ثعلب تحقيق عبدالمنعم خفاجي • القاهرة ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩ م•
١٢٧ ـ فهارس دار الكتب المصرية في القاهرة •
١٢٨ ـ فهرس المخطوطات المصورة في جامعة الدول العربية (معهد احياء المخطوطات العربية) •
١٢٩ ـ القاموس المحيط • مجد الدين الفيروزابادى •
١٣٠ ـ القزويني وشروح التلخيص • الدكتور احمد مطلوب • بغداد ١٩٦٧ م•
١٣١ ـ الكامل في التاريخ • ابن الاثير الجزرى • القاهرة ١٢٩٠هـ•
١٣٢ ـ الكامل في اللغة والادب والنحو والتصريف • المبرد • تحقيق الدكتور زكي مبارك
١٣٣ ـ كتاب الاوراق (اخبار الشعراء) نشرة ج • هيورث • الطبعة الاولى القاهرة ١٩٣٤ م•
١٣٤ـ كتاب الاوراق (اشعار اولاد الخلفاء) نشره ج هيورث • القاهرة (الطبعة الاولى) ١٩٣٦ •
١٣٥ ـ كتاب الايمان • ابن تيمية • القاهرة ١٣٢٥ هـ •
١٣٦ ـ كتاب بغداد • ابن طيفور •
١٣٧ ـ كتاب التشبيهات • ابن ابي عون • تحقيق محمد عبدالمعين خان مطبعة جامعة كمبردج ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م •
١٣٨ـ كتاب التشبيهات من اشعار اهل الاندلس • محمد بن الكتاني الطبيب • تحقيق الدكتور احسان عباس • بيروت ١٩٦٦م •
١٣٩ ـ كتاب سيبويه • القاهرة ١٣١٦ هـ •
١٤٠ ـ كتاب الصناعتين • ابو هلال العسكرى • تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم • القاهرة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٢م •
١٤١ ـ كتاب العين • الخليل بن احمد الفراهيدى • تحقيق الدكتور عبدالله درويش • بغداد ١٩٦٧ م•
١٤٢ ـ كتاب الوحشيات (الحماسة الصغرى) • أبو تمام • تحقيق عبدالعزيز الميمنى • القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٣ م •

١٤٣ ـ الكشاف ٠ الزمخشري ٠ الطبعة الثانية (القاهـــرة) ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣م٠
١٤٤ـ كشف الظنون ٠ حاج خليفة ٠ استانبول ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م ٠
١٤٥ ـ لسان العرب ٠ ابن منظور ٠
١٤٦ ـ لسان الميزان ٠ احمد بن علي بن حجر العسقلاني٠ الطبعة الاولى٠ حيدر آباد الدكن ١٣٣٠ هـ ٠
١٤٧ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٠ ضياءالدين بن الاثـير ٠ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ٠ القاهرة ١٩٥٨ هـ ـ١٩٣٩م٠
١٤٨ـ مجاز القرآن ٠ ابو عبيدة ٠ تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين ٠ القاهرة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م٠
١٤٩ ـ مجلة الاستاذ (العدد العاشر) ١٩٦٢ ٠ (مقال للدكتور مصطفى جواد) ٠
١٥٠ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ٠ (المجلد السادس) ٠
١٥١ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٠
١٥٢ ـ مجمع الامثال ٠ الميداني ٠ تحقيق محمد محييالدين عبدالحميد ٠ القاهرة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩ م ٠
١٥٣ ـ مختارات ابن الشجري ٠ ضبطها وشرحها محمود حســـن زناتي ٠ القاهرة ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥ ٠
١٥٤ـ المختار من شعر بشار للخالديين ٠ القاهرة ٠
١٥٥ ـ لمختصر في اخبار البشر ٠ ابو الفدا ٠ بيروت ٠
١٥٦ ـ المخصص ٠ ابن سيده ٠ القاهرة ٠
١٥٧ ـ مسالك الابصار في مسالك الامصار ٠ ابن فضل الله العمـــري٠ مخطوطة دار الكتب الوطنية بباريس (٥٨٧٠) ٠
١٥٨ ـ المصون ٠ ابو احمد العسكري ٠ تحقيق عبد السلام محمدهـارون٠ الكويت٠ ١٩٦٠
١٥٩ ـ معاني القرآن ٠ أبو زكريا الفراء ٠ القاهرة
١٦٠ـ معاهد التنصيص ٠ العباسي ٠ تحقيق محمد محييالديـــن عبد الحميد ٠ القاهرة ٠
١٦١ ـ معجم الادباء ٠ ياقوت الحموي ٠ القاهرة (طبعة أحمـــد فريـــد رفاعي) ٠
١٦٢ ـ معجم البلدان ٠ ياقوت الحموي ٠
١٦٣ ـ معجم الشعراء ٠ المرزباني ٠ تحقيق عبد الستار احمد فراج٠القاهرة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م٠
١٦٤ ـ معجم مقاييس اللغة احمد بن فارس ٠ تحقيق عبد السلام محمد هارون ٠ القاهرة ١٣٦٦ هـ ـ ١٣٧١ هـ ٠

١٦٥ ـ المعرب • الجواليقى • تحقيق احمد محمد شاكر • طهران ١٩٦٦ •
١٦٦ ـ مغني اللبيب • ابن هشام الانصارى • تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمدعلي حمدالله • دمشق •
١٦٧ ـ المفردات في غريب القرآن • الراغب الاصفهاني • تحقيق محمد سيد كيلاني • القاهرة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١ م •
١٦٨ـ المفضليات • تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون • القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٤ الطبعة الثالثة •
١٦٩ـ مقامات ابن ناقيا البغدادي • استانبول ١٣٣١هـ •
١٧٠ ـ الملل والنحل • الشهرستاني • تحقيق محمد سيد كيلاني • القاهرة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ •
١٧١ ـ من بلاغة القرآن • الدكتور احمد بدوى • الطبعة الثانية • القاهرة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠ •
١٧٢ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم • ابن الجوزى • الطبعة الاولى • حيدر آباد الدكن ١٣٥٩ هـ •
١٧٣ـ الموازنة بين الطائيين • الامدي • تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد • القاهرة (الطبعة الثانية) ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م •
١٧٤ ـ الموشح • محمد بن عمران المرزباني • تحقيق محمد علي البجاوى • القاهرة ١٩٦٥ م •
١٧٥ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال • محمد بن احمد الذهبي • القاهرة ١٣٢٥ هـ •
١٧٦ ـ نزهة الالباء في طبقات الادباء • ابن الانبارى • تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي • بغداد ١٩٥٩ •
١٧٧ ـ النشر في القراءات العشر • ابن الجزري • تحقيق علي محمد الضباع • القاهرة •
١٧٨ ـ نقائض جرير والفرزدق • ليدن ١٩٠٥ ـ ١٩١٢ م •
١٧٩ ـ نقد الشعر • قدامة بن جعفر • تحقيق كمال مصطفى • القاهرة ١٩٦٣ •
١٨٠ ـ نكت الهميان في نكت العميان • الصفدى • القاهرة ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م •
١٨١ ـ نهاية الارب في فنون الادب • النويري • القاهرة (دار الكتب) •
١٨٢ ـ النهاية في غريب الحديث والاثر • ابن الاثير • تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر احمد الزاوى • القاهرة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م •
١٨٣ ـ نهج البلاغة • الامام علي بن ابي طالب • شرح الامام محمد عبده • القاهرة •

١٨٤ـ النوادر . ابو علي القالي . القاهرة .
١٨٥ـ هدية العارفين . اسماعيل باشا البغدادي استانبول ١٩٥١م .
١٨٦ـ الوافي بالوفيات . صلاح الدين الصفدي .
أ ـ مخطوطة دار الكتب الوطنية بباريس .
ب ـ مصورة المكتبة المركزية في جامعة بغداد .
١٨٦ ـ الوافي بالوفيات . صلاح الدين الصفدي .
محيي الدين عبد الحميد . القاهرة .

الفهارس

الموضوعات

المقدمة

٥ ـ ٣٦

الجمان في تشبيهات القرآن

٤١ ـ ٣٨١

سورة البقرة

٤٥ ـ ٥٨

سورة آل عمران

٥٩ ـ ٦٢

سورة الانعام

٦٣ ـ ٧٧

سورة الأعراف

٧٨ ـ ٩٠

سورة يونس

٩١ ـ ١٢٠

سورة الحشر

٣٣٢ ـ ٣٣٣

سورة الصف

٣٣٤ ـ ٣٤٠

سورة الجمعة

٣٤١ ـ ٣٤٢

سورة المنافقين

٣٤٣ ـ ٣٤٤

سورة ن (القلم)

٣٤٥ ـ ٣٤٨

سورة سأل سائل (المعارج)

٣٤٩ ـ ٣٥٢

سورة المدثر

٣٥٣ ـ ٣٦٣

سورة الانسان

٣٦٤ ـ ٣٧٢

سورة المرسلات
٣٧٣ ـ ٣٨١

سورة الفيل
٣٨٢ ـ ٣٨٥

الآيات

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سـورة يس

سـورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر

سورة فصلت

سـورة الشـورى

سورة الرحمن

سورة الواقعة

سورة الحديد

سورة الحشر

سوة الصف

سورة الجمعة

سورة المنافقين

سورة ن (القلم)

سورة الحاقة

سورة سأل سائل (المعارج)

سورة نوح

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة الانسان

سورة المرسلات

سورة النازعات

سورة عبس

الأحاديث

الهمـزة

البـاء

الخـــاء

الـــدال

الفـــاء

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الياء

القوافي

الميم

النون

الاعلام

الهمزة

الباء

التاء

الثاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الذال

الـراء

الزاى

السين

الشين

الصاد

الضاد

الطاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميـــم

النون

الهاء

الواو

الياء

ملحق

١ ـ مخطوطة الكتاب الأصلية محفوظة في مكتبة الاسكوريال تحت رقم (١٣٧٦ · خ عربية) ومنها نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم (٣٢ بلاغة) ·

٢ ـ تقع النسخة في (٢٥٩) ورقة جاءت في ترقيم المكتبة في (٢٥٤) بسبب تكرار الارقام من (٢٣٣ـ٢٣٧) مرتين ، وقد ضم الى هذه الاوراق بعض ورقات زائدة في أول الكتاب وآخره ·

٣ ـ على الورقة الاولى من المخطوطة هذا السماع : « يقول العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن أبي الوفاء بن أحمد الموصلي المعروف بابن القبيصي · قرأ عليَّ الولد الأعز العالم نجيب الدين أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن عبدالله الكركي أدام الله ارشاده وبلّغه من الخيرات مراده جميع كتاب الجمان في تشبيهات القرآن تأليف الحبر الامام أبي القاسم عبدالله بن ناقيا ـ رحمة الله عليه ـ قراءة مرضية تؤذن بفهمه وضبطه وذلك بمحروسة حصن زياد · وكان الفراغ من قراءته غرة جمادى الآخرة من سنة خمس وعشرين وستمائة · كتبه محمد بن أبي الوفا بن أحمد الموصلي حامدا الله تعالى على نعمه ومصليا على خير خلقه محمد النبي وآله الطاهرين وصحبه وسلم » ·

٤ ـ كتب تحت عنوان المخطوطة : « تأليف الرئيس أبي القاسم عبدالله بن محمد بن ناقيا بن داود رحمه الله لخزانة مولانا ولي النعم الملك العادل العالم المؤيد المظفر المنصور محيي الدنيا والدين ملك الاسلام والمسلمين أبي الفتح ملكشاه بن سلجوق بن محمد بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين خلد الله ملكه وأعزه » ·

٥ ـ في المخطوطة خرم في ثلاثة مواضع الاول في آخر صفحة ١١٦ من هذا المطبوع والثاني في ص ٢٤٠ والثالث في أواخر ص٣٨١ ومطلع ص ٣٨٢ ·

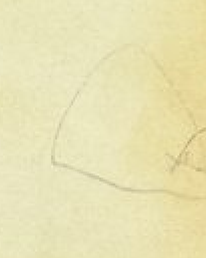
الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
الديلي	الديلمي	١٠	١٩
كبير	كبيرا	١٣	١٦
أسمع	السمع	٥٦	٤
وذلك	ذلك	٦١	١٠
وأغزل	وأغذى	٦٧	٨
(لم يذكر اسم السورة ورقم الآية)	الآية ٤٦ من سورة النساء	٦٨	٣
مدحضات	قد حضأت	٧٧	٤
خلقه	خلفه	٨٢	٣
النوابج	اليوازج	٨٦	٦
الغناء	الفناء	٨٩	٥
وأخلقت	وأخلفت	٩٢	٧
وأبيض بعد سوادالخضرة العود	وحف على ألسن الرواد محمود	٩٣	١٠
ناصع	نصّاع	٩٨	٥
ينفعك	ينفعه	١١١	١٤
الآية ٢٣٣	الآية ٥٤	١١٦هامش	١٠٧
الآية ٤٨	الآية ٢٦	١١٦هامش	١٠٧
طلا	ظلا	١٢٣	٥
من الوافر	من الرمل	١٣٤	١٣
تلقي	تلفي	١٣٥	١٥
النحل	النمل	١٣٧هامش	٢
تتخذوا	تتخذون	١٤٠	٩
جوف	جونَ	١٤٦	١
منها	فيها	١٥٠	١٢
استمن	استمر	١٥١	١
الكامل	الطويل	١٥٣	٢
الآماق	الأرماق	١٥٣	١٥
للكتاب	للكتب	١٥٦	٧

الخطــأ	الصواب	الصفحة	السطر
شاذب	شازب	١٥٦	١٢
بخس	بنحس	١٦٠	١٣
نحوي	بجوى	١٦٤	٧
الكامل	الطويل	١٦٦	١
لمن	كمن	١٧٥	١٣
أشفي	إشفى	١٧٩	٥
براها	تراها	١٨١	٤
النقيض	النفيض	١٩٣	١٣
تؤرثت	تؤورثت	١٩٤	٣
فأعضضته	فأغصصته	١٩٦	٤
أبا الحرب حميد	أبا الحارث حمير	١٩٩	١٠
وكل	كل	٢٠٢	٤
استمرارها	استسرارها	٢٠٧	٥
المِجْدح والمجدح	المُجْدح والمحدج	٢٠٩	١
قلاص	قلاصه	٢٠٩	٧
منتبذين	متبذين	٢٠٥	١٣
اسقاء	استسقاء	٢١٦	٦
وقتل	وقيل	٢١٨	١٧
وجه	ووجه	٢٣٢	١٤
الطويل	الرمل	٢٣٣	١٠
زهره	زهوه	٢٤٢	١٣
وزهوة	وزهوه	٢٤٢	١٥
سفت	نسقت	٢٤٤	٣
بكم	كم	٢٦٥	٩
بالنحلة	بالنخلة	٢٧٣	٥
تبعث	يبعث	٢٨١	٩
قولَ	قولُ	٣٠٢	١٥
اذا	أ اذا	٣١٢	٨
قولـه : « يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب» فقيل : الحور ليس	المَعنى : يطوف عليهم ولـدان بأكواب ينعمون بهـا وكذلك ينعمون بلحم	٣٢٠	٦
كأن المعين	كان المعنى	٣٢٠	١٥

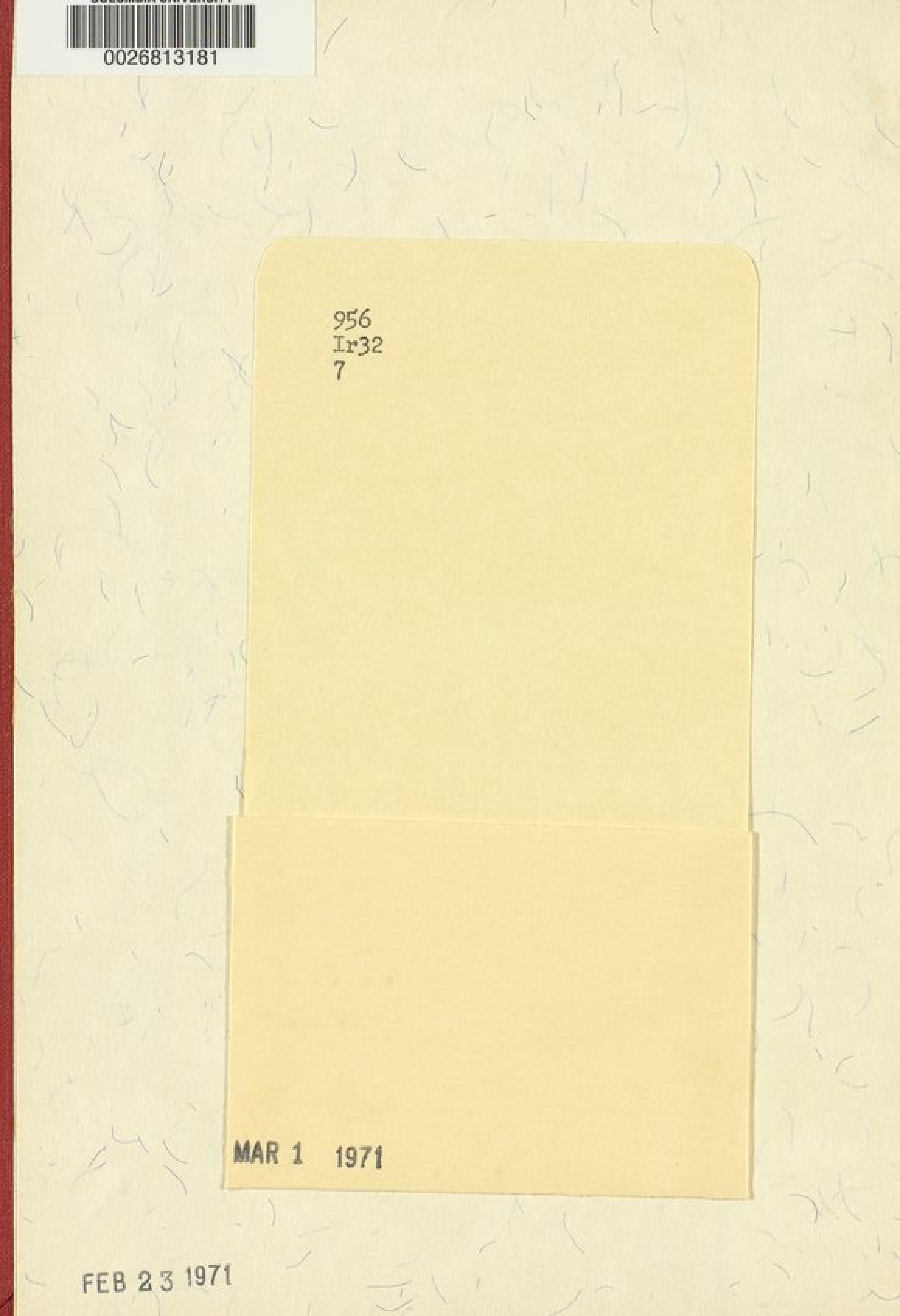
الخطــأ	الصواب	الصفحة	السطر
دامي الأظــر بعيد الشأ ومهيوم	دامي الأظل بعيد الشأو مهيوم	٣٢٨	١٢
ومن	من	٣٣٥	٨
عليهم	عليها	٣٤٦	٧
قوله تعالى : « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون »	أي : أرسل الله تعالى عليها عذابا من السماء فاحترقت كلهـا فأصبحت	٣٤٦	١٢
جدولاً	جدولٌ	٣٥٤	٩
المساء	الماء	٣٥٥	٦
طفل	طفلا	٣٦٢	١١
لسانها	لسانا	٣٦٥	١
ضبَّعه	ضيَّعه	٣٧٧	٢٠





ثمن النسخة ٥٠٠ فلس

المؤسسة العامة للصحافة والطباعة
دار الجمهورية ـ بغداد
١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م


0026813181
956
Ir32
7
MAR 1 1971
FEB 23 1971